

مِزَانُ الْعُقُولِ

فَسْخُوحُ أَيْجَارِ آلِ الرَّسُولِ

تَالِثُ

الْعِلْمُ أَشْرَحُ الْإِسْلَامِ وَالْعُقُولُ أَجْمَلُ الْفِكَرِ الْمَجْلِسِ

بِسْمِ اللَّهِ

لِلْكَتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مرآة الحقول

في شرح أخبار آل الرسول

تأليف

العلامة الشيخ الأسيلازمي المولى محمد باقر المجلسي
تسليمه

تمت في شهر رجب سنة ١٢٨٩ هـ في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

* نام کتاب: مرآة العقول جلد ۱

* تألیف: علامه مجلسی

* ناشر: دارالکتب الاسلامیه

* تیراژ: ۱۰۰ نسخه

* نوبت چاپ: سوم،

* چاپ از: مروی

* تاریخ انتشار: ۱۳۷۰

آدرس ناشر: تهران - بازار سلطانی - دارالکتب الاسلامیه

تلفن: ۵۲۰۴۱۰ و ۵۲۷۴۴۹

مِرَاةُ الْعُقُولِ

مَدْرَسَةُ

الْعُلَمَاءِ الْحُجَّتِ السَّيِّدِ مُرْتَضَى الْعِيسَى

إِخْرَاجُ وَمُقَابَلَةٌ وَتَصْحِيحُ
السَّيِّدِ شَمْسِ الْبُرُوقِ

الناشر

دَارُ الْكِتَابِ الْأِسْلَامِيَّةِ

لِصَلَابَتِهَا التَّحْقِيقُ مُحَمَّدُ الْأَخْوَنْدِي

تهران - بازار سلطانی

تلفن ۵۲۰۴۱۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

كلمة المصحح

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم اجمعين .

وبعد : فمما من الله عليّ - بلطفه - أن وفقني لتصحيح هذا الاثر القيم الذي هو من أحسن الشروح على كتاب الكافي تأليف ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه .

وقد طبع الكتاب للمرة الاولى في سنة ١٣٢١ على الطبع الحجرى بايران في أربع مجلدات وهذه هي الطبعة الثانية التي نهضت بمشروعه مكتبة ولي العصر (عليه السلام) وقام بطبعه ونشره مدير دار الكتب الاسلامية الشيخ محمد الاخو ندي وقدراجعت في تصحيحه ومقابلته وتحقيقه - مضافاً إلى كتب كثيرة من التفسير والحديث و التاريخ واللغة وغيرها - إلى عدة نسخ من الكتاب .

منها - نسخة مخطوطة مصححة نفيسة - من أول الكتاب إلى آخر كتاب التوحيد - وأكثرها بخط الشارح (ره) وهي نسخة التي أهداها الخطيب البارع الشيخ محمد رضا الملقب بحسام الواعظين إلى مكتبة مولانا الامام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء في سنة ١٣٦٩ ق ، وهي نسخة ثمينة جداً ، وترى أنموذجاً من صورتها الفتوغرافية في الصفحات الآتية .

ومنها - نسخة مخطوطة - مصححة من هذه المكتبة الشريفة أيضاً - من أول الكتاب إلى آخر كتاب التوحيد - كلها بخط العالم الجليل السيد بهاء الدين محمد الحسيني النائيني رحمه الله تعالى ، من معاصري الشارح قدس سره الشريف ، ومن كتب له إجازة الحديث والرواية بخطه ، وصورة الإجازة موجودة في ظهر النسخة . ومنها - نسخة مخطوطة جيدة لمكتبة العلامة النسابة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله ، من ابتداء الكتاب إلى آخر كتاب الحجة .

والحمد لله أولاً وآخراً - وإنا العبد : السيد هاشم الرسولي المحلاتي

[illegible]

وتفسر الخطبة على الاختصار فان فصل سجع النقرات سيان متوقفا في ملح الاجتنار ثم في النسخة في بعض النسخ
 فالحن عام بنسخة ومقدان كون النسخة محمداً ومحمداً عتيقاً وقلة فصل الاول انما يحركه بكسر واو ان في النسخة كسر واو ان في النسخة
 استزادة لتوابعه واما ان كانت الخطبة انما يحركه باللام والادوات والترفعات التي وهبها لحن
 بذلك حماد اخري وهذا الجاء انب ولكن النسخة انما لم تمل نظير تلك الوجوه انما يحركه باللام والادوات والترفعات التي وهبها لحن
 بذلك سجع العبادة او لتدور على الامانة والانتقام او انما يحركه باللام والادوات والترفعات التي وهبها لحن
 رواده مناعا وجه الترو والسلطنة لا في ارادة مناعا واما وجه الادوات والاختيار او بسبب سلطنة
 على ما ياتي في هذه اي من النسخ الظاهرة والباطنة والبركات الدينية والاخرى في فاستحقاق الامانة
 اما بالنسبة الى العلو او اظهاره او للطلب فصل الاول لعل النسخة انما قال علواً اذا تبادر ذلك سبباً ان يكون مستقيماً
 منسابة للوقوفات وعن ان يتركه لم يولدوا هاهنا وعلى النسخ النسخ انما كان حاليها من حيث الذات والصفات
 لا من انما كان فيهم فظهر على ما ياتي في الوقفات وعلى ان كانت الخطبة اي طلب من العبادة ان يعدد وعاليها ويمجدوه
 وعلى التمام ويحكم ان يكون النسخ (الادوات) وارتفع فوق كل نظر المنظر منظر الاله وما ينظر الاله والموضع الرتفع
 على النسخ انما قال ارتفع عن انظار العبادة او عن كل ما يمكن ان ينظر الاله ويحكم بالبال في الحنفية وهو ان النسخ انما
 قال الظهور انما رتفع في كل شيء ظهر في كل شيء فكانت ملله وارتفع على نظير نظرات الاله فكانت وجدت انما عليه
 لا بعد الاولية اي بسببه الذاتي فانه قال على العلل وليس له ولا احلية على اول الزمان اي لا بسببه احد في
 زمان ولا زمان ربه العالم اي الوجود القائم بذاته والاعمال تدبر الاشياء وقد يجرى حائل عنها ويمكن ان يواد
 بالعبودية العلية الذاتية

صورة فتوغرافية عن نسخة الاصل بخط العلامة المجلسي تراها في شرح خطبة الكتاب

حمداً خالداً لوليّ النعم حيث أسعدني بالقيام بنشر
هذا السفر القيم في الملأ الثقافي الديني بهذه الصورة الرائعة.
ولرواد الفضيلة الذين وازرونا في انجاز هذا المشروع المقدس
شكر متواصل .

الشيخ محمد الاخوندي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وهب الحياة والقوى ، وأفاض العقل ليغلب به الهوى ، و بين
للورى نجدى الضلالة والهدى ، ورفع أهل العلم والحجى ، وذوى العقل والنهى ،
من الثرى الى الثرى ، ومن دركات الردى الى درجات العلى ، وأثنى عليهم عدد
الرمل والحصى ، وأوضح فضلهم لكل من سمع ودرى ، فله الحمد على نعمه التى
لا تحصى ، وله الشكر على أباديه التى لا تستقصى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن سيد الأنبياء وصفوة الأصفياء محمداً ﷺ عبده ورسوله وخليفه وحبيبه ونجيبه
وخيرته من خلقه ، وأن صهره المجتبى وأخاه المرتضى وخليفته المقتدى : على بن أبى-
طالب صلوات الله عليه أشرف الأوصياء وإمام الأتقياء ، وحجة الله على أهل الارض
والسماء ، وأن الأئمة الراشدين والخلفاء الهادين من ذريته حجج الله على الخلق
أجمعين ، ومعاقب العباد في الدنيا والدين ، وسادات الأوصياء المنتجبين ، وآيات الله
في العالمين ، فصلوات الله عليه وعليهم في الأولين والآخرين ، ولعنة الله على أعدائهم
دهر الداهرين .

أما بعد : فيقول المذنب الخاطى الخاسر القاصر ، عن نيل المفاخر والمآثر ،
ابن الغريق في بحار رحمة الله الغافر محمد تقي قدس الله روحه : محمد باقر غفر الله لهما وحشرهما
مع أئمتهما : إننى لما ألفت أهل دهرنا على آراء متشعبة وأهواء مختلفة ، قد طارت
بهم الجهالات إلى أوكارها ، وغاصت بهم الفتن في غمارها ، وجذبتهم الدواعى المتنوعة

إلى أقطارها، وحيرتهم الضلالة في فيافيها وقفارها، فمنهم من سمى جهالة أخذها من حثالة^(١) من أهل الكفر والضلالة، المنكرين لشرايع النبوة وقواعد الرسالة : حكمة ، واتخذ من سبقه في تلك الحيرة والعمى أئمة ، يوالى من والاهم ويعادى من عاداهم ، ويفدى نفسه من إقتفى آثارهم ، ويبذل نفسه في إذلال من أنكر آراءهم وافكارهم ، ويسعى بكل جهده في إخفاء اخبار الأئمة الهادية صلوات الله عليهم واطفاء انوارهم «و يا أي الله إلا ان يتم نوره ولو كره المشركون» .

و منهم عن يسلك مسالك أهل البدع و الاهواء المنتمين إلى الفقر والفناء ليس لهم في دنياهم و آخراهم إلا الشقاء والعناء فضحهم الله عند أهل الارض كما خذلهم عند أهل السماء ، فهم إتخذوا الطعن على أهل الشرايع والأديان بضاعتهم ، وجعلوا تحريف العقائد الحقّة عن جهااتها وصرف النواميس الشرعيّة عن سماتها ، بضم البدع إليها صناعتهم ، ومنهم من تحير في جهالته يخطفهم شياطين الجن والانس يمينا وشمالا ، فهم في ريبهم يترددون ، عميانا وضلالا ، فبصر الله نفسى بحمده تعالى هداها ، وألهمها فجورها وتقويها ، فاخترت طريق الحقّ اذ هو حقيق بأن يبتغى ، واتبعت سبيل الهدى اذ هو جدير بأن يقتفى ، فنظرت بعين مكحولة بكحل الانصاف مشفية من رمد العناد والإعتساف ، إلى ما نزل في القرآن الكريم من الآيات المتكاثرة ، وما ورد في السنة النبويّة من الأخبار المتواترة ، بين أهل الدراية والرواية ، من جميع الأئمة ، فعلمت يقينا أنّ الله تعالى لم يكلنا في شيء من أمورنا الى آرائنا وأهوائنا بل أمرنا باتّباع نبيّه المصطفى ، المبعوث لتكميل كافّة الورى ، وتبيين طرق النجاة لمن آمن واهتدى ، وأهل بيته الذين جعلهم مصاييح الدّجى وأعلام سبيل الهدى ، و أمرنا في كتابه وعلى لسان نبيّه بالردّ اليهم والتسليم لهم ، والكون معهم ، فقرنهم بالقرآن الكريم وأودعهم علم الكتاب ، وآتاهاهم الحكمة وفصل الخطاب ، وجعلهم باب الحطّة وسفينة النجاة وأيدهم بالبراهين والمعجزات ، وبعد ما غيب الله شمس الامامة وراء

(١) بالحاء المهملة والثاء المثناة : الردى من كل شيء وثقالته .

السحاب، أصبح ماء الهداية والعلم غوراً، فمنعنا عن الوصول الى البحر العباب، واستترعنا سلطان الدين خلف الحجاب، أمرنا بالرجوع إلى الزّبر والاسفار، و أخذ ممن تحمل عنهم من الثقات الاخيار، المأمونين على الروايات والاخبار فدرت بما القيت اليك ان حقيقة العلم لا توجد إلا في أخبارهم وان سبيل النجاة لا يعثر عليه إلا بالفحص عن آثارهم، فصرفت الهمة عن غيرها إليها واتكلت في أخذ المعارف عليها، فلمرى لقد وجدتها بحوراً مشحونة بجواهر الحقائق ولا ليتها، وكنوزاً مخزونة عن لم يأتها موقناً بها، مذعناً بما فيها، فأحييت بحمد الله ما اندرس من آثارها، وأعليت بفضل الله ما انخفض من أعلامها، وجاهدت في ذلك وما باليت بلؤم اللائمين، وتوكلت على العزيز الرحيم، الذي يراني حين أقوم، وتقلبي في الساجدين، ولقد كنت علقت على كتب الأخبار حواشي متفرقة، عند مذاكرة الاخوان، الطالبين للتحقيق والبيان وخفت ضياعها بمرور الدهور واندراسها بمرور الأزمان فشرعت في جمعها مع تشتت البال وطفقت ان أدونها مع تبدد الاحوال، وابتدأت بكتاب الكافي للشيخ الصدوق ثقة الاسلام، مقبول طوائف الانام، ممدوح الخاص والعام : محمد بن يعقوب الكليني حشره الله مع الأئمة الكرام، لانه كان أضبط الاصول وأجمعها، وأحسن مؤلفات الفرقة الناجية وأعظمها، وأزمت على ان أقصر على ما لا بد منه في بيان حال أسانيد الأخبار، التي هي لها كالأساس والمباني، وأكتفى في حلّ معضلات الألفاظ وكشف مخيبتات المطالب بما يتفطن به من يدرك بالاشارات الخفية، دفايق المعاني وسأذكر فيها انشاء الله كلام بعض أفاضل المحشّين وفوائدهم، وما إستفدت من بركات أنفاس مشايخنا المحققين وعوايدهم، من غير تعرض لذكر أسمائهم، أو ما يرد عليهم.

ثم أنه كان ممّا دعاني إليه، وحدائي عليه، إلتماس ثمرة فؤادي وأعز أولادي ومن كان له أرقى وسهادى : محمد صادق رزقه الله نيل الدقائق، وأوصله إلى ذرى^(١) الحقائق وكان اهلاً للإجابة لبرّه ودقة نظره، ورعايته، وأرجو ان عاجلنى الاجل أن

يوفقه الله سبحانه لاتمامه، وسميته بكتاب مرآت العقول في شرح اخبار آل الرسول
وأرجو من فضله تعالى وإنعامه أن يوفقني لاتمامه على أبلغ نظامه ، وأن ينفع
به عامة الطالبين للحق المبين ، وأن يجعله ذريعة لنجاتي من شدائد أهوال يوم
الدين ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على محمد وأهل بيته الأكرمين ، ولنشرح
الخطبة على الاختصار ، فان تفصيل شرح الفقرات سيأتي انشاء الله تعالى متفرقاً
في شرح الأخبار .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود لنعمته المعبود لقدرته ، المطاع في سلطانه ، المرغوب لجلاله ،
المرغوب إليه فيما عنده ، النافذ أمره في جميع خلقه ، علا فاستعلي ، ودنا فتعالى ،

قوله : لنعمته ، فى بعض النسخ بنعمته ، ويحتمل أن تكون النعمة محموداً بها ،
ومحموداً عليها ، وآلة ، فالمعنى على الاول أنه يحمد بذكر نعمه ، وعلى الثانى أنه يحمد شكراً
على نعمه السابقة استزادة لنعمه اللاحقة ، وعلى الثالث أنه يحمد بالآلات والادوات ،
والتوفيقات التى وهبها ، فيستحق بذلك محامداً اخرى وهذا بالباء أنسب ، وكذا الفقرة
التالية تحتمل نظير تلك الوجوه ، اى يعبد لقدرته وكماله ، فهو بذلك مستحق للعبادة ،
او لقدرته على الاثابة والانتقام ، او انما يعبد بقدرته التى اعطانا عليها .

قوله : في سلطانه ، اى فيما أرادته منّا على وجه القهر والسلطنة لا فيما أرادته
منّا وأمرنا به على وجه الاقدار والاختيار ، أو بسبب سلطنته وقدرته على ما يشاء .
قوله : فيما عنده ، اى من النعم الظاهرة والباطنة ، والبركات الدنيوية
والاخروية .

قوله : فاستعلي ، الاستعلاء اما بالمبالغة فى العلو أو بمعنى إظهاره ، أو للطلب ،
فعلى الاول لعل المعنى أنه تعالى علا علوّاً ذاتياً فصار ذلك سبباً لأن يكون مستعلياً
عن مشابهة المخلوقات ، وعن أن تدركه عقولهم وأوهامهم ، وعلى الثانى : المعنى أنه
كان عالياً من حيث الذات والصفات ، فأظهر علوّه بإيجاد المخلوقات ، وعلى الثالث لا بد
من إرتكاب تجويز اى طلب من العباد أن يعبدوه عالياً ، ويعبدوه ، وعلى التقادير يحتمل
أن تكون الفاء بمعنى الواو .

وارتفع فوق كل منظر ، الذى لا بدء لأوليته ، ولا غاية لأزليته ، القائم قبل الأشياء ، والدائم الذى به قوامها ، والقاهر الذى لا يؤوده حفظها ، والقادر الذى بعظمته تفرّد بالملكوت ، وبقدرته توحد بالجبروت ، وبحكمته أظهر حججه على خلقه ؛ اخترع الأشياء إنشاءً ، وابتدعها ابتداءً ، بقدرته وحكمته ، لامن شيء فيبطل الاختراع

قوله : وارفع فوق كل منظر ، المنظر مصدر نظرت إليه وما ينظر إليه ، والموضع المرتفع ، فالمعنى أنه تعالى إرتفع عن أنظار العباد أو عن كل ما يمكن أن ينظر إليه ، ويخطر بالبال معنى لطيف وهو : أن المعنى أنه تعالى لظهور آثار صنعه في كل شيء ، ظهر في كل شيء ، فكأنه علاه وارفع عليه ، فكلمنا نظرت إليه فكأنك وجدت الله عليه .

قوله : لا بدء لأوليته ، أى لسبقه الذاتى ، فأنه تعالى علّة العلل ، وليس له ولا لعليته علّة ، أو الزمانى ، أى لا يسبقه أحد في زمان ولا زمان .

قوله : القائم ، أى الموجود القائم بذاته ، أو القائم بتدبير الأشياء وتقديرها قبل خلقها ، ويمكن أن يراد بالقبليّة القبليّة الذاتيّة .

قوله : والقاهر الذى ، قال الوالد العلامة طيب الله رمسه : القاهر هو الذى قهر العدم وأوجد الأشياء منه وحفظها بقدرته الكاملة ، ولا يؤده أى لا ينقل عليه حفظها ، ولعلّ فيه إشارة إلى إحتياج الباقي في بقائه إلى المؤثر .

قوله : بالملكوت ، هو فعلوت من الملك كالجبروت من الجبر ، وقد يطلق عالم الملكوت على عالم المجرّات والمفارقات ، وعالم الملك على الجسمانيّات والمقارنات ، وقد يطلق الأوّل على السماويّات ، والثانى على الارضيّات ، والظاهر أن المراد هنا تفرّده تعالى بنهاية الملك والسلطنة .

قوله : حججه ، أى آياته التى أظهرها في الآفاق والأفان ، أو الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أو الأعم .

قوله : لامن شيء ، قال بعض الأفاضل : الاختراع والابتداع متقاربان في المعنى

والعلّة فلا يصحّ الابتداع ، خلق ماشاء كيف شاء ، متوحّداً بذلك لا إظهار حكمته ،
وحقيقة ربوبيّته ، لاتضبط العقول ، ولا تبلغه الأوهام ، ولا تترك الأَبصار ، ولا يحيط
به مقدار ، عجزت دونه العبارة ، وكلّت دونه الأَبصار ، وضلّ فيدي تصارييف الصفات .
احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، عرف بغير رؤية ، و

وكثر استعمال الاختراع في الابداع لا بالخذ من شيء مماثل الموجود ويشابهه ، والابتداع
في الابداع لا مادّة وعلة فقلوه : لا من شيء ، اى لا بالاخذ من شيء فيبطل الاختراع ، ولا
لعلة اى لمادّة فيبطل الابتداع .

قوله : لا إظهار حكمته ، علة للخلق اول للتوحّد ، والمعنى انه تعالى خلق الاشياء
على هذا النظام العجيب والصنع الغريب ، متوحّداً بذلك بدون مشاركة احد ليستدلوا
بها على علمه وحكمته ، والله الرب حقيقة ، او ليستدلوا على انه تعالى لم يخلق
هذا الخلق عبثاً ، وإنّ الحكمة في خلقها العبادة والمعرفة ، وأن يطيعوه ويعبدوه ،
فانه حقيقة الربويّة وما يحقّ لربوبيّته ويلزمها ، ولعلّ الاول أظهر .

قوله : لاتضبط العقول ، اى تبلغ العقول ادراكه بنحو قاصر عن الإحاطة به
وضبطه ، فهو غير محدود وغير منضبط الحقيقة ، ولكنه مصدّق بوجوده ، منفياً عنه
جميع ما تحيط به العقول والأفهام ، ولا تبلغه الأوهام ، حيث يتعالى عن أن يحسّ بها
ولا تتركه الابصار حيث لا صورة له ولا مثال ، ولا يتشكّل بشكل ، ولا يحاط بحدّ ، ولا يتقدّر
بمقدار فقلوه : ولا يحيط به مقدار ، كالتأكيد لسا بقته ان أريد بالمقدار المقادير الجسمانيّة ،
وإن أريد به الأعم من المقادير العقلية فهي مؤكّدة لسوابقها .

قوله : بغير حجاب محجوب ، المحجوب اما مرفوع او مجرور ، فعلى الأوّل
خبر مبتدأ محذوف ، اى هو محجوب بغير حجاب ، فالجملة مستأنفة لبيان أنّ احتجابه
ليس كاحتجاب المخلوقين ، وعلى الثانى يحتمل جرّه بالإضافة اى بغير حجاب يكون
للمحجوبين ، أو بالتوصيف بأن يكون المحجوب بمعنى الحاجب ، كما قيل في قوله

وصف بغير صورة ، ونُعت بغير جسم ، لا إله إلا الله الكبير المتعال ، ضلّت الأوهام عن

تعالى : « حجاباً مستوراً^(١) » أو بمعناه أى ليس حجابُه مستوراً ، بل حجابُه امر ظاهر على العقول ، وهو تجرّده وتقدّسه وكمالُه ، ونقص الممكنات ، أو المعنى أنه ليس محجوباً بحجاب محجوب بحجاب آخر^(٢) كما هو شأن المخلوقين المحجوبين ، أو ليس احتجابه احتجاباً بالكليّة ، بحيث لا يصل إليه العفء أصلاً ، أو المعنى : أنه ليس محتجباً بحجاب محجوب فضلاً عن الحجاب الظاهر ، فيكون نفيّاً للفرد الأخرى ، ويحتمل أن يكون المراد بالحجاب من يكون واسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، كما أن الحجاب واسطة بين المحجوب والمحجوب عنه ، وكثيراً ما يطلق على من يقف أبواب الملوك ليوصل إليهم خبر الناس حاجباً وحجاباً ، فالمراد بالحجاب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وقد أظهرهم الله تعالى للناس ، ويبيّن حجبتهم وصدّقهم بالآيات البيّنات ، والاحتمالات كلّها جارية في الفقرة الثانية ، ويحتمل أن تكون الثانية مؤكّدة للأولى ، وأن يكون المراد بالأولى الاحتجاب عن الحواس ، وبالثانية الاحتجاب عن العقول ، كلّ ذلك أفاده الوالد العلامة قدس الله روحه .

قوله : بغير رؤية ، وربما يقرء رواية بتشديد الياء بغير همزة ، أى معرفة وجوده بديهى ، ولا يخفى بعده .

قوله : بغير جسم ، أى بغير أن يكون توصيفه بالجسميّة ، أو بما يستلزمها ، وقيل أى غير جسم نعت له .

(١) سورة الاسراء : ٤٥ .

(٢) فى المطبوعة : « ليس محجوباً بالحجاب محجوب بحجاب آخر » وفى نسخة

[ب] « ليس محجوباً بحجاب يكون محجوباً بحجاب آخر » وما اخترناه فى المتن هو الموافق لنسخة [ج] المكتوب بخط الشارح قدس سره الشريف .

بلوغ كنهه ، وذ هلت العقول أن تبلغ غاية نهايته ، لا يبلغه حدٌ وهم ، ولا يدركه نفاذ بصر ، وهو السميع العليم ، احتجَّ على خلقه برسله ، وأوضح الأمور بدلائله ، وابتعث الرسل مبشرين ومنذرين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيٍّ عن بينة ، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه ، فيعرفوه بربوبيته بعدما أنكروه ، ويوحّدوه

قوله : عن بلوغ كنهه ، لأنّه تعالى ليس بمركب وما ليس بمركب لا يمكن إدراك كنهه .

قوله : غاية نهايته ، الغاية تطلق على المسافة وعلى نهايتها والاول هنا أظهر ، اى لا تبلغ العقول الى مسافة تنتهى الى نهاية معرفته فكيف إليها ، والحمل على الثانى بالاضافة البيانية بعيد .

قوله : حدٌ وهم ، اى حدة الاوهام ، أو نهاية معرفة الاوهام .

قوله : نفاذ بصر ، قال الجوهرى نفذ السهم من الرمية ونفذ الكتاب الى فلان ورجل نافذ في أمره اى ماض ، والكل محتمل .

قوله : بدلائله ، اى أوضح كل أمر بدليل نصبه عليها كوجوده وكمال ذاته بما أوجد في الآفاق والأفانفس من آياته ، والرسل والحجج عليهم السلام بالمعجزات والأحكام الشرعية بما بين في الكتاب والسنة .

قوله : وابتعث الرسل ، الابتعث الإرسال كالبعث .

قوله : ليهلك ، قال البيضاوى : المعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها ، لئلا تكون لهم حجة ومعذرة أوليصدركفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة ، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام ، والمراد بمن هلك ومن حيٍّ : المشارف للهلك والحياة ، أو من هذا حاله في علم الله وقضائه ، وقيل : يحتمل أن يكون من باب المجاز المرسل لأنّ الكفر سبب للهلكة الحقيقية الآخروية ، والإيمان سبب للحياة الحقيقية الأبدية ، فأطلق المسبب على السبب مجازاً .

قوله : عن ربهم ، اى بتوسط الرسل .

بالإلهية بعدما أزدوه ، أحدهم حمداً يشفي النفوس ، ويبلغ رضاء ، ويؤدي شكر ما وصل إلينا من سوابغ النعماء ، وجزيل الآلاء وجميل البلاء .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأشهد أن محمداً عبداً ورسولاً ، ورسولاً أتبعه ، على حين فتره من الرسل ، وطول هجعة من الأمم ، وانبساط من الجهل ، واعتراض من الفتنة و انتقاض من المبرم وعمى عن الحق ، واعتساف من الجور وامتحاق من الدين .

قوله : أزدوه ، أى جعلوا له أزداداً .

قوله : يشفي النفوس ، أى من أمراض الكفر والجهل والاخلاق الذميمة وكأنه على سبيل الاستدعاء والرجاء ، أى أرجو من فضله تعالى أن يكون حمدى كاملاً مؤثراً تلك التأثيرات وأطلب منه تعالى ذلك أوهى إنشاء لغاية الشكر وإظهار لنهاية التذلل ، والجزيل : الكثير العظيم ، والآلاء بالمد : النعم ، واحدها الآل ، بالفتح ، والبلاء : الاختبار بالخير والشر ، وهنا الاول أنسب .

قوله : فترة ، الفترة الضعف والانكسار ، وما بين الرسولين من رسل الله ، والهجمة بالفتح : طائفة من الليل ، والهجوع : النوم ليلاً ، كذا في النهاية ، وقال الجوهرى : أتيت بعد هجمة من الليل ، أى بعد نومة خفيفة ، واستعيرت هنا لفظة الامم عما يصلحهم في الدارين .

قوله : واعتراض من الفتنة ، أى انبساط منها ، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من قولهم اعترض الفرس : إذا مشى في عرض الطريق ، من غير إستقامة ، تشبيهاً للفتنة بهذا الفرس واستعارة لفظ الاعتراض لها . والمبرم : المحكم .

قوله : وعمى عن الحق ، في بعض النسخ : من الحق ، فليست كلمة « من » على سياق ما مر ، اذ كانت فيها ابتدائية ، وهنا صلة بمعنى عن ، إلا أن يكون من قولهم عمى عليه الامر إذا التبس ، ومنه قوله تعالى : « فعميت عليهم الأنباء » ^(١) وفي قوله : وامتحاق من الدين ، يحتمل الابتدائية والتبعية ، والاعتساف : الأخذ على غير

وأُتزل إليه الكتاب ، فيه البيان والتبيين ، قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج لعلهم يتقنوا ؛ قد بينته للناس ونهجه ، بعلم قد فصله ، ودين قد أوضحه ، وفرائض قد أوجبها ، وأُمور قد كشفها لخلقها وأعلنها ، فيها دلالةٌ إلى النجاة ، ومعالم تدعو إلى هداة .

فبلغ ﷺ ما أُرسل به ، وصدع بما أمر ، وأدى ما حمل من أثقال النبوة ، وصبر لربه ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأُمَّته ، ودعاهم إلى النجاة ، وحشَّهم على

الطريق ، والامتحاق : البطان والإمحاء ، والتبيين مبالغة في البيان ، أى مع الحجَّة والبرهان ، وقوله : قرآنًا ، حال بعد حال عن الكتاب ، أو بدل منه ، أو منصوب على الاختصاص ، والعوج : الاختلال والاختلاف والشك .

قوله : ونهجه ، بالتخفيف أى أوضحه ، وقوله : بعلم ، إمَّا متعلِّق بقوله : قد بينته ، أو نهجه ، أو بهما على سبيل التنازع ، أو حال عن الكتاب ، والمستتر في قوله : « وفصله » ، وقرائنه إمَّا راجع إلى الله أو الرسول أو الكتاب .

قوله : فيها دلالة ، الضمير راجع إلى الأمور المذكورة ، وقوله : ومعالم ، إمَّا مرفوع بالمعطف على دلالة ، أو مجرور بالمعطف على النجاة ، والمعالم جمع معلم وهو ما جعل علامة للطريق والحدود ، والمراد بها هنا مواضع العلوم ، وما يستنبط منه الأحكام وعلى الجبر يحتمل النبي والأئمة عليهم السلام ، والضمير في « هداة » راجع إلى الله أو الرسول أو الكتاب ، وقيل : الهاء زائدة كما في « كتابيه » ^(١) ولا يخفى بعده ، وربما يقرء هداة بالتاء .

قوله : وصدع ، أى أظهره ، وتكلم به جهاراً أو فرَّق به بين الحق والباطل ، وفسر بكلا الوجهين قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » ^(٢) والانتقال جمع ثقل بالكسر ، ضد الخفة ، أو ثقل بالتحريك وهو متاع البيت والمسافر على الاستعارة .

قوله : على الذكر ، أى القرآن أو كل ما يصير سبباً لذكره تعالى .

الذكر ودلهم على سبيل الهدى من بعده بمنهج ودواع أُسِّس للعباد أساسها ومنائر رفع لهم أعلامها ، لكيلا يضلوا من بعده ، وكان بهم رؤوفاً رحيماً .
 فلماً انقضت مدته ، واستكملت أيامه ، توفاه الله وقبضه إليه ، وهو عند الله مرضيٌ عمله ، وافر حظّه ، عظيم خطره ، فمضى وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْغُيُوبِ وخلف في أمته كتاب الله ووصيته أمير المؤمنين ، وإمام المتقين صلوات الله عليه ، صاحبين مؤتلفين ، يشهد كل واحد منهما لصاحبه بالتصديق ، ينطق الامام عن الله في الكتاب ، بما أوجب الله فيه

قوله : أساسها ، الضمير راجع إلى المناهج والدواعي ، والمراد بسبيل الهدى منهج الشرع القويم ، وبالمناهج والدواعي أوصياؤه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وبالتأسيس نصب الأدلة على خلافتهم ، ويحتمل أن يراد بالمناهج الائمة ، وبالدواعي الادلة على حجيّتهم ، ويحتمل وجوهاً أخرى لا تخفى ، والمناير جمع المنارة ، وهى ما يرفع لتوقد النار عليه لهداية الضال عن الطريق ، واستعير هنا للأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لاهتداء الخلق بهم ، ورفع الاعلام لنصب الادلة ، إنذرع الاعلام التى يوضع عليها ما يستنار به يصير سبباً لكثرة الاهتداء به في الطرق الظاهرة ، فكذا نصب الادلة وتوضيحها يصير سبباً لكثرة الاهتداء بهم عليهم السلام .

قوله : وكان بهم رؤوفاً رحيماً ، الرأفة أشد الرحمة ، وهذا رد على المخالفين بأنه كيف يدعهم النبي وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْغُيُوبِ بلاهاد وأمر وداع ، مع شدة رأفته ورحمته بهم في أمور دنياهم وآخرتهم ، وقوله : فلماً انقضت ، تفصيل وبيان لقوله دلهم ، والخطر : القدر والمنزلة .
 قوله : بالتصديق ، أى بسببه أو متلبساً به ، والحاصل : أنه يشهد كل منهما بحقيقة الآخر ، ويبين كل منهما ما هو المقصود من الآخر ، وقوله : ينطق ، استئناف لبيان هذه الجملة ، وقوله : بما أوجب متعلق ينطق ، والحاصل : ان الإمام يبين من قبل الله تعالى ما أوجب في الكتاب من طاعته في أوامره ونواهيه ، وطاعة الامام وقوله : و واجب حقّه ، عطف إماماً على الموصول ، أو على طاعته ، والضمير عائد إليه تعالى ، أو على ولايته والضمير راجع إلى الامام ، وفي بعض النسخ : وأوجب حقّه ، و

على العباد ، من طاعته ، وطاعة الإمام وولايته ، و واجب حقّه ، الذي أراد من استكمال دينه ، وإظهار أمره ، والاحتجاج بحججه ، والاستضاءة بنوره ، في معادن أهل صفوته ومصطفى أهل خيرته .

فأوضح الله بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا وآله عليهم السلام عن دينه ، وأبلغ بهم عن سبيل مناهجه وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه ، وجعلهم مسالك لمعرفة ، ومعالم لدينه ، وحجاً بآيينه وبين خلقه ، والباب المؤدّي إلى معرفة حقّه ، وأطلعهم على الممكنون من غيب سرّه .

قوله : « في معادن ، صفة للنور أحوال منه ، وإضافة المعادن إلى الأهل ، إمّا بيانية أو لامية ، وعلى الثاني المراد بالمعادن إمّا القلوب ، فالمراد بالأهل الأئمة عليهم السلام ، أو الأئمة ، فالمراد بالاهل جميع الذرية الطيبة كما سيأتي الاحتمالان في الآية المقتبس منها ، وهي قوله تعالى : « ثمّ أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ^(١) انشاء الله تعالى ، وقوله : « مصطفى » إمّا مفرد أو جمع ، ومعطوف على المعادن أو الاهل ، وإضافته إلى الأهل إمّا بيانية أو لامية ، والخيرة بكسر الخاء وسكون الياء أو فتحها : الاختيار ، وإضافة الاهل إليها لامية .

قوله : عن دينه ، تعديته بكلمة عن لتضمن معنى الكشف ، كما في الفقرة الآتية ، والبلوج : الاضاءة والوضوح ، وأبلجه : أوضحه ، والمراد بالمناهج كل ما يتقرّب به إليه سبحانه ، وسبيلها : دلائلها وما يوجب الوصول إليها .

قوله : ينابيع علمه ، في الكلام استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه العلم با ماء وإنبات الينابيع له ، أو من قبيل : لجين الماء ، وقيل : المراد بالينابيع : الآيات القرآنية .

قوله : وحجاً بآ ، هو بالضمّ والتشديد جمع حاجب ، الذي يكون للسلطين ، وقوله : اطلعهم بتخفيف الطاء اى جعلهم مطلعين على سرّه ، المغيب عن غيرهم ، والضمير

كلّما مضى منهم إمامٌ ، نصب لخلقه من عقبه إماماً بيتناً ، وهادياً نيراً ، و
إماماً قيماً ، يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، حجج الله ودعائه ، ورعائه على خلقه ، يدين
بهديهم العباد ، ويستهلّ بنورهم البلاد ، جعلهم الله حياة للأنام ، ومصايح للظلام
ومفاتيح للكلام ، ودعائم للإسلام ، وجعل نظام طاعته وتمام فرضه التسليم لهم فيما
علم ، والردّ إليهم فيما جهل ، وحظر على غيرهم التهجّم على القول بما يجهلون و

المستتر في « نصب » راجع إلى الله تعالى أو إلى الامام ، والأخير بعيد .

قوله : من عقبه : أى بعده أو من ذريته تلياً ، ومنهم من قرأ [مَنْ عَقَبَهُ] بالفتح
اسم موصول أى من عقب الله الماضى ، ولا يخفى بعده .

قوله : قيماً ، أى قائماً بأمر الأمة ، وقيل : مستقيماً ، وقوله : يهدون حال
عن الأئمة ، أو خبر مبتدأ محذوف ، وقوله : بالحقّ متعلق بيهدون ، أى بكلمة الحقّ
أو الباء بمعنى إلى ، أو ظرف مستقرّ أى محقّقين ، و « به » أى بالحقّ يعدلون بين
الناس في الحكم ، وقوله : حجج الله . خبر مبتدأ محذوف ، والدعاة والرعاة جمع
الداعى والراعى ، من رعى الأمير رعيته رعاية إذا حفظهم ، أو من رعى الأغنام ، و
قوله : على خلقه ، متعلق بالدعاة ، أو بالثلاثة على التنازع .

قوله : بهديهم ، بضمّ الهاء أى تبعّد العباد بهدائيتهم ، أو بفتحها أى بسيرتهم ،
وقوله : يستهلّ أى يستضيء بنورهم أى بعلمهم وهدايتهم البلاد ، أى أهلها .
قوله : حياة للأنام ، أى سبباً لحياتهم الظاهرية وبقائهم ، أو سبباً لحياتهم ،
بالإيمان والعلم والكمالات أو الأعم .

قوله : نظام طاعته ، أى ما ينتظم به طاعته ، وتمام فرضه أى ما يتمّ به فرائضه ،
إنع عدم ولايتهم والتسليم لهم كلّ ما أدّى من الفرائض تكون ناقصة ، أو فرض ذلك
بعد سائر الفرائض ، لقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » ^(١) وقوله : فيما علم ، أما على
بناء المجهول أى علم صدره منهم ، أو المعلوم أى علم العبد ، والاول أظهر ، وكذا فيما جهل ،

منعهم جحدّ ما لا يعلمون ، لما أطلعت بدارك وتعالى من استنقاذ من شاء من خلقه ، من ملّمات الظلم ومغشّيات البهم . وصلى الله على محمد وأهل بيته الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس [أهل البيت] وطهرهم تطهيراً .

أما بعد ، فقد فهمت يا أخى ماشكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها ، ومباينتهم العلم وأهله ، حتّى كاد العلم معهم أن يأرزكله وينقطع موادّه ، لما قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل ، ويضيّعوا العلم وأهله . وسألت : هل يسع الناس المقام على الجهالة والتدين بغير علم ، إذا كانوا داخلين في الدين ، مقرّين بجميع أموره على جهة الاستحسان ، والنشوء عليه والتقليد

وسياًنى تفسير التسليم في بابه ، والتهجّم : الدخول في الامر بفتة من غير روية ، والحظر والمنع تأكيد للفقرتين الاوليين على خلاف الترتيب .

قوله : لما أراد الله ، بالتخفيف تعليل للمذكورات سابقاً ، والملّمات جمع ملّمة وهى النازلة ، والظلم جمع الظلمة ، وهى البدعة والفتنة ، وقوله : مغشّيات البهم ، اى مستورات البهم ومغشّياتها ، والبهم كصرد جمع بهمة بالضم ، وهو الامر الذى لا يهتدى لوجهه ، اى الامور المشككة التى خفى على الناس ما هو الحق فيها وستر عنهم ، أو غشيت عليهم و أحاطت بهم ، بأن يقرء على بناء المفعول من التفعيل .

قوله : من اصطلاح أهل دهرنا ، اى تضالّهم وتوافقهم ، والتوازر : التعاون . قوله : أن يأرز ، في بعض النسخ بتقديم المعجمة على المهملة ، وهو جاء بمعنى القوة والضعف ، والمراد هنا الثانى ، والظاهر أنه بتقديم المهملة كما سياتى إنشاء الله تعالى في باب الغيبة : فيأرز العلم كما يأرز الحيّة في حجرها ، وقال الجوهري : في الحديث : أن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى حجرها ، اى ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها .

قوله : والنشوء عليه ، بفتح النون على فعل أو بالضم على فعول ، قال الجوهري : نشأت في بنى فلان نشوءاً إذا شبت فيهم ، وفي بعض النسخ : « والنشوق » بالقاف ، قال

للآباء ، والأسلاف والكبراء ، والاتكال على عقولهم في دقيق الأشياء وجليلها .
 فاعلم يا أخى رحمك الله أن الله تبارك وتعالى خلق عباده خلقه منفصلة من البهائم
 في الفطن والعقول المركبة فيهم ، محتملة للأمر والنهي ، وجعلهم جل ذكره صنفين
 صنفاً منهم أهل الصحة والسلامة ، وصنفاً منهم أهل الضرر والزمانة ، فخص أهل
 الصحة والسلامة بالأمر والنهي ، بعدما أكمل لهم آلة التكليف ، ووضع التكليف
 عن أهل الزمانة والضرر ، إذ قد خلقهم خلقه غير محتملة للأدب والتعليم وجعل
 عز وجل سبب بقائهم أهل الصحة والسلامة ، وجعل بقاء أهل الصحة والسلامة بالأدب
 والتعليم ، فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم ،

الجوهري : نشق الظبي في الحباله ، أى علق فيها ، ورجل نشيق إذا كان ممن يدخل
 في أمور لا يكاد يتخلص منها ، وفي بعضها : والسبق إليه ، والأول أصوب .
 قوله : على عقولهم ، الضمير راجع إلى الأسلاف والكبراء ، أو إلى أنفسهم والأول
 أظهر . قوله : منفصلة ، أى متميزة ، وقوله : والعقول ، مجرور بالعطف على الفطن .
 وقوله : محتملة صفة بعد أخرى لقوله خلقه ، أوحال عن العقول ، ويحتمل أن يكون
 العقول مبتداء ، ومحتملة خبره .

قوله : صنفاً ، بدل أو عطف بيان للمفعول الأول ، وقوله : أهل الصحة مفعول
 ثان . ويحتمل تقدير الفعل ثانياً ، ثم أنه يحتمل أن يكون المراد بالصف الأول
 المكلفين مطلقاً ، وبالصف الثاني غير المكلفين أصلاً من الصبيان والمجانين ، ويمكن
 أن يكون المراد بالأول من كان قابلاً لتحصيل المعارف والعلوم والكمالات ، وبالثاني :
 الضعفاء العقول من المكلفين الذين ليس لهم قوة تحصيل العلوم والمعارف والتميز
 التام بين الحق والباطل ، واستنباط الأحكام من أدلتها ، وهذا أظهر ، وإن كان بعض
 الفقرات الآتية يؤيد الأول ، فعلى الثاني المراد بالأمر والنهي : الأمر بتحصيل المعارف
 والأحكام ، والنهي عن الاكتفاء بالتقليد كالعوام ، وكذا المراد بوضع التكليف رفع
 التكليف بتحصيل العلم ، وإن أمكن حمله في الثاني على رفع التكليف مطلقاً ، إذ منع رفع

وفي جواز ذلك بطلان الكتب والرسل والآداب، وفي رفع الكتب والرسل والآداب فساد التدبير، والرجوع إلى قول أهل الدهر، فوجب في عدل الله عز وجلّ وحكمته أن يخصّ مَنْ خلق من خلقه خلقه محتملة للأمر والنهي، بالأمر والنهي، لئلاّ يكونوا سدى مهملين، وليعظموه ويوحّدوه، ويقرّوا له بالربوبية، وليعلموا أنّه خالقهم ورازقهم، إذ شواهد ربوبيّته دالة ظاهرة، وحججه نيّرة واضحة، وأعلامه لائحة تدعوهم إلى توحيد الله عز وجلّ، وتشهد على أنفسهم لصانعها بالربوبية والإلهية، لما فيها من آثار صنعه، وعجائب تدبيره، فندبهم إلى معرفته لئلاّ يبيع لهم أن يجهلوه ويجهلوا دينه وأحكامه، لأنّ الحكيم لا يبيع الجهل به، والانكار لدينه، فقال جلّ ثناؤه: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألاّ يقولوا على الله إلّاّ الحق»^(١) وقال: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه»^(٢) فكانوا محصورين بالأمر والنهي

العلم مطلقاً لا يتأتّى التكليف أصلاً، وعلى الأوّل بطلان الكتب والرسل لان الغرض الاصلى من البعثة تكميل النفوس القابلة.

قوله: ان يخصّ، بالخاء المعجمة والصاد المهملة، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والضاد المعجمة، بمعنى التحريض والترغيب، والاولّ أظهر، وقوله: بالامر والنهي، متعلق بيخصّ، والسدى بضمّ السين وقد يفتح وكلاهما للواحد والجمع بمعنى المهمل وقوله: مهملين عطف بيان أوصفة موضحة.

قوله تعالى: «ميثاق الكتاب» أى ميثاق المأخوذ في الكتاب، وهو التوراة وقوله: «أن لا يقولوا» عطف بيان للميثاق أو متعلق به، أى بأن لا يقولوا، وقيل: المراد بالميثاق قوله في التوراة: من ارتكب ذنباً عظيماً فانه لا يغفر [له] إلّاّ بالتوبة وحينئذٍ قوله: أن لا يقولوا مفعول له أى لئلاّ يقولوا.

قوله تعالى: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» أقول: تمتة الآية «و لما

(١) سورة الاعراف : ١٦٩ .

(٢) سورة يونس : ٣٩ .

مأمورين بقول الحق ، غير مَرخَص لهم في المقام على الجهل ، أمرهم بالسؤال ، و التفقه في الدين فقال : « فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم »^(١) وقال : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »^(٢) . فلو كان يسع أهل الصحة والسلامة ، المقام على الجهل ، لما أمرهم بالسؤال ، ولم يكن يحتاج إلى بعثة الرسل بالكتب والآداب ، وكادوا يكونون عند ذلك بمنزلة البهائم ، ومنزلة أهل الضرر والزمانة ، ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين ، فلما لم يجز بقاؤهم إلا بالأدب والتعليم ، وجب أنه لابد لكل صحيح الخلقة ، كامل الآلة من مؤدب ، ودليل ، ومشير ، وأمر ، وناء ، وأدب ، وتعليم ، وسؤال ، ومسألة .

فأحق ما اقتبسه العاقل ، والتمسه المتدبر الفطن ، وسعى له الموفق المصيب ، العلم بالدين ، ومعرفة ما استعبد الله به خلقه من توحيد ، وشرائعه وأحكامه ، وأمره ونهيه وزواجره وآدابه ، إن كانت الحجة ثابتة ، والتكليف لازماً ، والعمر يسيراً ، والتسوية غير مقبول ، والشرط من الله جل ذكره فيما استعبد به خلقه أن يؤدوا

بأنهم تأويله » والمعنى كما قيل : بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يفقهوا ويتدبروا آياته ، ويقفوا على تأويله ومعانيه .

قوله : أمرهم بالسؤال ، لما كان بمنزلة التعليل للسابق ترك العاطف .

قوله تعالى « ليتفقهوا » ، الظاهر ان ضمير الجمع فيه وفي « ولينذروا » و في « رجعوا » راجع الى الطائفة ، فالمراد بالنفور الخروج للتفقه ، وقيل : المراد به النفور إلى الجهاد ، أي لولانفر طائفة للجهاد ويبقى بعضهم للتفقه لينذر ويعلم الباقون الساكنون ، النافرين بعد رجوع النافرين اليهم فالضمير في « يتفقهوا » و « ينذروا » راجع الى الفرقة أي بقيتهم ، وفي « رجعوا » الى القوم .

قوله : من توحيد ، بيان للدين ، وما بعده بيان لما استعبد الله به خلقه .

جميع فرائضه بعلم و يقين وبصيرة ، ليكون المؤدّي لها محموداً عند ربّه ، مستوجباً
لثوابه ، وعظيم جزائه ، لأنّ الذي يؤدّي بغير علم وبصيرة ، لا يدري ما يؤدّي ، و
لا يدري إلى من يؤدّي ، وإذا كان جاهلاً لم يكن على ثقة ممّا أدّى ، ولا مصداً ،
لأنّ المصدّق لا يكون مصداً حقّاً حتّى يكون عارفاً بما صدّق به من غير شك ولا شبهة ،
لأنّ الشاك لا يكون له من الرغبة والرغبة والخضوع والتقرّب مثل ما يكون من
العالم المستيقن ، وقد قال الله عزّ وجلّ : « إلاّ من شهد بالحقّ وهم يعلمون »^(١) فصارت
الشهادة مقبولة لعلّة العلم بالشهادة ، ولولا العلم بالشهادة لم تكن الشهادة مقبولة ،
والأمر في الشاك المؤدّي بغير علم وبصيرة ، إلى الله جلّ ذكره ، إن شاء تطوّل عليه
فقبل عمله ، وإن شاء ردّه عليه ، لأنّ الشرط عليه من الله أن يؤدّي المفروض
بعلم وبصيرة و يقين ، كيلا يكونوا ممّن وصفه الله فقال تبارك وتعالى « ومن
الناس من يعبد الله على حرف فإنّ أصابه خيرٌ اطمأنّ به وإنّ أصابته فتنة انقلب
على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »^(٢) لأنّه كان داخلاً فيه
بغير علم ولا يقين ، فلذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين ، وقد قال العالم عليه السلام :

قوله : بعلم و يقين ، لقوله تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم »^(٣) وأمثاله كثيرة .

قوله : بالشهادة ، أى الأمر المشهود به .

قوله : والأمر في الشاك ، الظاهر أن المراد بالشك هنا مقابل اليقين ، فيشمل
الظنّ المستند الى التقليد وغيره ايضاً .

قوله تعالى : « على حرف » أى على وجه واحد كأن يعبد على السراء
لا الضراء ، أو على شك ، أو على غير طمأنينة ، والحاصل أنّه لا يدخل في الدين متمكناً
مستقراً ، وقال القاضي : أى على طرف من الدين لا ثبات له فيه ، كالذى يكون على
طرف الجيش ، فإن أحسّ بظفر قرّ وإلاّ قرّ .

قوله : وقد قال العالم ، أى المعصوم ، وتخصيصه بالكاظم عليه السلام غير معلوم .

(١) سورة الزخرف : ٨٧ . (٢) سورة الحج : ١١ .

(٣) سورة الاسراء : ٣٦ .

« من دخل في الإيمان بعلم ثبت فيه ، ونفعه إيمانه ، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه » ، وقال عليه السلام : « من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول ، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردته الرجال » ، وقال عليه السلام : « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتكسب الفتن » .

ولهذه العلة انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة ، والمذاهب المستنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها ، وذلك بتوفيق الله تعالى وخذلانه ، فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً مستقراً ، سبب له الأسباب التي تؤديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة ، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي ، ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً - نعوذ بالله منه - سبب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة ، فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك وتعالى أتم إيمانه ، وإن شاء سلبه إتياء ، ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً و يصبح كافراً ، لأنه كلما رأى كبيراً من الكبراء مال معه ، وكلما رأى شيئاً استحسنت

قوله : قبل أن يزول ، الضمير المستتر إما راجع إلى الموصول أو إلى الدين .
قوله : لم يتكسب ، قال في القاموس : نكب عنه كنصر وفرح نكباً ونكبياً و نكوباً : عدل كنكب وتكسب .

قوله : انبثقت ، يقال بثق الماء بثوقاً : فتحه بأن خرق الشط ، وانبثق هو : اذا جرى بنفسه من غير فجر ، والبثق بالفتح والكسر الاسم ، كذا في المغرب ، والبثوق فاعل انبثقت ، فان كان المراد بالبثوق الشقوق ، أي المواضع المنخرقة ، فالمراد بالانبثق التشقق ، ولو حمل على الجريان فالاسناد مجازي ، وكذا لو حمل البثوق على المعنى المصدرى لا بد من ارتكاب تجوز في الاسناد ، ويحتمل على بعد إرجاع ضمير انبثقت إلى الفتن ، فيكون البثوق مفعولاً مطلقاً من غير باب ، وقيل : شبه الأديان الفاسدة بالسيول ، وأثبت لها البثوق ، ففيه استعارة مكنية وتخيلية ، وفيه ما لا يخفى على

ظاهره قبله ، وقد قال العالم عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّبِيِّينَ عَلَى النَّبُوَّةِ ، فَلَا يَكُونُونَ إِلَّا أَنْبِيَاءَ ، وَخَلَقَ الْأَوْصِيَاءَ عَلَى الْوَصِيَّةِ ، فَلَا يَكُونُونَ إِلَّا أَوْصِيَاءَ ، وَاعَارَقُوا إِيمَانًا فَإِنْ شَاءَ تَمَّتْ لَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ سَلِبَهُمْ إِيَّاهُ ، قَالَ : وَفِيهِمْ جَرَى قَوْلُهُ : « فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ » ^(١) .

وذكرت أن أموراً قد أشكلت عليك ، لانهرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها وأنك تعلم أن اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها ، وأنك لاتجد بحضرتك من تذاكره وتفاوضه ممن تثق بعلمه فيها ، وقلت : إنك تحب أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدين ، مايكتفي به المتعلم ، ويرجع إليه المسترشد ، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين

المتأمل ، وسيأتي تحقيق معنى التوفيق والخذلان على وجه يوافق أصول أهل العدل في كتاب الايمان والكفر إنشاء الله تعالى .

قوله تعالى « فَمُسْتَقَرٌّ » : بفتح القاف وكسرها على اختلاف القراءة جار في النبي والوصى ، فبالفتح إسم مفعول يعنى مثبت في الايمان ، أو إسم مكان يعنى له موضع استقرار وثبات فيه ، وبالكسر إسم فاعل يعنى مستقر ثابت فيه ، « ومستودع » بفتح الدال إسم مفعول أو إسم مكان جار في المعار ، وقال البيضاوى في قوله تعالى : « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع » أى فلکم استقرار في الأصلاب أو فوق الارض ، وإستيداع في الأرحام أو تحت الارض ، وقرء ابن كثير والبصريان بكسر القاف ، على أنه فاعل ، والمستودع مفعول أى فممنكم قار وممنكم مستودع .

قوله : بالآثار الصحيحة ، استدلل به الاخباريون على جواز العمل بجميع اخبار الكافى وكون كلها صحيحة و أن الصحة عندهم غير الصحة باصطلاح المتأخرين ، وزعموا أن حكمهم بالصحة لانقص عن توثيق الشيخ أو النجاشى أو غيرهما رجال السند ، بل ادعى بعضهم أن الصحة عندهم بمعنى التواتر ، والكلام فيها طويل ، و

عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل ، وبها يؤدي فرض الله عز وجلّ و
سنة نبيه ﷺ وقلت : لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتدارك الله [تعالى]
بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملتنا ويقبل بهم إلى مرشددهم .

فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يسع أحداً تمييز شيء مما اختلفت الرواية
فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه ، إلا على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام : « اعرضوها على
كتاب الله فما وافى كتاب الله عز وجلّ فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردّوه » وقوله
عليه السلام : « دعوا ما وافق القوم فإنّ الرشد في خلافهم » وقوله عليه السلام « خذوا

قد فصلنا القول في ذلك في المجلد الآخر من كتاب بحار الانوار ، وخلاصة القول في
ذلك والحقّ عندى فيه : أن وجود الخبر في أمثال تلك الأصول المعتمدة مما يورث
جواز العمل به ، لكن لا بدّ من الرجوع إلى الأسانيد لترجيح بعضها على بعض عند
التعارض ، فإنّ كون جميعها معتبراً لا ينافي كون بعضها أقوى ، وأمّا جزم بعض المجازفين
بكون جميع الكافي معروضاً على القائم عليه السلام لكونه في بلدة السفراء فلا يخفى ما فيه
على ذى لبّ ، نعم عدم إنكار القائم وآبائه صلوات الله عليه وعليهم ، عليه وعلى
أمثاله في تأليفاتهم ورواياتهم مما يورث الظنّ المتأخّر للعلم بكونهم عليهم السلام راضين
بفعلهم ومجوزين للعمل بأخبارهم .

قوله : بمعونته وتوفيقه ، قيل : الضميران عائدان الى السبب لا إلى الله تعالى ،
لخلوّ الجملة الوصفية عن العائد ويمكن تقدير العائد .

قوله : مما اختلفت الرواية فيه ، قيل : المراد بالروايات المختلفة التي لا يحتمل
الحمل على معنى يرتفع به الاختلاف بملاحظة جميعها ، وكون بعضها قرينة على
المراد من البعض ، لا التي يتراءى فيها الاختلاف في بادية الرأى ، وطريق العمل في
المختلفات الحقيقية كما ذكره بعد شهرتها وإعتبارها العرض على كتاب الله والأخذ
بموافقه دون مخالفه ، ثمّ الأخذ بمخالف القوم ، ثمّ الأخذ من باب التسليم بأبيها
تيسر « انتهى » .

بالمجمع عليه ، فإنَّ المجمع عليه لا ريب فيه « ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقله ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع من ردِّ علم ذلك كله إلى العالم عليه السلام وقبول ما وسَّع من الأمر فيه بقوله عليه السلام : « بآيما أخذتم من باب التسليم وسعكم » .
وقد يستر الله - وله الحمد - تأليف ماسألت ، وأرجو أن يكون بحيث توخيت فهمها كان فيه من تقصير فلم تقصر نيئتنا في إهداء النصيحة ، إذ كانت واجبة لاخواننا وأهل ملتنا ، مع مارجوننا أن نكون مشاركين لكلِّ من اقتبس منه ، وعمل بما فيه في دهرنا هذا ، وفي غابره إلى إنقضاء الدنيا ، إذ الربَّ جلَّ وعزَّ واحدٌ والرسول محمد خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه وآله - واحد ، والشرعة واحدة وحلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، ووسَّعنا قليلاً كتاب الحجَّة وإن لم نكملهُ على استحقاقه ، لأنَّا كرهنا أن نبخس حظوظه كلها .

قوله : إلا أقله ، أى أقلَّ ذلك الجميع ، والمعنى أننا لا نعرف من أفراد التمييز الحاصل من جهة تلك القوانين المذكورة إلا الأقل ، أو لا نعرف من جميع ذلك المذكور من القوانين الثلاثة إلا الأقل ، والحاصل أنَّ الاطلاع على تلك الأمور والتوسُّل بها في رفع الاختلاف بين الأخبار مشكل ، إذا العرض على الكتاب موقوف على معرفته وفهمه ، ودونه خُط القِتَاد ، وإيضاً أكثر الأحكام لا يستنبط ظاهراً منه ، وأما أقوال المخالفين فإنَّ الاطلاع عليها مشكل لأكثر المحصلين ومع الاطلاع عليها قلَّ ما يوجد مسألة لم يختلفوا فيها ، ومع إختلافهم لا يعرف ما يخالفهم إلا أن يعلم ما كان أشهر وأقوى عند القضاة والحكَّام في زمان من صدر عنه الخبر عليه السلام وهذا يتوقف على تتبع تامٍّ لكتب المخالفين وأقوالهم ، ولا يتيسر لكلِّ أحد ، وأمَّا الأخذ بالمجمع عليه فإنَّ كان المراد به ما أجمع على الإفتاء به كما فهمه أكثر المتأخِّرين ، فالاطلاع عليه متعسِّر بل متعذَّر ، إلا أنَّ يحمل على الشهرة فانَّها وإن لم تكن حجَّة في نفسها يمكن كونها مرجَّحة لبعض الأخبار المتعارضة ، لكن يرد عليه أنَّ الفتوى لم تكن شائعاً في تلك الأزمنة السالفة ، بل كان مدارهم على نقل الأخبار ، وكانت تصانيفهم

وأرجو أن يسهّل الله جلّ وعزّ إمضاء ماقدّمنا من النية، إن تأخّر الأجل
صنّفنا كتاباً أوسع وأكمل منه، نوفيّه حقوقه كلّها إن شاء الله تعالى وبه الحول
والقوة وإليه الرغبة في الزيادة في المعونة والتوفيق. والصلاة على سيّدنا محمد النبيّ
 وآله الطاهرين الأخيار.

وأول مابدأ به وأفتتح به كتابي هذا: كتاب العقل، وفوائد العلم، وارتفاع
درجة أهله، وعلوّ قدرهم، ونقص الجهل، وخساسة أهله، وسقوط منزلتهم، إذ كان
العقل هو القطب الذي عليه المدار وبه يحتجّ وله الثواب؛ وعليه العقاب، [والله
الموفق].

مقصورة على جمع الأخبار وروايتها وتدوينها، وإن كان المراد به الإجماع في النقل
والرواية، وتكرّره في الأصول المعتمدة كما هو الظاهر من دأبهم، فهذا أيضاً مما يعسر
الاطلاع عليه، ويتوقف على تتبع كلّ الأصول المعتمدة، فظهر أن ما ذكره (ره) من
قلّة ما يعرف من ذلك حقّ، لكن كلامه يحتمل وجهين:

الاول: أنه لما كان الاطلاع عليها عسراً، والانتفاع بها نزراً فينبغي تركها و
الاخذ بالتخيير، وهذا هو الظاهر من كلامه، فيرد عليه أن ذلك لا يصير سبباً لتركها
فيما يمكن الرجوع اليهامع ورودها في الاخبار المعتمدة.

والثاني: أن يكون المراد أن الانتفاع بقاعدة التخيير أكثر، والانتفاع بغيرها
أقلّ، ولا بدّ من العمل بها جميعاً في مواردّها، وهذا صحيح لكنّه بعيد من العبارة،
ويؤيدّ الاول ترك المصنّف (ره) إيراد الاخبار المتعارضة، واختيار ما هو أقوى عنده و
فيه مافيه، ولذا وجّه بعض المعاصرين ذلك بأنّه أنما فعل ذلك برخصة الامام عليه السلام،
وقد عرفت مافيه، وأمّا سند خبر التخيير وطريق الجمع بينه وبين مقبولة عمر بن
حنظلة، فسيأتي بعض القول فيهما في باب اختلاف الحديث إنشاء الله تعالى، وتام
القول فيهما موكل الى كتابنا الكبير.

﴿ كتاب العقل والجهل ﴾

١ - أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال : حدثني عدة من أصحابنا منهم محمد

﴿ كتاب العقل والجهل ﴾

كذا في النسخ والظاهر باب العقل أو ذكر الباب بعد الكتاب كما يظهر من فهرست الشيخ (ره).

الحديث الاول صحيح .

والظاهر ان قائل أخبرنا أحد رواة الكافي من النعماني والصفواني وغيرهما، ويحتمل أن يكون القائل هو المصنف (ره) كما هو دأب القدماء ، ثم أعلم ان فهم أخبار أبواب العقل يتوقف على بيان ماهية العقل واختلاف الآراء والمصطلحات فيه .

فنقول : ان العقل هو تعقل الاشياء وفهمها في أصل اللغة ، واصطلاح إطلاقه على

امور :

الاول : هو قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما ، والتمكن من معرفة أسباب الامور ذوات الاسباب ، وما يؤدي اليها وما يمنع منها ، والعقل بهذا المعنى مناط التكليف والثواب والعقاب .

الثاني : ملكة وحالة في النفس تدعو الى إختيار الخيرات والمنافع ، واجتناب الشرور والمضار ، وبها تقوى النفس على زجر الدواعي الشهوانية والفضيية ، و الوسواس الشيطانية ، وهل هذا هو الكامل من الاول ام هو صفة اخرى وحالة مغايرة للأولى ، كل منهما محتمل ، وما يشاهد في أكثر الناس من حكمهم بخيرية بعض الامور ، مع عدم إتيانهم بها ، وبشرية بعض الامور مع كونهم مولعين بها ، يدل على أن هذه الحالة غير العلم بالخير والشر ، والذي ظهر لنا من تتبع الأخبار المنتمية الى الأئمة الابرار سلام الله عليهم ، هو أن الله خلق في كل شخص من أشخاص

بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن العلاء بن رزين ،

المكلفين قوةً واستعداداً لا يدرك الامور من المضار والمنافع وغيرها على اختلاف كثير بينهم فيها ، و اقل درجاتها مناط التكليف وبها يتميز عن المجانين و باختلاف درجاتها تتفاوت التكاليف ، فكلما كانت هذه القوة أكمل ، كانت التكاليف أشق وأكثر ، وتكمل هذه القوة في كل شخص بحسب استعداده بالعلم والعمل ، فكلما سعى في تحصيل ما ينفعه من العلوم الحقّة ، وعمل بها تقوى تلك القوة ، ثم العلوم تتفاوت في مراتب النقص والكمال ، وكلما ازدادت قوة فكثرت آثارها ، وتحت صاحبها بحسب قوتها على العمل بها ، فأكثر الناس علمهم بالمبدء والمعاد وسائر أركان الايمان علم تضورى يسمونه تصديقاً ، وفي بعضهم تصديق ظنى ، وفي بعضهم تصديق اضطرارى ، فلذا لا يعملون بما يدعون ، فاذا كمل العلم وبلغ درجة اليقين تظهر آثاره على صاحبه كل حين ، وسيأتى تمام تحقيق ذلك في كتاب الايمان والكفر انشاء الله تعالى .

الثالث : القوة التى يستعملها الناس في نظام امور معاشهم ، فان وافقت قانون الشرع ، واستعملت فيما استحسنته الشارع تسمى بعقل المعاش ، وهو ممدوح في الاخبار ومغايرته لما قدمه بنوع من الاعتبار واذا استعملت في الامور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى بالنكراء والشيطنة في لسان الشرع ، ومنهم من ثبتوا لذلك قوة اخرى وهو غير معلوم .

الرابع : مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وقربها و بعدها من ذلك وأثبتوا لها مراتب أربعاً سموها بالعقل الهولاني والعقل بالملكة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، وقد تطلق هذه الاسامى على النفس في تلك المراتب ، وتفصيلها مذكور في مظانها ويرجع الى ما ذكرنا أولاً ، فان الظاهر أنها قوة واحدة ، تختلف أسمائها بحسب متعلقاتها وما تستعمل فيه .

الخامس : النفس الناطقة الانسانية التى بها يتميز عن سائر البهائم .

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له :

السادس : ماذهب اليه الفلاسفة وأثبتوه بزعمهم من جوهر مجرد قديم لا تعلق له بالمادة ذاتاً ولا فعلاً ، والقول به كما ذكروه مستلزم لا ينكار كثير من ضروريات الدين من حدوث العالم وغيره ، مما لا يسع المقام ذكره ، وبعض المنتحلين منهم للإسلام أثبتوا عقولاً حادثة وهى أيضاً على ما أثبتوها مستلزمة لا ينكار كثير من الاصول المقررة الاسلامية ، مع انه لا يظهر من الاخبار وجود مجرد سوى الله تعالى ، وقال بعض محققهم : ان نسبة العقل العاشر الذى يسمونه بالعقل الفعال الى النفس كنسبة النفس الى البدن ، فكما أن النفس صورة للبدن ، والبدن مادتها ، فكذلك العقل صورة للنفس والنفس مادته ، وهو مشرق عليها ، وعلومها مقتبسة منه ، و يكمل هذا الارتباط إلى حد تطالع العلوم فيه ، وتتصل به ، وليس لهم على هذه الامور : ليل الامموات شبهات ، أو خيالات غريبة ، زينوها بلطائف عبارات .

فاذا عرفت ما مهدنا فاعلم أن الاخبار الواردة في هذه الابواب أكثرها ظاهرة في المعنيين الاولين ، الذى مآلها الى واحد ، وفي الثانى منهما أكثر وأظهر ، وبعض الاخبار يحتمل بعض المعانى الاخرى ، وفي بعض الاخبار يطلق العقل على نفس العلم النافع المورث للنجاة ، المستلزم لحصول السعادات ، فاما أخبار استنطاق العقل وإقباله وإدباره ، فيمكن حملها على أحد المعانى الاربعة المذكورة أولاً ، أو ما يشملها جميعاً وحينئذ يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير كما ورد في اللغة ، أو يكون المراد بالخلق الخلق في النفس وإتصاف النفس بها ، ويكون سائر ما ذكر فيها من الاستنطاق والإقبال والإدبار وغيرها إستعادة تمثيلية لبيان أن مدار التكليف والكمالات والترقيات على العقل ، ويحتمل أن يكون المراد بالاستنطاق جعله قابلاً لأن يدرك به العلوم ، ويكون الامر بالإقبال والإدبار أمراً تكوينياً بجعله قابلاً لكونه وسيلة لتحصيل الدنيا والآخرة والسعادة والشقاوة معاً ، وآلة للاستعمال في تعرف حقائق الامور والتفكر في ذقائق الحيل أيضاً ، وفي بعض الاخبار : بك أمر وبك

أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال : وعزّي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبُّ

أنهى وبك أعاقب وبك أئيب ، وهو منطبق على هذا المعنى لأنّ أقلّ درجاته مناط صحّة أصل التكليف ، وكلّ درجة من درجاته مناط صحة بعض التكليف وفي بعض الاخبار «ياك» مكان «بك» في كل المواضع ، وفي بعضها في بعضها ، فالمراد المبالغة في اشتراط التكليف به ، فكأنّه هو المكلف حقيقة ، وما في بعض الاخبار : من أنّه أوّل خلق من الروحانيين فيحتمل أن يكون المراد أوّل مقدّر من الصفات المتعلقة بالروح ، و أوّل غريزة تطبع عليه النفس ، وتودع فيها ، أو يكون أوّلّيته باعتبار أوّلّيته ما يتعلق به من النفوس ، وأمّا إذا حملت على المعنى الخامس ، فيحتمل أن يكون أيضاً على التمثيل كما مرّ وكونها مخلوقة ظاهر ، وكونها أوّل مخلوق إمّا باعتبار أنّ النفوس خلقت قبل الأجساد كما ورد في الاخبار المستفيضة ، فيحتمل أن يكون خلق الارواح مقدّماً على خلق جميع المخلوقات غيرها ، لكن خبر : «أوّل ما خلق العقل» لم أجده في الاخبار المعتبرة ، وإتّما هو مأخوذ من أخبار العامة ، وظاهر أكثر أخبارنا أنّ أوّل المخلوقات الماء أو الهواء كما ينشأ في كتاب السماء والعالم من كتابنا الكبير . نعم ورد في أخبارنا أنّ العقل أوّل خلق من الروحانيين ، وهو لا ينافي تقدّم خلق بعض الاجسام على خلقه ، حينئذ فالمراد بإقبالها بناء أعلى ما ذهب اليه جماعة من تجرّد النفس : إقبالها إلى عالم المجرّدات ، وإقبالها تعلّقها بالبدن والماديّات ، أو المراد بإقبالها إقبالها إلى المقامات العالية و الدرجات الرفيعة ، وإقبالها هبوطها عن تلك المقامات ، وتوجّهها إلى تحصيل الامور الدنيّة الدنيويّة ، وتشبّهها بالبهائم والحيوانات ، فعلى ما ذكرنا من التمثيل يكون الغرض بيان أنّ لها هذه الاستعدادات المختلفة ، وهذه الشئون المتباعدة ، وإن لم تحمل على التمثيل يمكن أن يكون الاستنتاج حقيقياً وأن يكون كناية عن جعلها مدركة للكليّات ، وكذا الأمر بالإقبال والإدبار يمكن أن يكون حقيقياً لظهور إنقيادها لما يريدّه تعالى منها ، وأن يكون أمراً تكوينيّاً لتكون قابلة للامرين اى الصعود إلى الكمال و

إِلَى مَنْكَ وَلَا أَكْمَلْتِكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبَّ ، أَمَا إِنِّي إِيمَاكَ آمِرٌ ، وَإِيمَاكَ أَنْهَى وَإِيمَاكَ

القرب والوصال ، والهبوط الى النفس وما يوجب الوبال أولئك كون في درجة متوسطة من التجرد لتعلقها بالماديات لكن تجرد النفس لم يثبت لنا من الاخبار ، بل الظاهر منها ماديتها كما بيناه في مظانه .

وربما يقال : المراد بالاقبال ، الإقبال الى عالم الملك بتعلقه بالبدن ، لا استكمال القوة النظرية والعملية ، وبالإدبار : الادبار عن هذا العالم ، وقطع التعلق عن البدن ، والرجوع إلى عالم الملكوت .

وقيل : يحتمل أن يكون قوله « استنطقه » محمولاً على معناه اللغوي إشارة إلى ما وقع في يوم الميثاق ، وإن كان كفيته غير معلوم لنا ، والمراد بالإقبال الإقبال إلى الحق من التصديق بالالهوية والتوحيد والعدل وغير ذلك مما يجب تصديقه ، و بالإدبار الإدبار عن الباطل بأن يقولوا على الله بغير علم ، وأمثاله وحينئذ لا حاجة في الحديث إلى تأويل .

واماً المعنى السادس فلو قال أحد بجوهر مجرد لا يقول بقدمه ، ولا بتوقف تأثير الواجب في الممكنات عليه ، ولا بتأثيره في خلق الأشياء ، ويسميه العقل ، و يجعل بعض تلك الاخبار منطبقاً على ماسماه عقلاً ، فيمكنه أن يقول : ان إقباله عبارة عن توجهه إلى المبدء وإدباره عبارة عن توجهه إلى النفوس لاشراقه عليها و استكمالها به .

فاذا عرفت ذلك فاستمع لما يتلى عليك من الحق التحقيق بالبيان ، وبأن لا يبالي بما يشتمل عنه من نواقص الازدهان ، فاعلم أن أكثر ما أثبتوه لهذه العقول قد ثبت لأرواح النبي والأئمة عليهم السلام في أخبارنا المتواترة على وجه آخر ، فانهم أثبتوا القدم للعقل ، وقد ثبت التقدم في الخلق لأرواحهم إمّا على جميع المخوقات ، أو على سائر الروحانيين في أخبار متواترة ، وأيضاً أثبتوا لها التوسط في اليجاد أو الاشتراط في التأثير ، وقد ثبت في الاخبار كونهم علّة غائية لجميع المخلوقات ، وأنه لولاهم لما

أعاقب، وإيّاك أُنيب .

خلق الله الأفلاك وغيرها، وأثبتوا لها كونها وسائط من إفاضة العلوم والمعارف على النفوس والارواح، وقد ثبت في الأخبار أن جميع العلوم والحقايق في المعارف بتوسطهم يفيض على سائر الخلق حتى الملائكة والأنبياء، والحاصل أنه قد ثبت بالأخبار المستفيضة: أنهم عليهم السلام الوسائل بين الخلق وبين الحق في إفاضة جميع الرّمات والعلوم والكمالات على جميع الخلق، فكلما يكون التوسّل بهم والانعان بفضلهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله تعالى أكثر، ولما سلكوا سبيل الرياضات والتفكرات مستبدّين بآرائهم على غير قانون الشريعة المقدّسة، ظهرت عليهم حقيقة هذا الأمر ملبّساً مشبّها فأخطئوا في ذلك وأثبتوا عقولاً وتكلّموا في ذلك فضولاً، فعلى قياس ما قالوا يمكن أن يكون المراد بالعقل نور النبي صلوات الله عليه وآله الذي انشعبت منه أنوار الأئمة عليهم السلام واستنطاقه على الحقيقة، أو يجعله محلاً للمعارف الغير المتناهية، والمراد بالأمر بالإقبال ترقّيه على مراتب الكمال وجذبه إلى أعلى مقام القرب والوصال، وبإدباره إمّا إنزاله إلى البدن أو الأمر بتكميل الخلق بعد غاية الكمال، فانه يلزم التنزّل عن غاية مراتب القرب، بسبب معاشرّة الخلق ويؤمى إليه قوله تعالى «فدأترل الله اليكم ذكراً رسولاً» ^(١) وقد بسطنا الكلام في ذلك في الفوائد الطريفة .

ويحتمل ان يكون المراد بالإقبال الاقبال إلى الخلق، وبالإدبار الرجوع إلى عالم القدس بعد إتمام التبليغ، ويؤيده ما في بعض الأخبار من تقديم الادبار على الاقبال .

وعلى التقدير فالمراد بقوله تعالى «ولأأكملتك» يمكن أن يكون المراد ولأأكملت محبتك والارتباط بك، وكونك واسطة بينه وبينى إلا فيمن أحبه أو يكون الخطاب مع روحهم ونورهم عليهم السلام، والمراد بالإكمال إكماله في أبدانهم الشريفة،

أى هذا النور بعد تشعبه ، بأى بدن تعلق وكمل فيه يكون ذلك الشخص أحبّ الخلق إلى الله تعالى ، وقوله : « إياك آمر » التخصيص إمّا لكونهم صلوات الله عليهم مكلفين بما لم يكلف به غيرهم ، ويتأتى منهم من حقّ عبادته تعالى - ما لا يتأتى من غيرهم ، أو لا يشترط صحة أعمال العباد بولايتهم ، والإقرار بفضلهم بنحو ما مرّ من التجوّز ، وبهذا التحقيق يمكن الجمع بين ما روى عن النبي ﷺ : أن أول ما خلق الله نوري ، وبين ما روى : أن أول ما خلق الله العقل ، وما روى أن أول ما خلق الله النور ، إن صحّت أسانيدها ، وتحقيق هذا الكلام على ما ينبغي يحتاج إلى نوع من البسط والإطناب ولووفينا حقه ، لكننا أخلفنا ما وعدناه في صدر الكتاب .

وامّا ما رواه الصدوق في كتاب علل الشرايع بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي ﷺ سئل ممّا خلق الله عزّ وجلّ العقل؟ قال : خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق ، من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة ، ولكلّ رأس وجه ولكلّ آدمي رأس من رؤوس العقل ، وإسم ذلك الانسان على وجه ذلك الرأس مكتوب ، وعلى كلّ وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتّى يولد هذا المولود ، ويبلغ حدّ الرّجال أوحد النساء ، فاذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الانسان نور ، فيفهم الفريضة والسنة والجيد والردى ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت .

فهو من غوامض الاخبار ، والظاهر أن الكلام فيه مسوق على نحو الرّموز والاسرار ، ويحتمل أن يكون كناية عن تعلّقه بكلّ مكلف وأنّ لذلك التعلّق وقتاً خاصاً وقبل ذلك الوقت موانع عن تعلّق العقل من الأغشية الظلمانيّة ، والكدورات الهيولانيّة ، كستر مسدول على وجه العقل ، ويمكن حمله على ظاهر حقيقته على بعض الاحتمالات السالفة ، وقوله : خلقه ملك ، لعله بالاضافة أى خلقته كخلق الملائكة في لطافته وروحانيّته ، ويحتمل أن يكون خلقه مضافاً الى الضمير مبتدأ ، وملك خبره ، أى خلقته خلقه ملك ، أو هو ملك حقيقة والله يعلم .

٢ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن عمرو بن عثمان ، عن مفضل بن صالح ، عن سعد بن طريف ، عن الأصمغ بن نباته ، عن علي بن أبي طالب قال : هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال : يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم : يا جبرئيل وما الثلاث ؟ فقال : العقل والحياء والدين فقال آدم : إني قد اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء والدين : انصرفا ودعاه فقالا : يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، قال : فشأنكما وعرج .

٣ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما العقل ؟ قال : ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان

الحديث الثاني : ضعيف .

قوله عليه السلام : هبط جبرئيل ، الظاهر أن آدم عليه السلام حين هبوط جبرئيل عليه كان ذاهياً وعقل ودين ، والأمر باختيار واحدة لا ينافي حصولها على أنه يحتمل أن يكون المراد كمال تلك الخلال بحسب قابلية آدم عليه السلام وقول جبرئيل عليه السلام للحياء والدين بعد اختيار العقل : انصرفا لا يظهر ما لزمتهما للعقل بقولهما : إنا أمرنا أن نكون مع العقل ، ولعل الغرض من ذلك أن ينبه آدم عليه السلام على عظمة نعمة العقل ، ويحثه على شكر الله على إنعامه .

قوله : « فشأنكما » الشان بالهمزة : الأمر والحال ، أي ألزما شأنكما أو شأنكما معكما ، ثم أنه يحتمل أن يكون ذلك استعارة تمثيلية كما مر أو أن الله تعالى خلق صورة مناسبة لكل واحد منها ، وبعثها مع جبرئيل عليه السلام والحياء صفة تنبعث عنها ترك القبيح عقلاً مخافة الأذى ، والمراد بالدين التصديق بما يجب التصديق به والعمل بالشرائع ، والنواميس الإلهية ، والمراد بالعقل ، هنا ما يشمل الثلاثة الأولى .

الحديث الثالث : مرسل .

قوله عليه السلام : ما عبد به الرحمان ، الظاهر أن المراد بالعقل هنا المعنى الثاني من المعاني التي أسلفنا ، ويحتمل بعض المعاني الأخر كما لا يخفى ، وقيل : يراد به هنا

قال : قلت : فالذي كان في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء تلك الشيطنة ، وهي شبيهة بالعقل ، وليست بالعقل .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن الجهم قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : صديق كل امرء عقله ، وعدوه جهله .

٥ - وعنه ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن الجهم ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إن عندنا قوماً لهم محبة ، وليست لهم تلك العزيمة يقولون بهذا القول ؟ فقال : ليس أولئك ممن عاتب الله إنما قال الله : « فاعتبروا يا أولي الابصار » .

ما يعد به المرء عاقلاً عراً وهو قوة التمييز بين الباطل والحق ، والضار والنافع التي لا تكون منغمرة في جنود الجهل ، فعند غلبة جنوده لا يسمى الفطن المميز عاقلاً ، حيث لا يعمل بمقتضى التمييز والفضانة ، ويستعملها في مشتبهات جنود الجهل .
قوله : فالذي كان في معاوية ، أى ماهو ؟ وفي بعض النسخ فما الذى ؟ فلا يحتاج الى تقدير .

قوله عليه السلام : تلك النكراء ، يعنى الدهاء والفظنة ، وهى جودة الرأى وحسن الفهم ، وإذا استعملت في مشتبهات جنود الجهل يقال لها الشيطنة وبه عليه السلام عليه بقوله : تلك الشيطنة بعد قوله : تلك النكراء .

الحديث الرابع : موثق ولا يقصر عن الصحيح .

والمراد بالعقل هنا كماله بأحد المعانى السابقة .

الحديث الخامس : مثل السابق سنداً .

قوله : وليست لهم تلك العزيمة ، أى الرسوخ في الدين أو الاعتقاد الجازم بالإمامة ، إعتقاداً ناشئاً من الحجّة والبرهان ، وعلى التقديرين المراد بهم المستضعفون الذين لا يمكنهم التمييز التام بين الحق والباطل .

قوله : ممن عاتب الله ، أى عاتبه الله على ترك الاستدلال والعمل بالتقليد ،

٦ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن حسان ، عن أبي محمد الرازي ، عن سيف بن عميرة ، عن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : من كان عاقلاً كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة .

٧ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن علي بن يقطين ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا .

٨ - علي بن محمد بن عبد الله ، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر ، عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن أبيه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فلان من عبادته ودينه وفضله ؟ فقال : كيف عقله ؟ قلت : لأدري ، فقال : إن الثواب على قدر العقل ، إن رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر ، خضراء فضرة كثيرة

والمراد بالاعتبار الاستدلال ، وبالأبصار هنا العقول كما يظهر من كلامه عليه السلام .

الحديث السادس : ضعيف .

واريد بالعقل هنا ما أريد به في الخبر الثالث ، والقياس ينتج ان من كان متصفاً بالعقل بهذا المعنى يدخل الجنة .

الحديث السابع : ضعيف .

قوله : إنما يداق الله ، المداقة مفاعلة من الدقة ، يعنى ان مناقشتهم في الحساب وأخذهم على جليله ودقيقه على قدر عقولهم .

الحديث الثامن : ضعيف والظاهر ان علي بن محمد هو علي بن محمد بن عبد الله

بن اذينة الذي ذكر العلامة انه داخل في العدة التي تروى عن البرقي .

قوله : من عبادته ، بيان لقوله كذا وكذا ، خبر لقوله فلان ، ويحتمل أن يكون متعلقاً بمقدر أى فذكرت من عبادته ، وان يكون متعلقاً بما عسر عنه بكذا كقوله فاضل كامل ، فكلمة « من » بمعنى « في » أولسببية ، والنضارة : الحسن ، والطهارة هنا بمعناها اللغوي أى الأصفاء اللطافة ، وفي بعض النسخ بالطاء المعجمة أى كان جارياً

الشجر ظاهرة الماء وإن ملكاً من الملائكة مرّ به فقال : ياربّ أرني ثواب عبدك هذا ، فأراه الله [تعالى] ذلك ، فاستقلّه الملك ، فأوحى الله [تعالى] إليه : أن اصحب فأتاه الملك في صورة إنسيّ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتييتك لأعبد الله معك ، فكان معه يومه ذلك فلمّا أصبح قال له الملك : إن مكانك لنزه ، وما يصلح إلا للعبادة ، فقال له العابد : إن مكاننا هذا عيباً ، فقال له : وما هو ؟ قال : ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع ، فإنّ هذا الحشيش يضيع ، فقال له [ذلك] الملك : وما لربك حمار ؟ فقال : لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش ، فأوحى الله إلى الملك : إنّما أتيت به على قدر عقله .

على وجه الأرض ، وفي الخبر إشكال من أن ظاهره كون العابد قائلاً بالجسم ، وهو ينافي استحقاقه للثواب مطلقاً وظاهر الخبر كونه مع هذه العقيدة الفاسدة مستحقاً للثواب لقلة عقله وبلاذته ، فيمكن أن يكون اللام في قوله : لربنا بهيمة للملك لا لارتفاع ، ويكون مراده تمنّي أن يكون في هذا المكان بهيمة من بهائم الربّ لئلا يضيع الحشيش ، فيكون نقصان عقله باعتبار عدم معرفته بفوائد مصنوعات الله تعالى ، وباتّها غير مقصورة على أكل البهيمة ، لكن يأبى عنه جواب الملك إلا أن يكون لدفع ما يؤهم كلامه ، أو يكون استفهاماً انكارياً أي خلق الله تعالى بهائم كثيرة ينتفعون بحشيش الأرض ، وهذه إحدى منافع خلق الحشيش ، وقد ترتبت بقدر المصلحة ، ولا يلزم أن يكون في هذا المكان حمار ، بل يكفي وجودك وانتفاعك ، ويحتمل أن يكون اللام للاختصاص لا على محض المالكية ، بل بأن يكون لهذه البهيمة اختصاص بالربّ تعالى كاختصاص بيته به تعالى ، مع عدم حاجته إليه ، ويكون جواب الملك أنّه لا فائدة في مثل هذا الخلق حتّى يخلق الله تعالى حماراً وينسسه الى مقدّس جناحه تعالى كما في البيت ، فإنّ فيه حكماً كثيرة ، وبالجملّة لا بدّ إمّا من ارتكاب تكلف تامّ في الكلام ، أو إلزام فساد بعض الاصول

٩- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله ، فإنما يجازى بعقله .

١٠- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان قال : ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلياً بالوضوء والصلاة وقلت : هو رجل عاقل ، فقال أبو عبد الله : وأي عقل له وهو يطيع الشيطان ؟ فقلت له : وكيف يطيع الشيطان ؟ فقال : سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو ؟ فإنه يقول لك : من عمل الشيطان .

١١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، رفعه قال : قال رسول الله ﷺ : ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل ، فنوم العاقل

المقررة في الكلام .

الحديث التاسع ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : فإنما يجازى بعقله ، أي على أعماله بقدر عقله فكل من كان عقله أكمل كان ثوابه أجزل .

الحديث العاشر : صحيح .

قوله : مبتلياً بالوضوء والصلاة ، أي بالوسواس في نيتهما أو في فعلهما بالإبطال والتكرير على غير جهة الشرع ، أو بالمخاطر التي تشتغل القلب عنهما ، و توجب الشك فيهما ، والأوسط أظهر نظراً إلى عادة ذلك الزمان .

قوله : وهو يطيع الشيطان ، أي يفعل ما يأمره به من الوسواس ، أو بطيعة فيما يصير سبباً لذلك ، فسأله السائل عن إبانة أنه يطيع بفعله الشيطان فنبه عليه السلام بأنه لو سئل عن مستنده لم يكن له بد من أن يسنده إلى الشيطان حيث لا شبهة أنه لا مستند له في الشرع ولا في العقل ، وعلى الأخير المراد أنه يعلم أن ما يعرض له من الخواطر والوسواس إنما هو بما أطاع الشيطان في سائر أفعاله .

الحديث الحادي عشر : مرسل .

قوله : فنوم العاقل ، إما لأنه لا ينام إلا بقدر الضرورة لتحصيل قوة العبادة

أفضل من سهر الجاهل ، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يضر النبي ﷺ في نفسه أفضل من اجتهد المجتهدين ، وما أدى العبد فرائض الله حتى

فيكون نومه عبادة ، وسهر الجاهل للعبادة لما لم يكن موافقاً للشرائط المعتبرة ومقروناً بالنيّات الصحيحة تكون عبادة باطلة أو ناقصة ، فذاك النوم خير منه ، وإن نوم العقلاء وكمّل المؤمنون يوجب ارتباطهم بأرواح الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وما يضاعفهم من المقدّسين ، وإطاعتهم على الألواح السماوية ورجوعهم الى عوالمهم القدسيّة التي كانوا فيها قبل نزولهم الى الابدان ، فهو معراج لهم وما يرون فيه بمنزلة الوحي ، فلذا عدّت الرؤيا الصادقة من اجزاء النبوة ، وتنسب القول في ذلك في شرح كتاب الرّوضة .

قوله عليه السلام : من شخوص الجاهل ، اى خروجه من بلده ومسافرته الى البلاد طلباً لمرضاته تعالى كالجهاد والحج وغيرهما .

قوله : حتى يستكمل العقل ، اى يسعى في كماله بتوفيقه تعالى فان أصل العقل موهبى ويكمل بالعلم والعمل وقرائته على بناء المفعول ، أو إرجاع الضمير الى الله تعالى بعيد .

قوله : وما يضر النبي في نفسه ، اى من النيّات الصحيحة والتفكرات الكامنة والعقائد اليقينيّة .

قوله : وما أدى العبد ، اى لا يمكن للعبد أداء الفرائض كما ينبغي إلا بأن يعقل ويعلم من جهة مأخوذة عن الله تعالى بالوحي ، أو بأن يلهمه الله معرفته أو بأن يعطيه الله عقلاً به يسلك سبيل النجاة ، وفي نسخ محاسن البرقى حتى عقل منه اى لا يعمل فريضة حتى يعقل من الله ويعلم ان الله أراد تلك منه ، ويعلم آداب إيقاعها ويحتمل أن يكون المراد اعم من ذلك ، اى يعقل ويعرف ما يلزمه معرفته ، فمن ابتدائية

عقل عنه ، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل ، والعقلاء هم أولوا الألباب ، الذين قال الله تعالى : « وما يتذكر إلا أولوا الألباب »^(١).

١٢ - أبو عبد الله الأشعري ، عن بعض أصحابنا ، رفعه عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال : « بشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب »^(٢).

يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ، ونصر النبيين

على التقديرين ، ويحتمل على بعد أن تكون تبعية ، أى عقل من صفاته وعظمته وجلاله ما يليق بفهمه ويناسب قابليته واستعداده .

الحديث الثاني عشر : مرسل وهو مختصر مما أورده الشيخ الحسن بن علي بن شعبة في كتاب تحف العقول وأوردته بطوله في كتاب بحار الانوار مشروحاً .

قوله تعالى « يستمعون القول » : المراد بالقول إما القرآن أو مطلق المواعظ « فيتبعون أحسنه » أى إذا ردوا بين أمرين منها لا يمكن الجمع بينهما يختارون أحسنهما ، وعلى الأول يحتمل أن يكون المراد بالأحسن ، المحكمات أو غير المنسوخات ويمكن أن يحمل القول على مطلق الكلام ، إذ ما من قول حق إلا وله ضد باطل ، فإذا سمعها إختار الحق منهما ، وعلى تقدير أن يكون المراد بالقول القرآن أو مطلق المواعظ ، يمكن إرجاع الضمير الى المصدر المذكور ضمناً أى يتبعونه أحسن إتباع . قوله عليه السلام : الحجج ، أى البراهين أو الأنبياء والأصياء عليهم السلام أو الاحتجاج وقطع العذر أى أكمل حجته على الناس بما آتاهم من العقول ، ويمكن أن يكون المراد أن الله تعالى أكمل حجج الناس بعضهم على بعض ، بما آتاهم من العقل إذ غاية الانتهاء الى البديهي و لولا العقل لا تكره ، والادلة ما يبين في كتابه من دلائل الربوبية

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ . وفيها « وما يذكر . . . » .

(٢) سورة زمر : ١٨ .

بالبیان ، ودلّهم علی ربوبیّته بالأدلة ، فقال : « وإلهکم إله واحد ، لا إله إلاّ هو الرحمن الرحیم * إن فی خلق السموات والأرض واختلاف اللیل والنهار والفلك الّتی تجري فی البحر بما ینفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحیی به الأرض بعد موتها

والوحدانیة أو ما أظهر من آثار صنعته وقدرته فی الآفاق و فی انفسهم ، والأول أنسب بالانفریح ، والمراد بالبیان إما الفصاحة أو المعجزات او قدرتهم علی إتمام کلّ حجة ، وجواب کلّ شبهة ، وإبانة کلّ حقّ علی کلّ أحد بما یناسب حاله وعلمهم بکلّ شیء كما قال صلوات الله علیه « واوتیت الحکمة وفصل الخطاب » .

قوله تعالی : « و الهکم اله واحد » : ای المستحق لعبادتکم واحد حقیقی لا شریک له فی استحقاق العبادة ، ولا فی وجوب الوجود الذانی ولا فی صفاته ووحدته الحقیقیة ، وقوله تعالی « لا اله الا هو » استیفاء لبیان الوحدة أو تأکید للفقرة السابقة ، أو تعمیم بعد التخصیص دفعاً لما یتوهم من جواز أن یرکب المستحق لعبودية غیر کم متعدداً أو الا إله فی الاولی الخالق ، و فی الثانية المستحق للعبادة ، فتکون الثانية متفرعة علی الاولی ، و یحتمل العکس ، فیکون من قبیل إلتباع المدعی بالذلّیل « الرحمن الرحیم » خبران لمبتدأ محذوف ، أو خبران آخران لقوله « الهکم » ولعلّ التوصیف بهما لبیان أنه تعالی یرتفع العبادة لذاته الكاملة ونعمه الشاملة معاً فتدبر .

ثم استدللّ سبحانه علی تلك الدعاوی بقوله « ان فی خلق السماوات والأرض » ای ایجادهما من کتم العدم « واختلاف اللیل والنهار » ای تعاقبهما علی هذا النظام المشاهد بأن یرتفع احدهما و یرجع الآخر خلفه ، و به فسرّ قوله تعالی « هو الذی جعل اللیل والنهار خلفه » أو تفاوتهما فی النور والظلمة ، أو فی الزیادة والنقصان ، و دخول أحدهما فی الآخر ، أو فی الطول والقصر ، بحسب العرّوض أو اختلاف کلّ ساعة من ساعاتهما بالنظر الی الأمکنة المختلفة ، فأیة ساعة فرضت فهی صبح لموضع وظهر لآخر ، وهكذا ، و الفلك یرجع مفرداً وجمعاً وهو السفينة ، وما فی قوله تعالی

وبثّ فيها من كلّ دابةً وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ،
لآيات لقوم يعقلون» (١).

« بما ينفع الناس » إمّا مصدرية أى ينفعهم او موصولة أى بالذى ينفعهم من المحمولات
والمجملوبات ، « وما أنزل الله من السماء من ماء » من الأولى للابتداء ، والثانية للبيان
والسماء يحتمل الفلك والسحاب ، وجهة العلو وأحياء الأرض بالنباتات والأزهار و
الثمرات « وبثّ فيها » عطف على « أنزل » أو على « أحيى » فان المدّواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالمطر ، والبثّ : النشر والتفريق والمراد بتصريف الرياح أمّا تصريفها في
مهابتها قبولاً ودبوراً ، وجنوباً وشمالاً أو في أحوالها حارةً وباردة ، وعاصفة وليّنة ،
وعقيمة ولوافح ، أو جعلها نارة للرحمة ونارة للعذاب « والسحاب المسخر » أى لا ينزل
ولا ينقشع ، مع ان الطبع يقتضى أحدهما حتى يأتى امر الله ، وقيل مسخر للرياح
تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى ، أو سخره الله و هيأه لمصالحنا « لآيات » أى علامات
ودلالات وبراهين تدلّ لامكانها على صانع واجب الوجود بالذات ، ترفع الحاجة
من الممكنات اذا لممكن لا يرفع حاجة الممكن ، ولا تفانها وكونها على وفق الحكم والمصالح
التي تعجز جميع العقول عن الاحاطة بعشر أعشارها ، على كون صانعها حكيماً عليماً
قادراً رحيماً بعباده ، لا يفوت شيئاً من مصالحهم ، وللجهتين جميعاً على كونه مستحقاً
للعبادة ، إذ العقل يحكم بديهة بأنّ الكامل من جميع الجهات ، العارى من جميع
النقايس والآفات ، القادر على إيصال جميع الخيرات والمضرات ، هو أحقّ بالمعبودية
من غيره لجميع الجهات ، وإيضاً لما دلت الأحكام والانتظام على وحدة المدبّر كما
سيأتى بيانه دلّ على وحدة المستحق للعبادة ، وكلّ ذلك ظاهر لقوم عقلم في درجة
الكمال ، وفي الآية دلالة على لزوم النظر في خواص مصنوعاته تعالى ، والاستدلال
بها على وجوده و وحدته وعمله وقدرته وحكمته وسائر صفاته ، وعلى جواز ركوب
البحر والتجارات والمسافرات لجلب الاقوات والأمتعة .

يا هاشم قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً ، فقال : « و
 سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك
 لآيات لقوم يعقلون » ^(١) . وقال : « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه
 ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من
 قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون » ^(٢) .

قوله ﷺ : قد جعل الله ذلك دليلاً ، أى كلاً من الآيات المذكورة سابقاً او
 لاحقاً وليس لفظ ذلك في التحف ، فالآيات اللاحقة أظهر ، وقوله تعالى « وسخر
 لكم » أى هيأها لمنافعكم ومسخرات بالنصب ، حال عن الجميع أى نفعم
 بها حال كونها مسخرات لله ، خلقها ودبرها كيف شاء ، وقرء حفص « والنجوم
 مسخرات » على الابتداء والخبر ، فيكون تعميماً للحكم بعد تخصيصه ، ورفع ابن
 عامر « الشمس والقمر » أيضاً .

قوله تعالى « خلقكم من تراب » : ادخل اول افراد هذا النوع وأباهم
 منه ، أو لأن الغذاء الذى يتكوّن منه المنى يحصل منه ، ويمكن أن يكون المراد
 التراب الذى يطرحه الملك فى المنى ، كما يشهد به بعض الأخبار وقوله تعالى « ثم
 يخرجكم طفلاً » أى أطفالاً ، والافراد لا زيادة الجنس أو على تأويل يخرج من كل
 واحد منكم ، اولائه فى الاصل مصدر .

قوله تعالى « ثم لتبلغوا » اللام فيه متعلقة لمحدوف تقديره ثم يبيقكم لتبلغوا ،
 وكذا فى قوله « ثم لتكونوا شيوخاً » ويجوز عطفه على لتبلغوا .

قوله تعالى « أشدكم » : أى كمالكم فى القوة والعقل ، جمع شدة كأنهم
 جمع نعمة .

قوله تعالى « من قبل » : أى من الشيخوخة أو بلوغ الأشد .

قوله تعالى « أجلاً مسمى » : أى يفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى هو وقت الموت

(١) سورة النحل . ١٣ .

(٢) سورة غافر : ٦٧ .

وقال : « إنَّ في اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد موتها و تصرف الرياح و السحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » ^(١) وقال : « يحيى الأرض بعد موتها ، قد بينَّا لكم الآيات لعلكم تعقلون » ^(٢) . وقال : « وجنَّات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض في الأكل ، إنَّ في ذلك

أويوم القيمة .

قوله تعالى « إنَّ في اختلاف الليل » : هذه الآية في سورة الجاثية « وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ، وقدمر الكلام في مثله والظاهر أنَّ التغير من النسخ أو الرواة أو نقل بالمعنى أو هكذا قرائتهم .

قوله « من رزق » : هو الماء لانه رزق أوسبب للرزق ، وربما يؤل الأرض بالقلب والرزق بالعلم تشبيهاً له بالماء ، لأنَّه سبب حياة الروح كما أنَّ الماء سبب حياة البدن .

قوله تعالى « وجنَّات » : عطف على قوله تعالى « قطع » في قوله « وفي الأرض قطع متجاورات ، وتوحيد الزرع لانه مصدر في أصله ، وهو عطف على « أعناب » وقرء ابن كثير وابوعمر و يعقوب وحفص « زرع ونخيل » بالرفع عطفاً على جنَّات وقوله « صنوان » اى نخلات أصلها واحد « وغير صنوان » اى متفرقات مختلفة الاصول . قوله تعالى « في الاكل » : اى في الثمر شكلاً وقدرأ ورائحة وطعماً ، ودلائها على الصانع الحكيم ظاهر ، فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار .

(١) - سورة الجاثية : ٤ .

(٢) سورة الحديد : ١٧ .

لآيات لقوم يعقلون»^(١). وقال: «ومن آياته يريكم البرق خوفاً، طمعا و نزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»^(٢) و قال: «قل تعالوا أتئل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً و بصلوا

فوله تعالى « يريكم البرق » : الفعل مصدر بتقدير أن او صفة لمحذوف ، اى آية يريكم بها البرق خوفاً من الصاعقة أو تخريب المنازل والزروع ، أو للمسافر « وطمعاً » اى فى الغيث والنبات وسقى الزروع أو للمقيم ونصبهما على العلة لفعل لازم للفعل المذكور ، ان إراءتهم تستلزم رؤيتهم أو للفعل المذكور بتقدير مضاف اى اداء خوف وطمع ، أو بتأويل الخوف والطمع بالآخافه والاطماع ، أو على الحال نحو كلمة : شفاهاً ، ويحتمل ان يكونا مفعولين مطلقين لفعلين محذوفين يكونان حالين ، اى تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً .

قوله تعالى « قل تعالوا » : أمر من التعالى وأصله أن يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفلى فاتسع بالتعميم .

قوله تعالى « ما حرّم » : كلمة « ما » تحتمل الخبريّة والمصدريّة والاستفهاميّة وقوله « عليكم » متعلق بأتل ، أو حرّم أو بهما على سبيل التنارع .

قوله تعالى « ان لا تشركوا » : قال البيضاوى اى لا تشركوا لصحّ عطف الأمر عليه ، ولا يمتنع تعليق الفعل المفسّر بما حرّم ، فإنّ التّحريم باعتبار الاوامر يرجع الى أضدادها ، ومن جعل أن ناصبة فمحّلها النصب بعلينكم ، على أنّه للاعراء أو بالبدل من « ما » أو من عائدة المحذوف ، على ان « لا » زائدة أو الحرّ بتقدير اللّام ، أو الرّفّع على تقدير « المتلّو ان لا تشركوا » أو المحرّم أن تشركوا وقوله : « شيئاً » يحتمل المصدريّة والمفعوليّة وعلى التقديرين يشمل الشرك الخفى .

قوله تعالى « وبالوالدين إحساناً » : اى واحسنوا بهما احساناً وضعه موضع النهى على الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على أنّ ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف

أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإيتاهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون ^(١) .
 وقال : « هل لكم من مملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » ^(٢) .
 يا هشام ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال :

بخلاف غيرهما ، وقوله « من إملاق » أي من أجل فقر و من خشيته .

قوله تعالى « ولا تقربوا الفواحش » : أي الزنا والكبائر أو جميع المعاصي ، و قوله « ماظهر منها وما بطن » بدل منه أي سرّاً وعلانية والفسوق الظاهرة والباطنة ، أو ماظهر تحريمه من ظهر القرآن وماظهر تحريمه من بطنه كما ورد في بعض الأخبار .

قوله تعالى « إلا بالحق » : كالقود وقتل المرتدّ ورجم المحصن « ذلكم وصيكم به » أي بحفظه « لعلكم تعقلون » أي تتبعون مقتضى عقولكم الكاملة في الاجتناب عن المحارم ، وقيل أي ترشدون فإن الرشد كمال العقل .

قوله تعالى « من ما ملكت أيما نكم » : صدر الآية هكذا « ضرب لكم من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيما نكم » أي من ممالككم ومن للتبعض وفي قوله « من شركاء » مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفي « فيما رزقناكم » أي من الأموال وغيرها « فأنتم فيه سواء » أي فتكونون سواء أنتم وهم فيه شركاء يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وإنها معارة لكم ، و « تخافونهم » حال عن « أنتم » أو عن ضمير المخاطبين في « رزقناكم » أي والحال أنكم تخافون من شركة ممالككم في أموالكم واستبدادهم بالتصرف فيها كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض ، والغرض من التمثيل تنبيه المشركين على أن هؤلاء المشركين إذا لم يرضوا بشركة ممالككم معهم في التعظيم والتكريم والتصرف والتدبير ، كيف يرضون بمشاركة الآلهة مع رب الأرباب

«وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدُّار الآخرة خير للذين يتَّقون أفلا تعقلون»^(١).
يا هشام ثم خَوْفُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عقابه فقال تعالى : « ثم دمرنا الآخرين
وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »^(٢). وقال : « إنا منزلون
على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون .

مع عدم مشاركتهم إِيَّاهُ في شيءٍ من الكمالات في التعظيم والتكريم والتذلل والعبادة
تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، « كذلك نفضل الآيات ، اى نبينها فان التمثيل فيما
دلّ عليه البرهان ممّا يكشف المعاني ، ويدفع المشاغبات والمعارضات الوهميّة «لقوم
يعقلون» اى يستعملون عقولهم الكاملة في تدبّر الامثال .

قوله تعالى « وما الحياة الدنيا » : اى اعمالها « إلا لعب ولهو » لفظة نفعتها
وانقطاعها أولانها تلهى الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة « وللدُّار الآخرة خير ،
لدوامها وخلوص منافها ولذاتها » للذين يتَّقون ، فيه تنبيه على أن ما ليس من
أعمال المتّقين لعب ولهو « أفلا تعقلون » أوليس لكم عقل كامل حيث تركتم الأعلی
للأدنى مع العلم بالتفاوت بينهما .

قوله : عقابه ، امّا مفعول لقوله خوف أو يعقلون أو لهما على التنازع ، والتدوير :
الاهلاك ، اى بعد ما نجيّنا لوطاً وأهله أهلكنا قومه « وإنكم » يا أهل مكّة « لتمرّون
عليهم ، اى على منازلهم فى متاجرکم الى الشام ، فان سدوم في طريقه « مصبحين ،
اى داخلين في الصباح « وبالليل ، اى ومساءً أو نهاراً وليلاً فليس فيكم عقل
تعتبرون به .

قوله تعالى « على أهل هذه القرية » اى قرية قوم لوط « رجزاً من السماء »
اى عذاباً منها ، واختلفوا فيه فقيل : انه كان حجارة من سجيل ، وقيل : كان ناراً
وقيل هو تقليب الارض ، وقد يوجّه هذا بأن المراد إنزال مبدئه والقضاء به من السماء
لا عينه وهو تكلف مستغنى عنه « بما كانوا يفسقون » اى بسبب استمرارهم على الفسق .

و لقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون » .^(١)

يا هاشم إن العقل مع العلم فقال : « وتلك الأمثال ضرها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون »^(٢) . يا هاشم ثم ذمّ الذين لا يعقلون فقال : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا ما نسمع ما لأبنا عليه آباءنا أولوكان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »^(٣) قال : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً صمّ بكم »

قوله تعالى « ولقد تركنا منها آية بيّنة » : أى من القرية آية بيّنة دالة على سوء حالهم وعاقبتهم ، فقيل : هى قصتها الشائعة وقيل : هى آثار الديار الخربة ، وقيل : هى الحجارة المطبوعة بعد تقليب الارض ، فانها كانت باقية بعده ، وقيل : هى الماء الأسود فإنّ أنهارها صارت مسودة « لقوم يعقلون » أى يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار ، وهو متعلق بتركنا أو « آية » .

قوله ﷻ : « إنّ العقل في التحف ثمّ يبيّن إنّ العقل ، والظاهر أنّ المراد بالعقل هنا التدبّر في خلق الله وصنعه ، والاستدلال به على وجوده وصفاته الكاملة ، وبمكر إرجاعه الى بعض ما ذكرنا من المعاني في الحديث الأول .

قوله تعالى « وإذا قيل لهم » : أى للناس الذين سبق ذكرهم « بل نسمع ما ألفينا » أى وجدنا .

قوله تعالى « لو كان » : الواو للحال أول للعطف ، والهمزة للردّ أو التعجب ، وحواء لومحدوف . أى لو كان آثامهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون الى الحق لا تتبعوهم .

قوله تعالى « ومثل الذين كفروا » للناظرين في هذه الآية اختلاف في حلها ، فمنهم من قدر مضافاً ومنهم من حملها على ظاهرها ، فأما الذين قدروا مضافاً ، فمنهم قدره في جاب المشيئة ، وقال : تقديره ومثل داعي الذين كفروا وهو الرسول و

(١) سورة النكبات : ٣٥ .

(٢) سورة النكبات : ٤٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٧٠ .

عمي فهم لا يعقلون»^(١) . وقال : « ومنهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون »^(٢) وقال : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام

من يحذو حذوه في إلقاء الخطاب إليهم ، كمثل راعي البهائم الذي ينقق بها وهي لا تسمع إلا دعائه وندائه ولا تقف على شيء آخر فقد شبه الكفرة في عدم فهمهم لما يسمعون بها ، ومنهم من قد رالمضاف في جانب المشبه به وقال تقديره : كمثل بهائم الذي ينقق بما لا يسمع في عدم فهم ما ألقى إليهم من الخطاب أو معناه : ومثلهم في إتباعهم آباءهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ، ولا تفهم ما تحته ، ولا يتفكرون في أن صلاحهم فيه أم لا ، وأما الذين حملوها على ظاهرها فقال بعضهم : بمعناها مثل الذين كفروا في دعائهم أصنامهم التي لا شعور لها بدعائهم كمثل الناق ، فقد شبه الأصنام بالبهائم في عدم الفهم ، وتحققه فيهما وإن لم يكن متوقفاً على قوله : «لأدعاء ونداء» ، لكن الفرض زيادة المبالغة في التوبيخ إذ لا شبهة في أن راعي البهيمة يعد جاهلاً ضعيف العقل ، فمن دعائهم لا يسمع أصلاً كان أولى بالذم ، وقال آخرون : معناه أن مثلهم في إتباع آباءهم والتقليد لهم كمثل الراعي الذي ينقق بالبهائم ، فكما أن الكلام مع البهائم عديم الفائدة كذلك التقليد «صم بكم عمي» أي الكفار صم بكم عمي عن الحق فهم لا يعقلون ، للاخلال بالنظر الموجب للعلم .

قوله تعالى « ومنهم من يستمع إليك » : وفي القرآن ومنهم من يستمعون إليك ، أي إذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكن لا يطيعونك فيها كالأصم الذي لا يسمع أصلاً ، « أفأنت تسمع الصم » وتقدر على أسماعه ، ولو انضم على صممه عدم تعقله شيئاً من الحق لقساوة قلبه .

قوله تعالى « أم تحسب » : أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون سماعاً ينتفعون به أو يعقلون ، أي يتدبرون فيما تلوت عليهم « إن هم إلا كالأنعام » لعدم انتفاعهم

(١) سورة البقرة : ١٧١ .

(٢) سورة يونس : ٤١ .

بل هم أضلّ سبيلاً»^(١). وقال: «لا يقاتلونكم جميعاً إلاّ في قرى محصّنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون»^(٢). و

بما فرغ آذانهم «بل هم أضلّ سبيلاً» وجه الأضليّة أنّ البهائم معذورة لعدم القابليّة والشعور، وكانت لهم تلك القابليّة فضيّعوها ونزلوا أنفسهم منزلة البهائم أو أنّ الانعام ألهمت منافعها ومضارّها، وهى لا تفعل ما يضرّها، وهؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة وسعوا في هلاك أنفسهم، وايضاً تنقاد لمن يتعهدّها وتميّز من يحسن اليها ممّن يسيء اليها، وهؤلاء لا ينقادون لربّهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذى هو أشدّ المضارّ، ولأنّها إن لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً، ولم تكتسب شرّاً، بخلاف هؤلاء، ولأنّ جهالتها لا تضرّ بأحد وجهالة هؤلاء تؤدّى الى هيج الفتن، وصدّ الناس عن الحقّ.

اقول: أولاً أنّها تعرف ربّها ولها تسبيح وتقديس كما ورد به الأخبار، وقيل: المراد ان شئت شبّهتهم بالأنعام فلك ذلك، بل لك أن تشبّههم بأضلّ منها كالسباع. قوله تعالى «لا يقاتلونكم» نزلت في بنى النضير من اليهود والذين وافقوهم وراسلوهم من منافق المدينة «جميعاً» أى مجتمعين «إلاّ في قرى محصّنة» أى بالدّروب والخنادق، «أو من وراء جدر» أى لفرط رهبتهم «بأسهم بينهم شديد» أى ليس ذلك لضعفهم وجبنهم فأنّه يشتدّ بأسهم اذا حارب بعضهم بعضاً بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم، ولأنّ الشجاع يجبن والعزيز يذلّ اذا حارب الله ورسوله «تحسبهم جميعاً» أى مجتمعين متّفقين [غير متفرقين] «وقلوبهم شتى» أى متفرقة لا فتراقع قوايدهم واختلاف مقاصدهم «ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون» أى ما فيه صلاحهم وانّ تشتت القلوب يوهن قواهم.

(١) سورة الفرقان: ٤٤.

(٢) سورة الحشر: ١٤.

قال : « وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »^(١).

يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال : « وإن طلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله »^(٢). وقال : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »^(٣). وقال : « ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحیی به

قوله تعالى « وتنسون أنفسكم » : صدر الآية « أأأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسكم » والمراد بالكتاب القرآن على تقدير أن يكون الخطاب لطائفة من المسلمين ، فإن فيه الوعيد على ترك البرّ والصّلاح ومخالفة القول العمل ، مثل قوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » أو التوراة على تقدير أن يكون الخطاب لأجبار اليهود ، فإن الوعيد المذكور موجود في التوراة ايضاً كما قيل .

قوله ﷺ : ثم ذم الله الكثرة ، اى الكثير إطلاقاً للمبدء على المشتق ، وانما ذكر ﷺ ذلك ردّاً مما يتوهم أكثر الخلق من ان كثرة من يذهب إلى مذهب من شواهد حقيقته ، أولاً أنه ﷺ لما بين أن العقلاء الكاملين يتبعون الحق قريباً يتوهم منه انه اذا ذهب أكثر الناس الى مذهب فيكون ذلك المذهب حقاً ، لوجود العقلاء فيهم ويلزم من ذلك بطلان ما ذهب اليه الأقل كالفرقة الناجية ، فأزال ﷺ ذلك التوهم بأنّه لا يلزم من الكثرة وجود العقلاء فيهم ، فإن أكثر الناس لا يعقلون . قوله تعالى « عن سبيل الله » اى عن دينه وشرعه في الاصول والفروع .

قوله تعالى « ولئن سألتهم » : الضمير راجع الى كفّار قريش وهم كانوا قائلين بأنّ خالق السموات والارض هو الله تعالى لكنّهم كانوا يشركون الأصنام معه تعالى في العبادة .

قوله تعالى « قل الحمد لله » : اى على إلزامهم وإلجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ، إذ لا يستحق العبادة الا الموجد المنعم باصول النعم وفروعها

الأرض من بعد موتها ليقولنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون»^(١).
يا هشام ثم مدح القلّة فقال : « وقليل من عبادي الشكور »^(٢). وقال : « و
قليل ما هم »^(٣). وقال : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً
قوله تعالى « بل أكثرهم لا يعقلون » : ليس في قرآننا هكذا اذهذه الآية في

سورة لقمان وفيه مكان « لا يعقلون » لا يعلمون ولعله كان في مصحفهم هكذا ، أو يكون
التصحيح من الرواة ، ويحتمل أن يكون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نقل بالمعنى^(٤) إشارة إلى مامر من
استلزام العقل للعلم ، فالمعنى انهم لا يعلمون أنه يلزمهم من القول بالتوحيد في
العبادة ، أو لا يعلمون ما اعترفوا به ببرهان عقلي ودليل قطعي ، لأن كونه تعالى خالق
السموات والأرض نظري لا يعلم إلا ببرهان ، وهم معزولون عن إدراكه وإنما اعترفوا
به اضطراراً ، أولاً علم لهم أصلاً حتى يقرّوا بالتوحيد بعد ما قرّوا بموجبه ، وهذه
الوجوه جارية في الآية التالية .

قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : ثم مدح القلّة ، أي الموصوفين بها أو وصف الممدوحين بالقلة .
قوله تعالى « وقليل ما هم » : الضمير راجع إلى الموصول في قوله تعالى
« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ومازيدة للإيهام والتعجب من قلةهم .
قوله تعالى « أتقتلون » : الهمزة للإنكار إمّا للتوبيخ ، أو للتعجب .

(١) سورة المنكبات : ٦١ .

(٢) سورة سبأ : ١٣ .

(٣) سورة ص : ٢٤ .

(٤) الظاهر أنه قد سقط من النسخة الموجودة عند الشارح (ده) من كتاب اصول
الكافي شطراً من الحديث يعني ذيل الآية الأولى وسدر الثانية فالجاء ذلك إلى ذكر هذه
الاحتمالات ، مع أنك ترى ان ههنا آيتان : الأولى في سورة لقمان ، الآية : ٢٥ . والثانية
في سورة عنكبوت الآية : ٦١ . وفي الأولى « بل أكثرهم لا يعلمون » وفي الثانية « بل
أكثرهم لا يعقلون » والشاهد على ما ذكرنا أنه (قده) لم يذكر توضيحاً للآية الثانية مع أنه
خلاف دأبه في مثل هذا الموضع من أوائل الكتاب .

أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ»^(١). وقال : «ومن آمن وما آمن معه إلا قليل»^(٢). وقال : «ولكن أكثرهم لا يعلمون» . وقال : «وأكثرهم لا يعقلون» . وقال : «وأكثرهم لا يشعرون» . يا هشام ثم ذكر أولى الأبواب بأحسن الذكر ، وحلّاهم بأحسن الحلية ، فقال : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر

قوله تعالى « أَنْ يَقُولَ » : اى لأن يقول أو وقت أن يقول .

قوله تعالى « ومن آمن » : عطف على « أهلك » فى قوله تعالى « قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك » .

قوله تعالى « وأكثرهم لا يشعرون » : ليست هذه الآية فى قرآننا ، ويحتمل الوجوه السابقة ، ثم اعلم انه كان الأنسب ذكر هذه القرائن فى سياق آيات ذم الكثرة ، كما هو فى رواية تحف العقول فهى إما رجوع الى أول الكلام ، أو ذكرت ههنا لاستلزام ذم الكثرة مدح القلة ، وأنما كرّر بعض تلك الفقرات مع ذكرها سابقاً لتكرّر ذكرها فى القرآن فى مواضع عديدة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام « اولوا الاباب » : هو على الحكاية ، وفى التحف : أولى الاباب ، و اللب : العقل وأريد به هنا ذوى العقول الكاملة .

قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة » : الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل ، وروى عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَام : انها طاعة الله ومعرفة الامام ، وفى رواية اخرى عنه عَلَيْهِ السَّلَام انها معرفة الامام واجتناب الكبائر التى أوجب الله تعالى عليها النادر ، وفى رواية اخرى عنه عَلَيْهِ السَّلَام : انها المعرفة والفقه فى الدين ، فمن فقه منكم فهو حكيم ، وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأس الحكمة مخافة الله ، وسيأتى تفسيرها فى هذا الخبر بالفهم والعقل ، وكل ذلك داخل فيما ذكرنا أولاً فلا تنافي بينهما .

وقال فى المغرب : الحكمة ما يمنع من الجهل ، وقال ابن دريد : كل ما يؤدى

(١) سورة غافر : ٢٨ .

(٢) سورة هود : ٤٠ . والثاليتين فى كثير من السور .

إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» ^(١). وقال: «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» ^(٢) وقال: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» ^(٣). وقال: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» ^(٤).

إلى مكرمة أو يمنع من قبيح، وقال الشيخ البهائي (قده) الحكمة ما يتضمن صلاح النشأتين أو صلاح النشأة الأخرى، وأما ما تضمن صلاح الحال في الدنيا فقط، فليس من الحكمة في شيء «فقد أوتي خيراً كثيراً» أي يدخر له خير كثير في الدارين «وما يذكر» أي وما يتعظ بما قص من الآيات أو ما يتفكر، فإن المتفكر كالمذكر لما أودع الله في قلبه من العلوم بالقوة، أو يعتنبه للفرق بين من أوتي الحكمة و من لم يؤت، إلا أولوا العقول الخالصة عن شوائب الوهم ومتابعة الهوى.

قوله تعالى «والراسخون في العلم»: أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه، من قولهم: رسخ الشيء رسوخاً: ثبت والمراد بهم النبي والأئمة عليهم السلام كما سيأتي في كتاب الحجة، وهم داخلون في الاستثناء، «يقولون آمنا به» استئناف موضح لحال الراسخين أحوال منهم، أي هؤلاء الراسخون العالمون بالتأويل يقولون آمنا بالمتشابه أو بكل القرآن محكمه ومتشابهه على التفصيل لعلمهم بمعانيه، وغيرهم إنما يؤمنون به إجمالاً، وفي بعض الروايات إن الفائلين هم الشيعة المؤمنون بالأئمة عليهم السلام المسلمون لهم «كل من عند ربنا» تأكيد للسابق، أي كل من المحكم والمتشابه من عنده تعالى «وما يذكر أولوا الأبواب» أي وما يعلم المتشابه، أو لا يتدبر في القرآن إِلَّا الكاملون في العقول، أو ما يعرف الراسخين في العلم يعني النبي والأئمة عليهم السلام وما يذكر حالهم إِلَّا أولوا الأبواب يعني شيعتهم، وقد ورد منهم عليهم السلام أن شيعتنا أولوا الأبواب، وسيأتي تمام القول فيها في كتاب الحجة إنشاء الله تعالى.

قوله تعالى «كمن هو أعمى»: أي أعمى القلب، فاقد البصيرة، لا يهتدى إلى الحق.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٤) سورة الرعد: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٠.

وقال : « أمّن هوقانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب »^(١).
وقال : « كتاب أترلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »^(٢).

قوله تعالى « أمّن هوقانت » : أى قائم بوظائف الطاعات من القنوت وهو الطاعة « آناء الليل » أى ساعاته ، وأمّ متصلة بمحذوف ، تقديره : الكافر خير أمّن هوقانت ، أو منقطعة والمعنى بل أمّن هوقانت كمن هو بضدّه ، وقرء أمّن بالتخفيف بمعنى أمّن هوقانت كمن جعل له انداداً « ساجداً وقائماً » حالان من ضمير قانت ، والواو للجمع بين الصفتين « يحذر الآخرة » في موضع الحال أو الاستيناف للتعليل « هل يستوي الذين يعلمون » نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم ، وقيل : تقرير للأول على سبيل التشبيه ، أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والمعاصون . « إنما يتذكر أولوا الألباب » أى إنما يعلم كلّ الشريعة والمعارف الإلهية ، ومعارف القرآن كما هي أولوا العقول الكاملة البالغة إلى أعلى درجات الكمال ، وهم الائمة عليهم السلام أو إنما يتذكر ويعلم الفرق بين العالم المذكور والجاهل ذوو العقول الصافية ، وهم شيعتهم كما سيأتى انشاء الله تعالى في الاخبار الكثيرة : ان الائمة عليهم السلام هم الذين يعلمون ، وأعدائهم الذين لا يعلمون ، وشيعتهم أولوا الألباب .

قوله تعالى « كتاب » : هو مبتدء « ومبارك » خبره أو هو خبر مبتدء محذوف ، ومبارك خبر بعد خبر « ليدبّروا آياته » فيعرفوا معاني المحكمات ، ثم يعرفوا بدلالاتها على أهل الذكر عليهم السلام معاني التشابهات بوساطتهم بالسماع منهم ، « وليتذكر » ويعلم جميع معانيه من محكماته ومتشابهاته بتوفيق الله تعالى « أولوا الألباب » وهم أهل البيت عليهم السلام ، أوليتذكر ويهتدى بأهل الذكر ذوو العقول الصافية وهم علماء الشيعة الذين أخذوا علوم القرآن عن ائمتهم عليهم السلام.

وقال : « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب هدىً وذكرى لأولي الألباب » ^(١) وقال : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » ^(٢) .
 يا هشام إن الله تعالى يقول في كتابه : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » ^(٣) .
 يعني : عقل ، وقال : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » ^(٤) . قال : الفهم والعقل .

قوله تعالى « ولقد آتينا موسى الهدى » أى ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والتوراة والشرايع ، « وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب » أى وتركنا عليهم بعده التوراة هدىً [هو] إما مفعول له لقوله « أورثنا » أو حال عن فاعله أو عن الكتاب ، أى هادياً و « ذكرى » أى تذكرة أو مذكراً « لأولى الألباب » أى لذوى العقول السليمة عن اتباع الهوى فأنهم المنتفعون به .

قوله تعالى « تنفع المؤمنين » : أى الذين علم الله أنهم يؤمنون أو يصير سبباً لمزيد هداية من آمن وبانضمام هذه الآية إلى الآيات السابقة يستفاد أن المؤمنين ليسوا إلا أولى الألباب .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : يعنى عقل ، أعلم أن القلب يطلق على الجسم الضوبرى الذى هو فى الجوف ، وعلى الروح الحيوانى المنبعث منه ، وعلى النفس الناطقة المتعلقة به أولاً لشدة تعلقه بالعضو المخصوص ، أولكونه متقلب الأحوال ، وعلى قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما القائمة بالنفس المسماة بالعقل ، ولعله عَلَيْهِ السَّلَامُ فسر بهذا المعنى .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : الفهم والعقل ، يعنى أعطاه الله الفهم والعقل ، وعليها مدار الحكمة فكان إعطاؤهما إعطاؤها .

(١) سورة المؤمن : ٥٣ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٥ .

(٣) سورة ق : ٣٧ .

(٤) سورة لقمان : ١٢ .

يا هشام إن لقمان قال لابنه : تواضع للحق تكن أعقل الناس ، وإن الكيس لدى الحق يسير ، يابني إن الدنيا بحر عميق ، قدغرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الايمان وشراعها التوكل ، وقسمها العقل ودليلها العلم ، وسكانها الصبر .

قوله عليه السلام : تواضع للحق ، اى لله تعالى بالاقرار به والاطاعة والايقيادله ، او للأمر الحق بأن تقر به وتذعن له ، اذاظهر لك حقيقته عند المخاصمة وغيرها ، وكونهما من دلائل العقل ظاهر .

قوله عليه السلام : وإن الكيس لدى الحق يسير ، قال بعض الأفاضل في المصادر : الكيس والكياسة « زيرك شدن » والكيس « بزير كى غلبه كردن » فيحتمل أن يكون اليسير بمعنى القليل والكيس بأول المعنيين ، وان يكون اليسير مقابل العسير ، و الكيس بأحد المعنيين ، والمراد أن إدراك الحق ومعرفته لدى موافاته بالكياسة يسير ، أوأن الغلبة بالكياسة عند القول بالحق والاقرار به يسير ، ويحتمل أن يكون الكيس بالتشديد اى ذوالكياسة عند ظهور الحق بأعمال الكياسة ، والاقرار بالحق قليل ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .

اقول : على تقدير أن يكون الكيس بالتشديد يحتمل أن يكون يسير فعلاً بل على التقدير الآخر ايضاً ، وقيل معناه على التقدير الآخر : ان كياسة الانسان عند الحق سهل هين لاقدره ، وإنما الذى له منزلة عند الله هو التواضع والمسكنة والخضوع ، وفي بعض النسخ أسير بدل يسير ، اى الكياسة او صاحبها اسير عند الحق ، ولا يمكنه مخالفته ، وفي بعض النسخ لدى الحق بالذال المعجمة اى للمحق وهو بالنسخة الاخيرة أنسب .

قوله عليه السلام : عالم كثير ، يمكن ان يقرأ بفتح اللام وكسر ها .

قوله عليه السلام : وحشوها ، اى ما يحشى فيها وتملاً منها ، والشراع ككتاب الملاعة الواسعة فوق خشبة يصفقها الريح فتمضى بالسفينة ، والقيّم مدبّر أمر السفينة ، و

يا هشام إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكر ، ودليل التفكر الصمت ،
ولكل شيء مطية ، ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه .
يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ، فأحسنهم
استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً ، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة
في الدنيا والآخرة .

الدليل : المعلم وقال في المغرب السكّان ذنب السفينة لأنّها به تقوم وتسكن ، والمناسبة
بين المشبه والمشبه به في جميعها لا يخفى على الفطن اللبيب .

قوله ﷺ : ودليل العقل ، أي التفكر في الإنسان يدلّ على عقله ، كما إن
صمته يدلّ على تفكره ، وأنّ التفكر يوصل العقل إلى مطلوبه ، وما يحصل له من
المعارف والكمالات ، وكذا الصمت دليل للتفكر فإن التفكر به يتمّ ويكمل .

قوله ﷺ : ومطية العقل التواضع ، أي التذلل والانقياد لله تعالى في أوامره
ونواهيه والأعمّ من التواضع لله تعالى أول للخلق ، فإنّ من لم يتواضع يبقى عقله
بلامطية ، فيصير إلى الجهل أو لا يبلغ عقله إلى درجات الكمال ، والمطية : الدابة المركوبة
التي تمطو في سيرها أي تسرع ، وفي تحف العقول مكان العقول في الموضعين العاقل ،
ولا يخفى توجيهه ، والخطاب في قوله : كفى بك ، عام كقوله فيما سيأتي كيف يزكو
عملك ، وأخواتها .

قوله ﷺ : إلا ليعقلوا ، ضمير الجمع راجع إلى العباد ، وإرجاعه إلى الأنبياء
بعيد ، أي ليعلموا علوم الدين أصولاً وفروعاً عنه تعالى بتوسط الأنبياء والأوصياء ﷺ
فالعقل هنا بمعنى العلم ، أولتصير عقولهم كاملة بحسب الكسب بهداية الله تعالى ،
والنفريع بالاول أنسب .

قوله ﷺ : فأحسنهم استجابة ، لما كان غاية البعثة والإرسال حصول المعرفة ،
فمن كان أحسن معرفة كان أحسن استجابة ، ومن كان أحسن عقلاً كان أعلم بأمر الله
وأعمل ، فالأكمل عقلاً أرفع درجة حيث يتعلّق رفع الدرجة بكمال ما هو الغاية .

يا هشام إنَّ الله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول .

يا هشام إنَّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ، ولا يغلب الحرام صبره .
يا هشام من سلَّط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله : من أظلم نور تفكره بطول أمله ، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه ، فكأنما أعان هواه على هدم عقله ، ومن هدم عقله ، أفسد عليه دينه ودينه .

يا هشام كيف يزكو عند الله عملك ، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك و

قوله عليه السلام : وأما الباطنة فالعقول ، لعل المراد بها ههنا اى التى مناط التكليف وبها يميز بين الحق والباطل والحسن والقيبح .

قوله عليه السلام : لا يشغل الحلال شكره ، اى لا يمنعه كثرة نعم الله عليه ، والاشتغال بها عن شكره لربه تعالى .

قوله عليه السلام : نور تفكره ، هو فاعل أظلم ، لانه لازم ، و اضافته الى التفكير إما بيانية أولامية ، والسبب فى ذلك ان بطول الأمل يقبل الى الدنيا ولذاتها ، فيشغل عن التفكير ، أو يجعل مقتضى طول الأمل ماحياً بمقتضى فكره الصائب ، والطريف : الامر الجديد المستغرب ، الذى فيه نفاسة ومحو الطرائف بالفضول ، إما لانه اذا اشتغل بالفضول شغل عن الحكمة فى زمان التكلم بالفضول ، أو لانه لما سمع الناس منه الفضول لم يعبأوا بحكمته ، أو لانه اذا اشتغل به محى الله عن قلبه الحكمة .

قوله عليه السلام : أفسد عليه ، اى افسد على نفسه دينه ودينه لما مر من قوله : أكملهم عقلاً أرفهم درجة فى الدنيا والآخرة .

قوله عليه السلام : كيف يزكو ، الزكوة تكون بمعنى النمو وبمعنى الطهارة وهنا يحتملها .

قوله عليه السلام : عن أمر ربك ، الامر هنا إما مقابل النهى ، أو بمعنى مطلق

أطعت هواك على غلبة عقلك .

يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ، ورغب فيما عند الله ، وكان الله أنسه في الوحشة ، وصاحبه في الوحدة ، وغناه في العيلة ، ومعزّه من غير عشيرة .

يا هشام نصب الحق لطاعة الله ، ولانجاة إلا بالطاعة ، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعقل يعتقد ، ولاعلم إلا من عالم رباني ، ومعرفة العلم بالعقل .

الشان ، اى الامور المتعلقة به تعالى .

قوله ﷺ : عقل عن الله ، اى حصل له معرفة ذاته وصفاته وأحكامه وشرايعه ، أو أعطاه الله العقل ، أو علم الأمور بعلم ينتهى إلى الله بأن أخذه عن أنبيائه وحججه ﷺ إما بلا واسطة أو بواسطة ، أو بلغ عقله إلى درجة يفيض الله علومه عليه بغير تعليم بشر .

قوله ﷺ : وغناه ، اى مغنيه ، أو كما أن أهل الدنيا غناهم بالمال ، هو غناه بالله وقربه ومناجاته ، والعيلة : الفقر ، والعشيرة : القبيلة والرهط الأذنون .

قوله : نصب الحق ، وفي تحف العقول نصب الخلق ، والنصب إقامصدر أو فعل مجهول ، وقرائته على المعلوم بحذف الفاعل أو المفعول كما نوهتم بعيد ، اى انما نصب الله الحق والدين بإرسال الرسل وإزالة الكتب ليطاع في أوامره ونواهي . قوله ﷺ : والتعلم بالعقل يعتقد ، اى يشتد ويستحكم ، أو من الاعتقاد بمعنى التصديق والاذعان .

قوله ﷺ : ومعرفة العلم ، وفي التحف ومعرفة العالم وهو أظهر ، والمراد هنا علم العالم ، والغرض أن احتياج العلم الى العقل من جهتين لفهم ما يلقىه العالم ، ولمعرفة العالم الذى ينبغى أخذ العلم عنه ، ويحتمل أن يكون المعنى أن العقل هو المميز الفارق بين العلم اليقيني ، وما يشبهه من الاوهام الفاسدة والدعاوى الكاذبة ، أو من الظن والجهل المركب والتقليد .

يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف ، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود .

يا هشام إنَّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم .

يا هشام إنَّ العقلاء تركوا فضول الدُّنيا فكيف الذنوب ، وترك الدُّنيا من الفضل ، وترك الذنوب من القرض .

يا هشام إنَّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنَّها لاتنال إلاَّ بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنَّها لاتنال إلاَّ بالمشقة ، فطلب بالمشقة أبقاها .

يا هشام إنَّ العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، لأنَّهم علموا أنَّ الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتَّى

قوله **عَلَيْهِ السَّلَام** : من العالم ، في التحف من العاقل .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَام** بالدون ، أى القليل واليسير منها مع الحكمة الكثيرة ، ولم يرض بالقليل من الحكمة مع الدنيا الكثيرة .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَام** : فضول الدنيا ، أى الزايد عما يحتاج إليه ، وقوله : وترك الدنيا جملة حالة .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَام** : طالبة مطلوبة ، أى الدنيا طالبة للمرء لأن يوصل إليه ما عندها من الرزق المقدر ، ومطلوبة يطلبها الحريص طلباً للزيادة ، والآخرة طالبة تطلبه لتوصل إليه أجله المقدر ومطلوبة يطلبها الطالب للسعادات الآخروية بالاعمال الصالحة ، وقال بعض الافاضل : لا يبعد أن يقال الإتيان بالعاطف في الآخرة بقوله : والآخرة طالبة ومطلوبة ، وتركه فى قوله : الدنيا طالبة مطلوبة ، للتنبيه على أن الدنيا لمالبة موصوفة بالمطلوبية ، فيكون الطالب لكونها موصوفة بمنزلة الذات ، فدلَّ على أنَّ الدُّنيا من حقها فى ذاتها أن تكون طالبة ، وتكون المطلوبة لكونها صفة لاحقة

يستوفي منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت ؛ فيفسد عليه دنياه وآخرته .

يا هشام من أراد الغنى بالامال ، وراحة القلب من الحسد ، والسلامة في الدين فليترضّع إلى الله عزّ وجلّ في مسأله بأن يكمل عقله ، فمن عقل قنع بما يكفيه ، ومن قنع بما يكفيه استغنى ، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً .
يا هشام إنّ الله حكى عن قوم صالحين : أنهم قالوا : « ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »^(١) حين علموا أنّ القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها .

إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ، ولا يكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصداقاً ، وسرّه لعلانيته موافقاً .

بالطالبة من الطواردى التى ليس من حقّ الدنيا في ذاتها أن تكون موصوفة بها ، فلواتى بالعاطف لفات تلك الدلالة ، وأما الآخرة فلما كانت الأمران اى الطالبية والمطلوبية كلاهما ممّا تستحقّها وتتصف بهافي ذاتها ، فأتى بالعاطف ، وإن حمل قوله : الدنيا طالبة مطلوبة ، على تعدّد الخبر ففي ترك العاطف دلالة على عدم إرتباط طالبيتها بمطلوبيتها ، وفي الآخرة فالأمران فيها مرتبطان لا يفارق أحدهما الآخر ، ولذا أتى بالواد الدالة على المقارنة في أصل الثبوت لها .

قوله تعالى « لاترغ » الزيع : الميل والعدول عن الحق ، والرّدى الهلاك والضلال .

قوله ﷻ : من كان قوله لفعله مصداقاً ، على صيغه اسم الفاعل اى ينبغي ان يأتي أو لا بما يأمره ، ثم يأمر غيره ليكون قوله مصداقاً لما يفعله ، وإذا فعل فعلاً من أفعال الخير وسئل عن سببه أمكنه أن يبين حقيقته بالبراهين العقلية والنقلية ،

لأنَّ اللهَ تبارك اسمه لم يدلَّ على الباطن الخفيِّ من العقل إلاَّ بظاهر منه ، وناطق عنه .

ويمكن أن يقرء على صيغة المفعول فيحتمل وجهين : الأوَّل : أنَّ الناس يصدِّقون قوله لفعله ، وموافقته له ، الثاني : أن يكون الفعل مصدِّقاً له .

قوله ﷺ : لأنَّ اللهَ . . . خطر بالبال لتوجيه وجهان « الأوَّل » : أنه ﷺ ادَّعى أوَّلاً أن الخوف من الله تعالى خوفاً واقعياً يصير سبباً لترك الذنوب في جميع الأحوال ، لا يكون إلاَّ بأن يرزق العبد من الله تعالى عقلاً موهبياً يبصر حقيقة الخير والشرِّ كما هي ، ثمَّ يبيِّن ﷺ ذلك بأنَّ من لم يكن بهذه الدرجة من العقل لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة للخير والشرِّ يبصرها ويجد حقيقة تلك المعرفة في قلبه ، ثمَّ يبيِّن أن تلك المعرفة الثابتة يلزمها أن يكون قول العبد موافقاً لفعله ، وفعله موافقاً لسرِّه وضميره ، لأنَّ الله تعالى جعل ما يظهر على الجوارح دليلاً على ما في القلب ، ويفضح المتصنَّع بما يظهر من سوء قوله وفعله ، فثبت بتلك المقدمات ما ادَّعى ﷺ من أنَّ الخوف الواقعي لا يكون إلاَّ بالعقل عن الله « الثاني » أن لا يكون قوله ﷺ ومن لم يعقل تعليلاً لما سبق بل مقدِّمة برأسها ، وحاصلها : أنَّ المعرفة الثابتة لا تحصل إلاَّ بالعقل ، كما أنَّ الخوف لا يحصل إلاَّ به ، ثمَّ يبيِّن ﷺ دليلاً يعرف به تلك المعرفة الثابتة التي هي من آثار العقل ولوازمها ودلائلها ، وهي كون القول موافقاً للفعل والسرِّ أي ما يفعل في الخلوات موافقاً للعانية ، ثمَّ علَّل ذلك بأنَّ الله تعالى جعل تلك الآثار دليلاً على العقل الذي أخفاه في الإنسان ، ولا يمكن معرفته إلاَّ بها .

وقال بعض مشايخنا قدس الله روحه : لعلَّ المراد أنه من لم يكن صالحاً لم يخف الله لأنه من لم يكن صالحاً لم يكن قوله مصدِّقاً لفعله وسرِّه موافقاً لعانيته ومن لم يكن كذلك لم يكن ذا معرفة ثابتة يجدها حقيقة في قلبه ، لأنَّ الله تعالى جعل الظاهر دليلاً على الباطن ، فالفعل ظاهر يدلُّ على الاعتقاد الذي هو من الخفايا والسرائر ، ويكشف عنه ، والقول ظاهر يعبر عنه ، فإن دلَّ الفعل على عدم تقرر

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ما عبد الله بشيء أفضل من العقل ، و ماتم عقد امرء حتى يكون فيه خصال شتى : الكفر والشر منه مأمونان ، والرشد والخير منه مأمولان ، وفضل ماله مبذول ، وفضل قوله مكفوف ، ونصيبه من الدنيا القوت ، لا يشبع من العلم دهره ، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثير المعروف من نفسه ، ويرى الناس كلهم خيراً منه ، وأنه شرهم في نفسه ،

الاعتقاد وثبوته ولم يصدق القول ، فالمعتبر دلالة الفعل وأما دلالة الفعل على التقرر والثبوت بحقيقته المعرفة مع مخالفة القول فغير متصور ، فإن القول إذن فعل دال على عدم ثبوت حقيقة المعرفة وتقررها في قلبه ، ومن لم يكن يجد حقيقة المعرفة في قلبه لم يكن ذامعرفة ناشئة عن جانب الله ومن لم يكن عاقلاً عن الله لم يخف الله ولا يخفى ما فيه .

قوله عليه السلام : ما عبد الله بشيء ، أى العقل أفضل العبادات ، فالمراد بالعقل معرفة ذات الله تعالى وصفاته ، وكلما يجب معرفته من أصول الدين وفروعه ، أو المراد به تكميل القوة العقلية ، ويحتمل أن يكون المراد ليس شيء من أسباب العبادة و دواعيها مثل العقل .

قوله عليه السلام الكفر والشر ، أى جميع أنواع الكفر كما سيأتى تحقيقه انشاء الله تعالى .

قوله عليه السلام : دهره ، منصوب بالظرفية أى في تمام عمره .

قوله عليه السلام : الذل أحب إليه ، أى الذل والعز الدنيويان أودل النفس وعزها وترفعها ، وقوله : مع الله أى مع رضا تعالى وقربه وطاعته .

قوله عليه السلام ويرى الناس كلهم ، وذلك بأن يحسن ظنه بهم ويتهم نفسه ، فكل مافي غيره مما يحتمل وجهاً حسناً يحمله عليه ، وكل مافي مما يحتمل وجهاً

وهو تمام الأمر .

يا هشام إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواء .

يا هشام لادين لمن لامرؤة له ، ولامرؤة لمن لاعقل له ، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً ، أما إن أبدأنكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها .

يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال : يجيب إذا سئل ، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله ، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق .

قبحاً يجوز في نفسه ، فيظن بغيره خيراً ، ولا يظن بنفسه خيراً فيظن بكل منهم أنه خير منه ، ويكون هو عند نفسه شرّاً منهم .

قوله عليه السلام : وهو تمام الأمر ، أي كل أمر من أمور الدين يتم به أو كآته جميع أمور الدين مبالغة .

قوله عليه السلام : لامرؤة ، والمرؤة : الانسانية وكمال الرجولية ، وهي الصفة الجامعة لمكارم الاخلاق ومحاسن الاداب .

قوله عليه السلام : خطراً ، الخطر الحفظ والنصيب والقدر والمنزلة ، والسبق : الذي يتراهن عليه ، والكل محتمل .

قوله عليه السلام : يجيب اذا سئل ، قيل : أي يكون قادراً على الجواب عما يسئل ، والنطق عند عجز القوم عن الكلام ، ومشيراً بالرأي الذي فيه صلاح القوم ، وعارفاً بصلاحتهم وآمرأبه ، فمن لم يكن فيه شيء من هذه الثلاث فهو أحمق أي عديم الفهم ناقص التميز بين الحسن والقبيح ، ولعل قوله عليه السلام : يجيب اذا سئل ، ناظر الى الفتاوى في النقلات والشرعيات ، وقوله : وينطق اذا عجز القوم ، ناظر الى تحقيق المعارف والعقليات ، ويشير بالرأي ، ناظر الى معرفة التدبير والسياسات في العمليات فمن جمع فيه الخصال الثلاث دل على كمال عقله النظري والعملي ، ومن لم يكن فيه شيء منها كان ناقص العقل بقرينه .

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن ، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق .

وقال الحسن بن علي عليه السلام : إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها ، قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها ؟ قال : الذين قص الله في كتابه وذكرهم ، فقال : «إنما يتذكر أولوا الألباب» ^(١) قال : هم أولوا العقول .

وقال علي بن الحسين عليه السلام : مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح ، وآداب العلماء زيادة في العقل ، وطاعة ولاية العدل تمام العز ، واستثمار المال تمام المروءة وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة ، وكف الأذى من كمال العقل ، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً .

يا هشام إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد ما لا يقدر عليه ، ولا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يقدم على ما يخاف فوته

قوله عليه السلام : إذا طلبتم الحوائج ، أي الدينية والدنيوية ، واختصاص الأولى بأولى العقول ظاهر ، وأما الثانية فللذلل الذي يكون في رفع الحاجة إلى الناقص في الدين ، ولعدم الأمن من حقه ، فربما يمنعه أو يأتي بما ضره أكثر من نفعه .

قوله عليه السلام : وأدب العلماء ، أي مجالستهم وتعلم آدابهم والنظر إلى أفعالهم ، والتخلق بأخلاقهم موجبة لزيادة العقل ، والحمل على رعاية الآداب في مجالسة العلماء لا يخلو من بعد .

قوله عليه السلام : واستثمار المال ، أي استثماره بالتجارة والمكاسب دليل تمام الإنسانية وموجب له أيضاً لأنه لا يحتاج إلى غيره ويتمكن من أن يأتي بما يليق به .

قوله عليه السلام : قضاء : أي شكر لحق نعمة أخيه عليه ؛ حيث جعله موضع مشورته ، أو شكر لنعمة العقل وهي من أعظم النعم ، ولعل الأخير أظهر .

قوله عليه السلام : ما يعنف ، التعنيف اللوم و التعيير بعنف ، وترك الرفق والغلظة ،

بالعجز عنه .

١٣ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : العقل غطاء ستير ، والفضل جمال ظاهر فاستر خلل خلقك بفضلك وقاتل هواك بعقلك ، تسلم لك المودة ، وتظهر لك المحبة .

١٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن حديد ، عن سماعة بن مهران قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل

وكلاهما محتمل .

الحديث الثالث عشر ضعيف .

قوله : غطاء ، الغطاء ما يستتر به ، والستير : إما بمعنى الساتر أو بمعنى المستور ، والفضل ما يعد من المحاسن والمحامد أو خصوص الإحسان إلى الخلق ، والجمال يطلق على حسن الخلق والخلق والفعل ، والمعنى : إن العقل يستر مقابح المرء فإن حسن العقل يغلب كل قبيح ، ولكنه من المستورات التي يعسر الاطلاع عليها ، والفضل جمال ظاهر ، فينبغي أن يستر خلل الخلق بالفضل ، وإن يستر مقابح ما يهوى بمدافعة العقل للهوى ، فلا تظهر وتبقى مستورة .

قوله عليه السلام : تسلم لك المودة ، أي مودتك للناس ، أو مودة الناس لك ، أو مودتك لله أو مودة الله لك ، أو الأعمّ منهما ، وكذا المحبة تحتل الوجوه ، والأولى تخصيص إحداها بالله والآخرى بالناس ، أو إحداها بحبه للناس والآخرى بحب الناس له ، فإن التأسيس أولى من التأكيد .

الحديث الرابع عشر ضعيف .

قوله : ذكر العقل والجهل ، العقل هنا يحتمل المعاني السابقة ، والجهل إما القوة الداعية إلى الشر ، أو البدن إن كان المراد بالعقل النفس ، ويحتمل إبليس أيضاً لأنه المعارض لأرباب العقول الكاملة من الأنبياء والأئمة عليهم السلام في هداية الخلق ، ويؤيده أنه قد ورد مثل هذا في معارضة آدم وإبليس بعد تمرده ، وأنه

والجهل فقال أبو عبد الله عليه السلام : اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا ، قال سماعة : فقلت : جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفنا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر فأدبر ؛ ثم قال له : أقبل فأقبل ؛ فقال الله تبارك وتعالى : خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي ، قال : ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلماتياً

اعطاها مثل تلك الجنود ، كما أوردته في كتاب البحار ، والحاصل أن هذه جنود للعقل وأصحابه ، وتلك عساكر للجهل وأربابه ، فلو حملنا العقل على القوة الداعية إلى الخير وأفعال الحسنة والجهل على القوة الداعية إلى خلاف ذلك ، فالمقصود أن الله سبحانه أعطى بحكمته الكاملة كل مكلف قوتين داعيتين إلى الخير والشر ، أحدهما العقل والآخرى الجهل ، وخلق صفات حسنة تقوى العقل في دعائه إلى الخير ، وخلق ضدّها من رذائل تقوى الجهل في دعائه إلى الشر وقس عليه سائر المعاني .

قوله عليه السلام : من الروحانيين : يطلق الروحاني على الأجسام اللطيفة وعلى الجواهر المجردة إن قيل بها ، قال في النهاية في الخديث : الملكة الروحانيون يروى بضمّ الراء وفتحها ، كأنه نسب إلى الروح والروح ، وهو نسيم الروح ، والألف والنون من زيادات النسب ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركهم البصر .

قوله عليه السلام : عن يمين العرش ، قيل أي أشرف جانبيه وأقواهما وجوداً .

قوله عليه السلام : من نوره ، أي من نور منسوب إليه تعالى لشرفه أو من ذاته تعالى لا بواسطة شيء أو مادة ، أو أنه لما كان سبباً لظهور الأشياء على النفس فهو من أنوار الله سبحانه التي جعلها سبباً لظهورها ، وقيل : من جنس نوره أي ذاته الأقدس ، لكونه مجرداً أو من جنس النور الذي خلقه وهو العقل المجرد ، وهما إنما يتجهان إذا قلنا بوجود مجرد سوى الله ، وبوجود العقل وقد عرفت ما فيهما .

قوله عليه السلام : من البحر الأجاج ، أي من المادة الظلمانية الكدرة أو بواسطتها وظلماتيته لكونه خالياً من نور المعرفة ، أو غير قابل للهداية أو آلة لضلالة صاحبه ،

فقال له : أدير فأدير ؛ ثم قال له : أقبل فلم يقبل فقال له : استكبرت فلعنه ، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل : يارب هذا خلق مثلي خلقتهم وكرمتهم وقويتهم وأنا ضده ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيتهم فقال : نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي قال : قد رضيت فأعطاه خمسة وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند :

الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل ؛ والإيمان وضده الكفر ؛

وعدم إقباله إلى الدرجات الرفيعة والمعارف الربانية ، لعدم قابليته لذلك ، أو المراد عدم إقبال من تبع هذه القوة بالإرادة ، وسيأتي تحقيق القول في كتاب الإيمان والكفر إنشاء الله تعالى .

قوله ﷺ فقال الجهل : اى بلسان الحال أو حقيقة إن قلنا انه إبليس .
قوله ﷺ فان عصيت : لا يخفى ان هذا يلائم حمل الجهل على إبليس ، واما غيره من المعاني فيحتاج الى التكلف ، بأن يقال : الخطاب الى أصحاب الجهل أو بأن يقال نسب العصيان والإخراج المتعلقين بأصحابه اليه مجازاً .

قوله ﷺ جنداً : الجند العسكر والأعوان والأقاص ، وإطلاق الجند على كل واحد باعتبار الأقسام والشعب والتوابع ، فكل واحد لكثرة أقسامه وتوابعه كأنه جند ، ثم اعلم ان ما ذكرهنا من الجنود يرتقى الى ثمانية وسبعين جنداً ، وفي الخصال وغيره زيادات أخر يرتقى معها الى احدى وثلاثين ، وكأنه لتكرار بعض الفقرات إما منه ﷺ للتأكيد أو من النساخ ، بأن يكونوا أضافوا بعض النسخ الى الاصل ، وربما تعد العبادات المذكورة في وسط الخبر اى الصلوة والصوم والجهاد واحداً فلا يزيد العدد .

قوله ﷺ الخير : هو كونه مقتضياً للخيرات أو لا يصلح الخير إما الى نفسه أو الى غيره ، والشر يقابله بالمعنيين ، وسماهما وزيرين لكونهما منشأين لكل ما يذكر

والتصديق وضده الجحود ؛ والرجاء وضده القنوط ؛ والعدل وضده الجور ؛
والرضا وضده السخط ؛ والشكر وضده الكفران ؛ والطمع وضده اليأس ؛
والتوكل وضده الحرص ؛ والرأفة وضدها القسوة ؛

بمد هما من الجنود ، فهما أميران عليها مقويان لها ، وتصدر جميعها عن رأيهما .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والتصديق : لعلها من الفقرات المكررة ، ويمكن تخصيص الإيمان
بما يتعلق بالأصول ، والتصديق بما يتعلق بالفروع ، ويحتمل أن يكون الفرق بالاجمال
والتفصيل ، بأن يكون الإيمان التصديق الاجمالي بما جاء به النبي وَاللَّهُ عَلَيْهِ والتصديق
الإذعان بتفاصيله ، أو يقال : الإيمان هو الاعتقاد الثابت الجازم ، والتصديق اظهار
حقيقة مدعى الحق وقبول قوله .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والرجاء ، هو بالقصر والمد : توقع رحمة الله في الدنيا والآخرة .
قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والعدل : أى التوسط في جميع الأمور بين الإفراط والتفريط ،
أو المعنى المعروف وهو داخل في الأول .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والرضا : أى بقضاء الله .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والشكر : أى شكره تعالى على نعمه بالقلب واللسان ، والأركان ،
أو الأعم من شكره وشكر غيره من وسائط النعم .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والطمع : لعله تكرار للرجاء ، ويمكن أن يخص الرجاء بالأمور
الآخروية ، والطمع بالفوائد الدنيوية أو الرجاء بما يكون باستحقاق والطمع بغيره ،
أو يكون المراد بالطمع طمع ما في أيدي الناس بأن يكون من جنود الجهل ، أو رد
على خلاف الترتيب ولا يخفى بعده .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والتوكل : هو الاعتماد على الله تعالى والإيمان بأن النعم كلها
من عنده تعالى ، فمن اتصف به يجمل في الطلب ، ويكون اعتماده عليه تعالى لأعلى
طلبه وكسبه ، فيقابل به الحرص ، والحرص هنا من فعل الجوارح ، وفيما سأتى مقابل
القنوع من فعل القلب وهو الهم والحزن على عدم وجدان الزائد ، وفي بعض النسخ

والرحمة وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل؛ والفهم وضده الحمق؛
والعفة وضدها التهتك، والزهد وضده الرغبة؛ والرفق وضده الخرق؛
والرهبة وضده الجرأة؛ والتواضع وضده الكبر؛ والتؤدة وضدها التسرع؛
والحلم وضدها السفه؛ والصمت وضده الهذر؛

هنا بالضاد المعجمة، ومعناه الهم والحزن فينعكس الامر .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والرحمة: لعلها ايضاً من المكررات لقربها من معنى الرأفة ويمكن
أن يكون المراد بالرأفة: الحالة، وبالرحمة ثمرتها، قال بعض الافاضل: الرأفة: هي
المعطوفة الناشئة عن الرقة، ومقابلها القسوة، والرحمة هي الميل النفساني الموجب
للمغفوة والتجاوز ومقابلها الغضب .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والفهم: إما المراد به حالة للنفس تقتضي سرعة إدراك الامور، و
العلم بدقائق المسائل، أو أصل الادراك فيخص بالحكمة العملية، والعلم بالنظرية،
أو الفهم بالامور الجزئية، والعلم بالكلية .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والعفة: هي منع البطن والفرج عن المحرمات والشبهات، و
مقابلها التهتك وعدم المبالاة بهتك ستره في ارتكاب المحرمات .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والرفق: هو حسن الصنعة والملائمة، وضده الخرق، قال في
القاموس: الخرق بالضم وبالتحريك ضد الرفق، وأن لا يحسن العمل والتصرف
في الامور .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والرهبة: اى الخوف من الله ومن عقابه أو من الخلق أو من النفس
والشيطان، والاولى التعميم ليشمل الخوف عن كل ما يضر بالدين أو الدنيا .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والتؤدة: هي بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها: الرزانة والتأني
اى عدم المبادرة الى الامور بالتفكر، فإنها توجب الوقوع في المهالك .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والصمت: اى السكوت عما لا يحتاج اليه ولا طائل فيه، وضده
الهذر، قال في القاموس: هذر كلامه كفرح كثر من الخطاء والباطل، والهذر محركة

والاستسلام وضده الاستكبار ؛ والتسليم وضده الشك ؛ والصبر وضده
الجزع ؛ والصفح وضده الانتقام ؛ والغنى وضده الفقر ؛ والتذكر وضده
السهو ؛ والحفظ وضده النسيان ؛ والتعطف وضده القطيعة ، والقنوع وضده
الحرص ، والمؤاساة وضدها المنع ؛ والمودة وضدها العداوة ؛

الكثير الردى أوسط الكلام .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والاستسلام : اى الانقياد لله تعالى فيما يأمر وينهى ، والتسليم
إنقياد أمة الحق وإذعان ما يصدر عنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ويصعب على الانهان قبوله ، وقال
بعض الافاضل : الاستسلام هو الانقياد ، ويشتمل على شيئين : الخضوع والتصديق ، و
كذا التسليم ، فباعتبار الأول عبر عنه بالاستسلام ، وجعل مقابله الاستكبار ، وباعتبار
الثانى عبر عنه بالتسليم وجعل مقابله الشك .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والغنى : المراد بالغنى غنى النفس والاستغناء عن الخلق ، لا الغنى
بالمال فانه غالباً مع أهل الجهل ، وضده الفقر الى الناس والتوصل بهم في الامور .
قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والتذكر : لما كان السهو عبارة عن زوال الصورة عن المدركة لا
الحافظة أطلق في مقابله التذكر الذى هو الاسترجاع عن الحافظة ، ولما كان النسيان
عبارة عن زوالها عن الحافظة ايضاً أطلق في مقابله الحفظ .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والقنوع : هو الرضا بالكفاف وعدم طلب الزيادة ، ولما كان الحرص
زيادة السعى في الطلب ، ويشتمل على شيئين الافراط في الطلب ، والاعتماد على
الطلب الذى يلازمه جعله باعتبار اشتماله على الأول مقابل القنوع ، وباعتبار اشتماله
على الثانى مقابل التوكل ، وقدم قريب منه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤاساة : هى أن يجعل إخوانه مشاركين ومساهمين له في ماله .
قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والمودة : قيل هى الاتيان بمقتضيات المحبة والامور الدالة عليها
ومقابلها العداوة ، وهى الاتيان بمقتضيات المباغضة ، وفعل ما يتبعها ، ولعله انما ارتكب
ذلك للفرق بينه وبين الحب والبغض ، ويمكن الفرق بينهما بتخصيص أحدهما
بالخالق ، والاخر بالخلق ، أو أحدهما بالاشخاص والاخر بالاعمال ، ويمكن أن يكون

والوفاء وضده الغدر؛ والطاعة وضدها المعصية؛ والخضوع وضده التطاول؛
والسلامة وضدها البلاء؛ والحب وضده البغض؛ والصدق وضده الكذب؛
والحق وضده الباطل، والأمانة وضدها الخيانة؛ والاخلاص وضده الشوب؛
والشهامة وضدها البلاهة؛ والفهم وضده الغباوة؛

أحدهما من المكررات.

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والوفاء: أى بعهود الله تعالى أو بعهود الخلق أو الأعم.
قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والطاعة: هى متابعة من ينبغى متابعتها فى أوامره ونواهيه.
قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والخضوع: هو التذلل لمن يستحق أن يتذلل له، ومقابله التطاول
وهو الترفع.

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والسلامة: هى البرائة من البلايا وهى العيوب والآفات، والعاقل
يتخلص منها حيث يعرفها، ويعرف طريق التخلص منها، والجاهل يختارها ويقع
فيها من حيث لا يعلم، وقال الشيخ البهائى (ره): لعل المراد سلامة الناس منه كما
ورد فى الحديث: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، ويراد بالبلاء ابتلاء
الناس به.

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والحب: قيل هو الميل النفسانى، والعاقل يميل إلى المحاسن و
يريدها، وكذا إلى من يتصف بها، والعاقل يريد الخير لكل أحد، ولا يرضى
بالشر والنقيصة لأحد.

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والحق: أى إختياره، وضده إختيار الباطل.
قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والاخلاص: أى إخلاص العمل لله تعالى، وضده الشوب بالرياء
والاغراض الفاسدة.

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والشهامة: هى ذكاء الفؤاد وتوقده.
قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والفهم: وفى علل الشرايع مكانه «الفتنة» ولعله أولى لعدم
التكرار، وعلى ما هنا لعلها من المكررات، ويمكن تخصيص أحدهما بفهم مصالح

والمعرفة وضدها الإنكار؛ والمداراة وضدها المكاشفة؛ وسلامة الغيب وضدها
المماكرة؛ والكتمان وضده الإفشاء؛ والصلاة وضدها الإضاعة، والصوم وضده
الإفطار، والجهاد وضده النكول؛ والحج وضده نبذ الميثاق؛ وصون الحديث
وضده النميمة؛ وبر الوالدين وضده العقوق؛

النشأة الاولى، والآخر بالآخرى أو أحدهما بما يتعلق بالحكمة النظرية، والآخر
بما يتعلق بالحكمة العملية، أو أحدهما بمرتبة من الفهم والذكاء، والآخر بمرتبة
فوقها، والفرق بينه وبين الشهامة أيضاً يحتاج الى تكلف بأن يقال: الشهامة إدراك
الامور بنفسه، والفهم إدراكها بعد الإلقاء أو بوجه بأحد الوجوه السابقة.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعرفة: هي على ما قيل إدراك الشيء بصفاته وآثاره، بحيث
لو وصل اليه عرف أنه هو، ومقابلته الإنكار، يعنى عدم حصول ذلك الإدراك، فإن
الإنكار يطلق عليه أيضاً كما يطلق على الجحود، ويحتمل أن يكون المراد بالمعرفة
معرفة حق أئمة الحق وفضلهم.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وضدها المكاشفة: [المكاشفة] هي المنازعة والمجادلة وفي المحاسن
المداراة وضدها المخاشنة.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وسلامة الغيب: أى يكون في غيبة غيره سائماً من ضرره، وضدها
المماكرة وهو أن يتملق ظاهراً للخديعة والمكر، وفي الغيبة يكون في مقام الضرر،
وفي المحاسن سلامة القلب ولعله أنسب.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والكتمان: أى كتمان عيوب المؤمنين وأسرارهم أو كلما يجب
أو ينبغى كتمان ككتمان الحق في مقام التقية، وكتمان العلم عن غير أهله.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلوة: أى المحافظة عليها وعلى آدابها وأوقاتها، وضدها الإخلال
بشرائطها وآدابها أو أوقات فضلها.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وضده نبذ الميثاق: أى طرحه، وإنما جملة ضدّ للحجّ لما سيأتى
في أخبار كثيرة أن الله تعالى أودع الحجر موافق العباد، وعلة الحج تجديد الميثاق
عند الحجر فيشهد يوم القيامة لكل من وافاه.

والحقيقة وضدّها الرياء ؛ والمعروف وضدّه المنكر ؛ والستر وضدّه التبرُّج ؛
والتقيّة وضدّها الإذاعة ؛ والإِصاف وضدّه الحميّة ؛ والتهيّة وضدّها البغي ؛
والنظافة وضدّها القذر ؛ والحياء وضدّها الجلع ؛ والقصد وضدّه العدوان ؛ والراحة

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والحقيقة : لعلّ المراد بها الإِخلاص في العبادة إذ بتركه ينتفى
حقيقة العبادة ، وهذه الفقرة أيضاً قريبة من فقرة الإِخلاص والشوب ، فإمّا أن
يحمل على التكرار أو يحمل الإِخلاص على كماله بأن لا يشوب معه طمع جنّة و
لا خوف نار ولا جلب نفع ولا دفع ضرر ، والحقيقة على عدم مراعاة المخلوقين .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعروف : اى اختياره والائتان به والامر به وكذا المنكر .
قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وضدّه التبرُّج : اى إظهار الزينة ولعلّ هذه الفقرة مخصوصة
بالنساء ، ويمكن تعميمها بحيث تشمل ستر الرجال عوراتهم وعيوبهم .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والتقيّة : هى الستر في موضع الخوف ، وضدّها الإذاعة والأفشاء .
قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والإِصاف : اى التسوية والعدل بين نفسه وغيره ، وبين الأقارب و
الاباعد ، والحميّة توجب تقديم نفسه على غيره ، وإن كان الغير أحقّ ، وتقديم عشيرته
وأقاربه على الاباعد وإن كان الحقّ مع الاباعد .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والتهيّة : هى الموافقة والمصالحة بين الجماعة وإمامهم ، وفي النصال
المهنة وهى الخدمة ، والمراد خدمة أئمة الحق وإطاعتهم ، والبغي : الخروج عليهم
وعدم الانقياد لهم .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وضدّها الجلع : في بعض النسخ بالجيم ، وهو قلّة الحياء ، وفي
بعضها بالحاء المعجمة اى خلع لباس الحياء وهو مجاز شائع .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والقصد : اى إختيار الوسط في الامور وملازمة الطريق الوسط
الموصل الى النجاة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والراحة : اى إختيار ما يوجبها بحسب النشاطين لراحة الدنيا
فقط .

وَضَدَّهَا التَّعَبُ ؛ وَ السَّهُولَةُ وَ ضَدَّهَا الصَّعُوبَةُ ؛ وَ الْبَرَكَةُ وَ ضَدَّهَا الْمَحَقُّ ؛
وَالْعَافِيَةُ وَضَدَّهَا الْبَلَاءُ ؛ وَالْقَوَامُ وَضَدَّهَا الْمَكَاثِرَةُ ؛ وَالْحِكْمَةُ وَضَدَّهَا الْهَوَاءُ ؛

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّهُولَةُ : اى الانقياد بسهولة ولين الجانب .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْبَرَكَةُ : هى تكون بمعنى الثبات والزيادة والنمو ، اى الثبات على الحق ، والسعى في زيادة أعمال الخير وتنمية الايمان واليقين ، والترك ما يوجب محق هذه الامور اى بطلانها ونقصها وفسادها ، ويحتمل أن يكون المراد البركة فى المال وغيره من الامور الدنيوية ، فان العاقل يحصل من الوجه الذى يصلح له ويصرف فيما ينبغي الصرف فيه ، فينمو ويزيد ويبقى ويدوم له بخلاف الجاهل .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْعَافِيَةُ : اى من الذنوب والعيوب أو من المكاراه فان العاقل بالشكر والعفو يعقل النعمة عن النفاق ، ويستجلب زيادة النعمة وبقاتها مدى الاعمار ، والجاهل بالكفران وما يورث زوال الأُحسان وارتكاب ما يوجب الابتلاء بالغموم والاحزان ، على خلاف ذلك ، ويمكن أن تكون هذه أيضاً من المكربات ويظهر مما ذكرنا الفرق على بعض الوجوه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقَوَامُ : هو كسحاب : العدل ، وما يعاش به اى اختيار الوسط في تحصيل ما يحتاج اليه ، والاكتفاء بقدر الكفاف ، والمكاثرة : المغالبة فى الكثرة ، اى تحصيل متاع الدنيا زائداً على قدر الحاجة للمباهات والمغالبة ، ويحتمل أن يكون المراد التوسط فى الانفاق وترك البخل والتبذير ، كما قال تعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » ^(١) فالمراد بالمكاثرة المغالبة فى كثرة الانفاق ، وفى بعض النسخ المكاشرة بالشين ، وهى المضحكة ، فالمراد : بالقوام التوسط فى المعاشرة وترك كثرة المزاح ، وعدم الاسترسال والاستتياس .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحِكْمَةُ : هى العمل بالعلم واختيار النافع والاصلاح ، وضدّها

إتباع هوى النفس وشهواتها .

والوقار وضده الخفة ؛ والسعادة وضدها الشقاوة ؛ والثوبة وضدها الإصرار ؛
والاستغفار وضده الإغترار ؛ والمحافظة وضدها التهاون ؛ والدعاء وضده الاستنكاف
والنشاط وضده الكسل ؛ والفرح وضده الحزن ؛ والألفة وضدها الفرقة ؛ والسخاء
وضده البخل .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والوقار : هو الثقل والرزانة والثبات وعدم الانزعاج بالفتن وترك
الطيش والمبادرة الى ما لا يحمد ، والحاصل ان العاقل لا يزول عما هو عليه بكل ما يرد
عليه ، ولا يحرّكه الا ما يحكم العقل بالحركة له أو إليه لرعاية خير وصلاح ، والجاهل
يتحرّك بالتوهّمات والتخيّلات واتباع القوى الشهوانية والغضبىة ، فمحرك العاقل
عزيز الوجود ، ومحرك الجاهل كثير التحقق .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والسعادة : هي اختيار ما يوجب حسن العاقبة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والاستغفار : هو اعم من التوبة ، إذ يشترط في التوبة العزم على
الترك في المستقبل ، ولا يشترط ذلك في الاستغفار ، ويحتمل أن تكون مؤكدة للمفردة
السابقة ، والإغترار : الاخذاع عن النفس والشیطان بتسويق التوبة ، والغفلة عن
الذنوب ومضارها وعقوباتها .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والمحافظة : اى على أوقات الصلوة ، والتهاون : التأخير عن
أوقات الفضيلة ، أو المراد المحافظة على جميع التكاليف .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وضده الاستنكاف : اى الاستكبار وقد سمى الله تعالى ترك الدعاء
استكباراً فقال : « ان الذين يستكبرون عن عبادتى » .^(١)

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والفرح : اى ترك الحزن على ما فات عنه من الدنيا أو البشاشة مع
الاخوان .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وضدها الفرقة : في بعض النسخ العصبية وكونها ضد الألفة ، لأنها
توجب المنازعة واللجاج والعناد الموجبة لرفع الألفة .

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍّ ، أو وصيٍّ بنبيٍّ أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان ، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل ، وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء ، وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ، و بمجانبة الجهل وجنوده ؛ وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته .

١٥ - جماعة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما كلّم رسول الله ﷺ العباد بكنهه عقله قط ؛ وقال : قال رسول الله ﷺ : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم .

١٦ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن جعفر ، عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن قلوب الجهّال تستفزّها

قوله عليه السلام قد امتحن الله قلبه : أى اختبره بالشدائد والمحن والفتن ، فوجده ثابتاً صابراً أو صفاه من الرذائل لقبول كمال الإيمان ، من قولهم : امتحن الذهب إذا صفاه ، وقال الفيروز آبادي : امتحن الله قلوبهم : ترحها وسعها .

الحديث الخامس عشر مرسل .

قوله عليه السلام العباد : أى ممن عدّ أهل بيته عليهم السلام بكنهه عقله ، أى بنهاية ما يدركه بعقله ، بل يخاطب كلاّ منهم بقدر فهم هذا المخاطب ، وربما خاطبهم جميعاً بخطاب يفهم كل منهم بحسب قابليته وفهمه كالقرآن المجيد .

الحديث السادس عشر ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام إن قلوب الجهّال : أى ذوى العقول الناقصة تستفزّها الاطماع أى تستخفّها وتخرجها من مقرّها ، وترتهنها المنى هى ارادة ما لا يتوقع حصوله ، أو المراد بها ما يعرض للانسان من أحاديث النفس وتوسيل الشيطان ، أى تأخذها وتجعلها مشغولة بها ولا تتركها الا بحصول ما تتمناه ، كما ان الرّهن لا ينفكّ الا بأداء المال

الأطماع ، وترتهنها المنى ، وتستعلقها الخدائع .

١٧ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن عبيد الله الدهقان ، عن درُست ، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً .

١٨ - علي ، [عن أبيه] ، عن أبي هاشم الجعفري قال : كنا عند الرضا عليه السلام فتذاكرنا العقل والأدب فقال : يا أبا هاشم العقل جباء من الله والأدب كلفة ، فمن تكلف الأدب قدر عليه ، ومن تكلف العقل لم تزد بذلك إلا جهلاً .

و«تستعلقها» بالعين المهملة ثم القاف أى تصيدها و تربطها بالجبال ، من قولهم علق الوحش بالجباله اذا تعوق ونشب فيها ، وفي بعض النسخ بالقافين أى تجعلها الخدائع منزعة منقلعة من مكانها ، وفي بعضها بالغين المعجمة ثم القاف من قولهم استغلقتنى فى بيعته : أى لم يجعل لى خياراً فى رده .

الحديث السابع عشر ضعيف .

قوله : أحسنهم خلقاً : الخلق بالضم و بضمّتين : الهيئة الحاصلة للنفس بصفاتها ، ويقال لها السجية ، ويدل عليها الآثار والافعال الدالة عليها تسمية للدال باسم المدلول ، ويطلق غالباً على حسن المعاشرة .

الحديث الثامن عشر صحيح .

قوله عليه السلام جباء : الجباء بالكسر : العطية ، أى العقل عطية من الله تعالى ، والأدب الطريقة الحسنة فى المحاورات والمكاتبات والمعاملات وما يتعلق بمعرفتها وملكيتها كلفة ، فهى مما يكتسب فيتحمّل بمشقة ، فمن تكلف الأدب قدر عليه ، وما يكون حصوله للشخص بحسب الخلقة والعطاء من الله سبحانه كالعقل ، فلا يحصل بتكلف واحتمال مشقة ، فمن تكلف العقل لم يقدر عليه ولم يزد بتكلفه ذلك إلا جهلاً^(١) وقيل : المراد أنه من أراد أن يظهر التخلق بالآخلاق الحسنة والآداب المستحسنة يمكنه ذلك بخلاف العلم ، فإن الجاهل اذا أظهر العلم يصير سبباً لمزيد فضيخته

(١) تكلفه بان يتعرض لفهم امور لا يصل اليها عقله أو لتحقيق مباحث هى فوق طاقته

او لسياسات مدنية لا يمكنه القيام بها (منه رة) .

١٩ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك إن لي جاراً كثير الصلاة ، كثير الصدقة ، كثير الحج ، لا بأس به ! قال : فقال : يا إسحاق كيف عقله ؟ قال : قلت له : جعلت فداك ليس له عقل ، قال : فقال : لا يرتفع بذلك منه .

٢٠ - الحسين بن محمد ، عن أحمد بن محمد السيارى ، عن أبي يعقوب البغدادي قال : قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالصاويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الله لما بعث موسى عليه السلام

في الجهالة ، والاول أنهر .

الحديث التاسع عشر مجهول .

قوله عليه السلام : لا بأس به : قيل اى لا يظهر منه عداوة لاهل الدين وشدة على المؤمنين أو لا يطلع منه على معصيته .

قوله عليه السلام كيف عقله ؟ : اى قوة التمييز بين الحق والباطل ، تمييزاً يوجب الانقياد للحق والاقاربه .

قوله عليه السلام لا يرتفع منه بذلك : اى لا يرتفع ماذكرته من الاعمال منه بسبب قلّة المعرفة ، وفي بعض النسخ « لا ينتفع » فيمكن أن يقرأ على بناء المعلوم ، اى لا ينتفع ذلك الرجل بسبب قلّة العقل من عمله ، أو على بناء المجهول اى لا ينتفع من ذلك الرجل بسبب قلّة العقل ، بأن تكون كلمة « من » تعليلية ، والضمير راجعاً الى قلّة العقل أو بذلك السبب من هذا الرجل ، فكلمة « من » صلة والضمير راجع الى الرجل ، أو بذلك العمل من هذا الرجل ، ثم أن بعض الاحتمالات مبنية على تعدية الارتفاع بكلمة من وهو نادراً فتفتن .

الحديث العشرون ضعيف .

قوله : وآلة السحر : يمكن أن يقدر فيه مضاف اى آلة ابطال السحر ، ويمكن أن تكون الآلة بمعنى الحالة كما ذكره الجوهري ، اى بما يشبه السحر .

كان الغالب على أهل عصره السحر ، فأُتاهم من عند الله بمالم يكن في وسعهم مثله ، و ما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحجّة عليهم ، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب ، فأُتاهم من عند الله بمالم يكن عندهم مثله ، وبما أحياى لهم الموتى ، وأبرء الأكفم والأبرص بإذن الله ، وأثبت به الحجّة عليهم .

وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال : الشعر- فأُتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم ، وأثبت به الحجّة عليهم ؛ قال : فقال ابن السكيت : تالله ما رأيت مثلك قطّ فما الحجّة على الخلق اليوم ؟ قال : فقال عليه السلام : العقل ، يعرف به الصادق على الله فيصدقّه والكاذب

قوله عليه السلام : كان الغالب على أهل عصره السحر : الحاصل أن الغالب على أهل العصر ممّا يستكمل صنعته ويبلغ حدّ كماله ، فالغلبة فيه وفي شبهه أقوى ، واتم في اثبات المقصود ، حيث عرفوا نهاية المقدور لهم فيه ، فاذا جاوزه حصل لهم العلم بأنّه ليس من فعل أشباههم وأمثالهم ، بل من فعل خالق القوى والقدر أو من فعل من أقدره عليه باعطاء قدرة مخصوصة به ، وأمّا المتروك في العصر فربّما يتوهم أنهم لو تناولوه وسعوا فيه واكتسبوه ، بلغوا الحدّ الذي يتأني منهم الاتيان بما أتى به . قوله : وأظنه ، من كلام الراوى اى وأظنه ضمّ الشعرايضاً الى الخطب والكلام قوله : فما الحجّة على الخلق اليوم ؟ اى كان الحجّة على الخلق في صدق الرسل ومعجزاتهم فما الحجّة عليهم اليوم في صدق من يجب اتباعه حيث لا يعرف بالمعجزة الظاهرة ؟ فأجاب عليه السلام بأنّ بعد نزول الكتاب وانضباط الآثار الثابتة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعرف بالعقل ، الصادق على الله من الكاذب عليه ، فإنّ الصادق على الله عالم بالكتاب ، راع له ، متمسك بالسنة ، حافظ لها ، والكاذب على الله تارك للكتاب غير عالم به ، مخالف للسنة بقوله وفعله ، كذا قيل ، وهذا لا ينافي صدور المعجزات عن الائمة عليهم السلام فانّهم لما كانوا في أزمّة الخوف والتقية لم يمكنهم اظهار المعجزة

على الله فيكذبه ؛ قال : فقال ابن السكيت : هذا والله هو الجواب .

٢١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء عن المنثى الحنط ، عن قتيبة الأعشى ، عن ابن أبي يعفور ، عن مولى لبني شيبان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أقام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم .

٢٢ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سليمان ، عن علي بن إبراهيم عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل .

لكل أحد ، ولكن وفور علمهم وحسن أفعالهم وآدابهم ظهر بحيث لم يخف على أحد ، وبهذا تمت حجّتهم على جميع الخلق .

الحديث الحادى والعشرون ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام وضع الله يده : الضمير في قوله يده إما راجع إلى الله أو إلى القائم عليه السلام ، وعلى التقديرين كناية عن الرحمة والشفقة أو القدرة والاستيلاء ، وعلى الأخير يحتمل الحقيقة .

قوله عليه السلام : فجمع بها عقولهم ، يحتمل وجهين « أحدهما » أنه يجعل عقولهم مجتمعة على الإقرار بالحق فلا يقع بينهم اختلاف ، ويتفقون على التصديق ، و « ثانيهما » أنه يجتمع عقل كل واحد منهم ويكون جمعه باعتبار مطاوعة القوى النفسانية للعقل ، فلا يتفرق لثفرتها كذا قيل ، والاول أظهر ، والضمير في « بها » راجع إلى اليد ، وفي « به » إلى الموضع ، أو إلى القائم عليه السلام ، والأحلام جمع الحلم بالكسر وهو العقل .

الحديث الثانى والعشرون ضعيف .

قوله عليه السلام والحجة فيما بين العباد : كأن المراد أن الحجة فيما بين العباد وبين الله في معرفة ذاته والتصديق بوجوده العقل ثم بعد ذلك يحتاج عليهم في سائر التكليف بالنبي ﷺ أو المراد أن الحجة الظاهرة للنبي ﷺ والحجة الباطنة

٢٣ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ مَرْسَلًا قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : دَعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ ، وَالْعَقْلُ مِنْهُ الْفُطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ ؛ وَبِالْعَقْلِ يَكْمُلُ ، وَهُوَ دَلِيلُهُ وَمُبْصَرُهُ وَمِفْتَاحُ أَمْرِهِ ، فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدَ عَقْلِهِ مِنَ النُّورِ كَانَ عَالِمًا ، حَافِظًا ، ذَاكِرًا

الَّتِي لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهُ الْعَقْلُ كَمَا مَرَّ فِي الْخَبَرِ ، قِيلَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَيْ مَا يَقْطَعُ بِهِ عِذْرَهُمْ ، فَيُبَكِّتُهُمُ اللَّطْفَ بِهِمْ بِإِرسَالِ النَّبِيِّ وَالْمُتَوَسِّطِ فِي الْإِصَالِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَةِ الرَّسُولِ ، وَالطَّرِيقَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ هُوَ الْعَقْلُ وَيُنَاسِبُ هَذَا إِيْرَادُ لَفْظَةِ « عَلَى » أَوَّلًا وَتَرْكُهَا ثَانِيًا .

الحديث الثالث والعشرون مرسل .

قوله ﷺ دَعَامَةُ الْإِنْسَانِ : الدَّعَامَةُ بِكسر الدال عماد البيت ، والمراد أنَّ قِيَامَ أَمْرِ الْإِنْسَانِ وَنِظَامَ حَالِهِ بِالْعَقْلِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى النَّوْعِ ، فَلَوْلَا الْعَقْلُ لَمَا بَقِيَ النَّوْعُ ، لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْ إِيجَادِ الْإِنْسَانِ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي لَا تُحْصَلُ إِلَّا بِالْعَقْلِ وَالْعَقْلُ يَحْصُلُ أَوْ يَنْشَأُ مِنْهُ الْفُطْنَةُ ، وَهِيَ سُرْعَةُ إِدْرَاكِ الْأُمُورِ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَهَذَا كالدليل السابق .

قوله ﷺ وبالْعقل: أَيْ كَامِلُهُ يَكْمُلُ أَيْ الْإِنْسَانُ وَهُوَ أَيْ الْعَقْلُ الْكَامِلُ دَلِيلُهُ أَيْ دَلِيلُ الْإِنْسَانِ ، يَدُلُّهُ عَلَى الْحَقِّ ، وَمُبْصَرُهُ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ عَلَى بِنَاءِ الْأَفْعَالِ أَوْ التَّفْعِيلِ ، أَيْ جَاعِلُهُ بَصِيرًا وَمَوْجِبُ لُبْصِيرَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً » ^(١) أَوْ بِكسر الميم وفتح الصاد اسم آلة أَيْ مَا بِهِ بَصِيرَتُهُ ، أَوْ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالصَّادِ اسْمُ مَكَانٍ ، أَيْ مَا فِيهِ بَصِيرَتُهُ وَعِلْمُهُ ، وَفِي الْقَامُوسِ : الْمُبْصَرُ وَالْمُبْصَرَةُ : الْحُجَّةُ ، وَمِفْتَاحُ أَمْرِهِ أَيْ بِهِ يَفْتَحُ مَا أُغْلِقَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْفَاقِضَةِ .

قوله ﷺ فإذا كان تأييد عقله من النور : إِيْلَمُ أَنَّ النُّورَ لَمَّا كَانَ سَبَبًا لظهور المحسوسات يَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا يَصِيرُ سَبَبًا لظهور الأشياءِ عَلَى الْحَسِّ وَالْعَقْلِ ، فَيَطْلُقُ

فطناً ، فهماً ، فعلم بذلك كيف ولم وحيث ، وعرف من نصحه ومن غشه ، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله .

على العلم وعلى أرواح الائمة عليهم السلام ، وعلى رحمة الله سبحانه ، وعلى ما يلقيه في قلوب العارفين من صفاء وجلاء ، به يظهر عليهم حقائق الحكم ودقائق الامور ، وعلى الرب تبارك وتعالى لأنه نور الأنوار ، ومنه يظهر جميع الاشياء في الوجود العيني ، و الانكشاف العلمى ، وهنا يحتمل الجميع ، ومن قال بالعقول المجردة ربما يفسر النور هنا بها ، وتأيد به باشارتها عليه كما أوماً ناسباً اليه ، وقد عرفت ما فيه «كان عالماً» اى بما يحتاج اليه حافظاً لعلمه بحيث لا يتطرق عليه سهو ولا نسيان مطلقاً أو غالباً ذاكر الرب بحيث لا يشغله عنه شيء فطناً فهماً في غاية الكمال فكان كاملاً في القوتين النظرية والعملية وما يذكر بعد ذلك بعضه اشارة الى الأولى وبعضه إلى الثانية كما سيظهر .

قوله عليه السلام فعلم بذلك كيف : أى كيفية الأعمال والأخلاق أو كيفية السلوك إلى الآخرة ، والوصول إلى الدرجات العالية أو حقايق الأشياء و «لم» أى علّة الاشياء السالفة وغايتها ، أو علل وجودها وما يؤدى إليها كعلّة الاخلاق الحسنة فانه اذا عرفها يجتنبها ، أو أنه يتفكر في علّة العلل ومبدئ المبادئ وسائر العلل المتوسطة ، أو يتفكر في دلائل جميع الامور ولا يأخذها بمحض التقليد و «حيث» أى يعلم مواضع الامور فيضعها فيها ، كالامامة في أهل بيت الرّسالة والنصيحة فيمن يقبلها ، والحكمة فيمن هو أهل لها ، أو حيشيات الاشياء والأحكام واعتباراتها المختلفة الموجبة لاختلاف أحوالها و «عرف من نصحه» أى يقبل النصح منه وإن كان عدوه وعرف غش من غشه وإن كان صديقه ، أو عرف صديقه الواقعى من عدوه الواقعى ، بما يظهر منهم أو بنور الايمان كما كان للائمة عليهم السلام يعرفون كلاً بسيماهم .

قوله عليه السلام عرف مجراه ، إسم مكان أو مصدر ، اى سبيله الذى يجرى فيه إلى الحق أو يعلم أنه متوجه إلى الآخرة ويعمل بمقتضى هذا العلم ولا يتشبث بالدنيا

وأخلص الوجدانية لله ، و الإقرار بالطاعة فإذا فعل ذلك كان مستدركا لما فات ، و وارداً على ماهوآت ، يعرف ماهوفيه ، ولأى شيء هو ههنا ، ومن أين يأتيه ، وإلى ماهو صائر ؛ وذلك كله من تأييد العقل .

وشهواتها « وموصوله و مفعوله » كل منهما إما إسم مفعول أو مصدر أو إسم للمصدر ، أى ما ينبغى الوصل معه من الاشخاص والأعمال والأخلاق وما ينبغى أن يفصل عنه من جميع ذلك ، أو يعلم ما يبقى له في النشأة الآخرة ، ويصل إليه وما ينقطع عنه من أمور الدنيا الفانية ، وقيل : أى ما يوصل إلى المقصود الحقيقى وما يفصله عنه وهو بعيد .

وأخلص الوجدانية لله : أى علم أنه الواحد الحقيقى الذى لا جزء له في الخارج ولا في العقل ولا في الوهم ، وصفاته عين ذاته ولا تنكسر فيه بوجه من الوجوه ولا شريك له في الإلهية ، والإقرار بالطاعة : أى أقر بأنه لا يستحق الطاعة غيره سبحانه « فإذا فعل ذلك » أى إخلص الوجدانية والطاعة ، ويحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى الرّجل المؤيد ، أى إذا فعل فعلاً كان مستدركاً بذلك الفعل لمافات والاول أظهر .

« على ماهوآت » أى من الاعمال الحسنة أو المراتب العالية « يعرف ما هو فيه » أى النشأة الفانية وفنائها ومعانيها أو من العقائد والاعمال والأخلاق ، فان كانت حقة لزمها وإن كانت باطلة تركها .

قوله ﷻ : ولأى شيء هو ههنا ، أى يعرف أنه تعالى إنما أنزله إلى الدنيا لمعرفة وعبادته وتحصيل السعادات الآخروية فيبذل همته فيها .

قوله ﷻ : ومن أين يأتيه ، أى النعم والخيرات ويعلم مولاها فيشكره ويتوكل عليه ولا يتوسل بغيره تعالى في شيء منها ، أو الأعم منها ومن البلايا والافات والشرور والمعاصى فيعلم أن المعاصى من نفسه الامارة ومن الشيطان ، فيحترس منهما وكذا سائر الامور وعللها .

قوله ﷻ وإلى ماهو صائر ، أى إلى أى شيء هو صائر ، أى الموت وأحوال القبر و أهوال الآخرة وتعيمها وعذابها ، أو الأعم منها ومن درجات الكمال ، ودرجات النقص والوبال ، وإضافة التأييد الى العقل إما الى الفاعل أو إلى المفعول فتفتن .

٢٤ - عليُّ بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العقل دليل المؤمن .

٢٥ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن حماد بن عثمان ، عن السري بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : يا علي لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل .

٢٦ - محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن أبي نجران ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك إياك أمر وإياك أنهى ، وإياك أئيب وإياك أعاقب .

٢٧ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي عن الحسين بن خالد ، عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الرجل آتبه وأكلمه ببعض كلامي فيعرفه كله ، ومنهم من آتبه فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي كله ثم يردّه عليّ كما كلمته ، ومنهم من آتبه فأكلمه فيقول : أعد عليّ ؟ فقال : يا إسحاق ! وما تدري لِمَ هذا ؟ قلت : لا ؛ قال : الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله

الحديث الرابع والعشرون ضعيف .

الحديث الخامس والعشرون ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : أعود ، أى أنفع .

الحديث السادس والعشرون ضعيف في المشهور وقدمر الكلام فيه .

الحديث السابع والعشرون مجهول وفي بعض النسخ الحسن بن خالد وهو أيضاً مجهول والظاهر الحسين كما في العلل .

قوله : ثم يردّه عليّ : أى أصل الكلام كما سمعه أو يجيب عليّ ما كلمته والثاني أظهر .

قوله عليه السلام : وما تدري لم هذا ؟ قيل : إنّما قال عليه السلام ذلك تنمّة لسؤاله ولذا

فذاك من عجنت نطقه بعقله ، وأما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك ، فذاك الذي ركب عقله فيه في بطن أمه ، وأما الذي تكلمه بالكلام فيقول : أعد علي ، فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر ، فهو يقول لك : أعد علي .

٢٨ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن بعض من رفعه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهاوا به حتى تنظروا كيف عقله ؟ .

٢٩ - بعض أصحابنا ، رفعه عن مفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يا مفضل لا يفلح من لا يعقل .

أتى بالعاطف فصدقه السائل بقوله « لا » أي لأدري ويحتمل أن يكون قوله : وما تدرى استفهاماً أي أو ما تدرى لكن لا يحسن الواو فأنت لا وجه للعطف حينئذ والاحسن الاستيناف « انتهى » ثم أعلم أنه يحتمل أن يكون كلامه عليه السلام في الجواب جارياً على وجه المجاز ، لبيان اختلاف الانفس في الاستعدادات الذاتية أي كأنه عجنت نطقه بعقله مثلاً ، وأن يكون المراد أن بعض الناس يستكمل نفسه الناطقة بالعقل واستعداد فهم الأشياء وإدراك الخير والشر ، عند كونه نقطة ، وبعضهم عند كونه البطن ، وبعضهم بعد كبر الشخص واستعمال الحواس وحصول البديهيّات وتجربة الأمور ، وأن يكون المراد الإشارة إلى أن اختلاف المواد البديئية له مدخل في اختلاف العقل .

الحديث الثامن والعشرون مرسل .

قوله عليه السلام فلا تباهاوا به : من المباهاة بمعنى المفاخرة ، وقال بعض الأفاضل : يحتمل أن يكون من المهموز فخفت ، أي لا تؤانسوا به حتى تنظروا كيف عقله ، قال الجوهري بهاة بالرجل وبهت به بالفتح والكسر بهاء وبهوءاً : أنست به .

الحديث التاسع والعشرون ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : لا يفلح من لا يعقل ، الفلاح : الفوز والنجاة ، والمراد بمن لا يعقل

ولا يعقل من لا يعلم ، وسوف ينجب من يفهم ، ويظفر من يحلم ، والعلم جنّة ، والصدق عزٌّ ، والجهل ذلٌّ ، والفهم مجدٌّ ، والجود نجحٌ وحسن الخلق مجلبة للمودة ،

من لا يتبع حكم العقل ، ولا يكون عقله مستولياً على هوى نفسه ، أو من لا يكون عقله كاملاً ، أو يتعقل ويتفكر فيما ينفعه ولا يعقل ولا يستولى عقله ، أو لا يكون عقله كاملاً أو يتعقل من لا يحصل العلم ليصير ذا علم ، أو من لا يكون عالماً بما يجب عليه وما ينبغي تعقله والتدبر فيه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وسوف ينجب ، النجيب : الفاضل النفيس في نوعه ، والمراد أنه من يكون ذا فهم فهو قريب من أن يصير عالماً ، ومن صار عالماً فقريب من أن يستولى عقله على هوى نفسه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ويظفر : أى الحلم سبب للظفر على العدو أو الظفر بالمقصود ، أو الاستيلاء على النفس والشیطان .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والعلم جنّة : أى وقاية من غلبة القوى الشهوانية والفضيئة والدواعي النفسانية ومن أن يلتبس عليه الامر وتدخل عليه الشبهة أو سبب للاحتراز عن شر الأعداء كالجنة إذ بالعلم يمكن الظفر على الأعداء الظاهرة والباطنة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والصدق عزٌّ : أى شرف أو قوة وغلبة ، وقيل : المراد بالصدق هنا الصدق في الاعتقاد ولذا قابله بالجهل ، فإن الاعتقاد الكاذب جهل ، كما أن الاعتقاد الصادق علم .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والفهم مجد : المجد نيل الشرف والكرم .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والجود نجح ، النجح بالضم : الظفر بالحوائح .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ مجلبة : هى إمّا مصدر ميميّ حمل مبالغة ، أو إمّا مكان أو إمّا آلة والأوّل أوفق بنظائره .

والعالم بزمانه لانهجم عليه اللوابس والحزم مسائة الظنّ ، وبين المرء والحكمة نعمة

قوله عليه السلام لانهجم عليه اللوابس : الهجوم الاّتيان بغتة ، واللوابس الامور المشبهة ، والحاصل أنّ من عرف أهل زمانه وميّزين حقّهم وباطلهم ، وعالمهم وجاهلهم ، ومن يتّبع الحقّ ومن يتّبع الاهواء منهم ، لا يشتبه عليه الامور ، ويتّبع المحقّين ويترك المبطلين ، ولا تعرض له شبهة ، بكثرة أهل الباطل وقلة أهل الحقّ وغلبة المبطلين وضعف المحقّين .

قوله : والحزم مسائة الظنّ ، الحزم إحكام الامر وضبطه والأخذ فيه بالثقة ، والمساءة مصدر ميميّ ، والمراد أنّ إحكام الأمر وضبطه والأخذ فيه بالثقة يوجب سوء الظنّ ، أو يترتب على سوء الظنّ بأهل الزّمان بعدم الاّعتماد عليهم في الدّين و الدنيا وهذا ممّا يؤكّد الفقرة السابقة ، « فان قيل » : قدورد في الاخبار أنّه يجب حسن الظنّ بالاخوان وحمل أقوالهم وأفعالهم على المحامل الصحيحة وهذا ينا فيه ؟ « قلت » يحتمل الجمع بينهما بوجهين ، الأول : أنّ تلك الاخبار محمولة على ما إذا ظهر كونهم من المؤمنين ، وهذا على عدمه ، الثاني : أنّ يقال حمل أفعالهم وأقوالهم على المحامل الصحيحة لا ينافي عدم الاّعتماد عليهم في أمور الدّين والدّنيا ، حتّى يظهر منهم ما يوجب إطمينان النفس بهم ، والثوق عليهم ، وسيأتى بعض القول في ذلك في كتاب الايمان والكفر .

قوله عليه السلام بين المرء والحكمة : أقول : يحتمل هذا الكلام وجوهاً من التأويل إذ يمكن أن يقرء العالم بكسر الهمزة وبفتحةها ، ومجروراً بالاضافة ومرفوعاً ، وعلى كل من التقادير يحتمل وجوهاً : « الأول » : ما ذكره بعض أفاضل المحشّين قد سقى الله روحه ، حيث قال : لعلّ المراد بكون الشيء بين المرء والحكمة كونه موصلاً للمرء اليها ، واسطة في حصولها له ، كما ورد في رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وآله بين العبد والكفر ترك الصلوة ، أي تركها موصل للعبد إلى الكفر ، والغرض أنّ ما نعم الله به على العالم من العلم والفهم والصدق على الله ، واسطة للمرء توصله إلى

العالم و الجاهل شقى بينهما .

الحكمة ، فإن المرء اذا عرف حال العالم إتبعه وأخذ منه ، فيحصل له الحكمة و معرفة الحق والإقرار به والعمل على وفقه ، وكذا بمعرفة حال الجاهل ، وأنه غير عالم فهم صادق على الله يترك متابعتة ، والاخذ منه ويسعى في طلب العالم ، فيطلع عليه وبأخذ منه ، فالجاهل باعتبار سوء حاله باعث بعيد لوصول المرء الى الحكمة ، و هوشقى محروم يوصل معرفة حاله المرء الى سعادة الحكمة ، وهذا الكلام كالتفسير والتأكيد لما سبقه ، ويحتمل أن يحمل البينة في الاول على التوسط في الايصال ، وفي الثانى على كون الشيء حاجزاً مانعاً من الوصول ، فالجاهل شقى مانع من الوصول إلى الحكمة ، ثم قال : ولايبعد أن يقال : المراد بنعمة العالم ، العالم نفسه ، و الاضافة بيانية أو يكون العالم بدلا من قوله : نعمة ، فإن العالم أشرف ما أنعم الله بوجوده على عباده .

الثانى ما ذكره بعض أفاضل الشارحين ايضاً حيث قال : لعل المراد به أن الرجل الحكيم من لدن عقله وتميزه إلى بلوغه حد الحكمة متنعّم بنعمة العلم ونعيم العلماء فانه لايزال في نعمة من أغذية العلوم وفواكه المعارف ، فإن معرفة الحضرة الالهية لروضة فيها عين جارية وأشجار مثمرة قطوفها دانية ، بل جنة عرضها كعرض السماء والارض ، والجاهل بين مبدء امره ومنتهى عمره في شقاوة عريضة ، وطول أمل طويل ، ومعيشة ضنك وضيق صدر وظلمة قلب ، إلى قيام ساعته ، وكشف غطاءه ، وفي الآخرة عذاب شديد « انتهى كلامه » وهو مبنى على الاضافة .

الثالث ما ذكره الوالد العلامة نقلاً عن مشايخه العظام قدس الله أرواحهم : وهو أن يقرء نعمة بالتكوين ويكون العالم مبتداء والجاهل معطوفاً عليه ، وشقى خبر كل منهما ، والضمير في بينهما راجع الى المرء والحكمة ، والحاصل أن الذي يوصل المرء إلى الحكمه هو توفيق الله تعالى وهو من أعظم نعمه على العباد ، والعالم والجاهل يشقيان ويتعبان بينهما ، فمع توفيقه تعالى لا يحتاج إلى سعى العالم ولا يضرب منع

الجاهل؛ ومع خذلانه تعالى لا ينفع سعى العالم ويؤيد هذا ما في بعض النسخ من قوله يسعى مكان شقى .

الرابع: ان يقرأ العالم بالفتح إما مجروراً بالاضافة البيانية أو مرفوعاً بالبدلية اى بين المرء والحكمة نعمة هي العالم ، فإن بالتفكر فيه وفي غرايب صنعه تعالى يصل إلى الحكمة ، والجاهل شقى محروم بين الحكمة وتلك النعمة .

الخامس: أن يقرأ العالم بالكسر مرفوعاً على البدلية ويكون الضمير في بينهما راجعاً إلى الجاهل والحكمة ، والمعنى أن بين المرء وصوله إلى الحكمة نعمة هي العالم ، فإن بهدايته وإرشاده وتعليمه يصل إلى الحكمة ، والجاهل يتوسط بينه وبين الحكمة شقى يمنع عن الوصول إليها .

السادس: ان يقرأ العالم بالكسر والجر بالاضافة اللامية ، وضمير بينهما راجعاً الى الحكمة ، ونعمة العالم اى يتوسط بين المرء والحكمة نعمة العالم ، وهى إرشاده وتعليمه ، والجاهل محروم بين الحكمة وتلك النعمة اى منهما جميعاً .

السابع ما ذكره بعض الشارحين ايضاً : وهو أن يكون البين مرفوعاً بالابتدائية ونعمة خبره مضافاً إلى [العالم بكسر اللام والجاهل ايضاً مرفوعاً بالابتدائية وشقى خبره مضافاً الى] بينهما ، وضمير بينهما راجعاً إلى المرء والحكمة ، وقال : المراد بالعالم إمام الحق وبالجاهل إمام الجور ، وحاصل المعنى : أن وصل المرء مع الحكمة نعمة للإمام تصير سبباً لسورده ، لأن بالهداية يفرح الأمام و امام الجور يتعب ويحزن بالوصل بين المرء والحكمة ، ولا يخفى ما فيه .

الثامن : قرء بعضهم نعمة العالم بفتح النون يعنى أن الموصل للمرء الى الحكمة تنعم العالم بعلمه ، فاذا رآه المرء انبعث نفسه إلى تحصيل الحكمة ، و الجاهل له شقاوة حاصلة من بين المرء والحكمة ، أو المتعلم والعالم ، وذلك لأنه لا يزال يتعب نفسه إما بالחסد أو بالحسرة على الفوت ، أو السعى في التحصيل مع عدم القابلية .

والله ولي من عرفه و عدو من تكلفه والعامل غفور والجاهل ختور ، و ان شئت
أن تكرم فلن وان شئت أن تهان فاخشن ، ومن كرم أصله لان قلبه .

اقول : والكلام يحتمل وجوهاً آخر ذكرها يوجب الاطناب ، ويمكن فهم بعضها ممّا أو مانا اليه من الاحتمالات و الله تعالى و حججه عَلَيْهِ السَّلَام أعلم بحقائق كلامهم .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام ولي من عرفه : اى محبه أو ناصره ، أو المتوكلى لأمره حتى يبلغ به حد الكمال .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام من تكلفه : أى تكلف معرفته وأظهر من معرفته ما ليس له ، أو طلب من معرفته تعالى ما ليس في وسعه وطاقته .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام غفور : أى يغفوعن زلات الناس ، أو يستر عيوبهم ، أو يصلح نفسه وغيره ، من غفر الأمر بمعنى أصلحه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام ختور : هو من الختر بمعنى المكر والخديعة ، وقيل : بمعنى خبائث النفس وفسادها ، قال الفيروز آبادى : الختر : الغدر والخديعة ، وخرت نفسه خبثت وفسدت .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام تهان : الظاهر تهان كما في بعض النسخ ، وعلى ما في أكثر النسخ يمكن أن يقرأ على المعلوم من وهن يهن بمعنى ضعف .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام ومن كرم أصله : لعل المراد بكرم الأصل كون النفس فاضلة شريفة أو كون طبيئته طيبة كما يدل عليه قوله : خشن عنصره وانما نسب اللين الى القلب والغلظة الى الكبد ، لانهما من صفات النفس ولكل منهما مدخلة في التعطف والغلظة ، و سرعة قبول الحق وعدمها ، فنسب في كل من الفرقين إلى أحدهما ليظهر مدخليتهما في ذلك ، ويحتمل أن يكون الأول إشارة إلى سرعة الانقياد للحق وقبوله ، والثاني الى عدم الشفقة والتعطف على العباد ، ويمكن أن يكون النكتة في العدول عن القلب الى الكبد التنبيه على أن الجاهل لا قلب له ، فان القلب يطلق على محل المعرفة

ومن خشن عنصره غلظ كبده ومن فرط تورط ومن خاف العاقبة تثبت عن التوغّل فيما لا يعلم ومن هجم على أمر بغير علم جدع أنف نفسه ، ومن لم يعلم لم يفهم ، ومن لم يفهم لم يسلم ، ومن لم يسلم لم يكرم ، ومن لم يكرم يهضم ومن

والإيمان ، قال سبحانه : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ^(١) » ، وربما يجعل لين القلب إشارة إلى عدم المبالغة في القهر والغلبة والتسلط ، وغلظة الكبد الى قوة القوى الشهوانية ، لأن الكبد آله للنفس البهيمية ، والقوة الشهوية لانه آلة للتغذية وتوزيع بدل ما يتحلل على الاعضاء ، فيوجب قوة الرغبة في المشتبهات .

قوله ^(٢) ومن فرط : بالتشديد أو التخفيف بمعنى قصر ، أى من قصر في طلب الحق وفعل الطاعات أوقع نفسه في ورطات المهالك ، أو بالتخفيف بمعنى سبق أى من استعجل في ارتكاب الأمور وبادر اليها من غير تفكر للعواقب أوقع نفسه في المهالك ، قال الجوهري : فرط في الأمر يفرطه أى قصر فيه ، وضيقه حتى فات ، وكذلك التفریط وفرط عليه أى عجل وعدا ومنه قوله تعالى « انّا نخاف أن يفرط علينا ^(٣) » وفرط اليه منى قول ، أى سبق ، وقال : الورطة الهلاك ، والتورط الوقوع فيها ، والتوغّل الدخول في الأمر بالاستعجال من غير روية .

قوله ^(٤) جدع أنف نفسه : أى جعل نفسه ذليلاً غاية الذل ، والجدع قطع الأنف .

قوله ^(٥) ومن لم يعلم . . . أى من لم يكن عالماً بشيء لم يميز بين الحق والباطل فيه ، ومن لم يميز بين الحق والباطل لم يسلم من ارتكاب الباطل ، بل لا يسلم في شيء أصلاً ، أمّا في ارتكاب الباطل فظاهر ، وأمّا في ارتكاب الحق ان اتفق فلأن القول به بلا علم هلاك و ضلالة ، ومن لم يسلم لم يكرم على البناء للمفعول أى لم يعامل معه معاملة الكرام بل يتخذ ، أو على البناء للفاعل أى لم يكن شريفاً فاضلاً ومن لم يكرم يهضم على البناء للمفعول أى يكسر عزّه وبهاؤه ، ويهان أو يترك مع نفسه ويوكل أمره اليه ، أو يظلم ومن يهضم كان ألوم أى أشدّ ملامة وأكثر استحقاقاً

يهضم كان ألوم ، ومن كان كذلك كان أخرى أن يندم .

٣٠ - محمد بن يحيى ، رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير احتملته عليها واغتفرت فقد ماسواها ولا اغتفر فقد عقل ولادين لأن مفارقة الدين مفارقة الأمان فلا يتهنأ بحياة مع مخافة ، وفقد العقل فقد الحياة ، ولا يقاس إلا بالأموال .

لأن يلام ، ومن كان كذلك كان أجدر بالندامة على ماساقه الى نفسه من الملامة بسبب التوغل فيما لا يعلم .

الحديث الثلاثون مرسل .

قوله عليه السلام من استحكمت : الخصلة تستعمل في الصفات فضائلها وورائلها ، ولكن استعمالها في الفضائل أكثر ، ويقال : أحكمتها فاستحكمت أي صارت محكمة ، والمراد بصيرورتها محكمة صيرورتها ملكة ، وقوله : لي ، باعتبار تضمين معنى الثبوت أو ما يشابهه ، كذا قيل ، ويمكن أن يقال : لما كان الامام راعياً للناس رقيباً عليهم ، لكان تحصيل هذه الصفات له ولرضاه ، فلذا أضافها إلى نفسه ، وتمتعة الخبر يؤيده ، وقوله : احتملته عليها أي قبلته كائناً على هذه الخصلة ، وتجاوزت عن فقد ماسواها من خصال الخير ، وارتضيت حاله هذه له ، والحاصل تجويز نجاته بسبب الخصلة الواحدة ، ثم استثنى عليه السلام من تلك الخصال العقل والدين ، فإنه لا يمكن الاكتفاء باحدهما عن الآخر ، ولا بغيرهما عنهما ، ثم استدلل عليه السلام على ذلك بقوله لأن مفارقة الدين مفارقة الأمان ، لأن من لا يكون له دين لا يأمن في الدنيا من القتل وأخذ الأموال والذل والصغار وفي الآخرة من عذاب النار ، ويحتمل أن يكون المراد بالدين كماله وأخذه من أئمة الدين ، فبفقد ذلك لا يؤمن عليه أن يخرج من الدين بوساوس الشياطين ، وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد بالحياة المعنوية الحاصلة بالعقل والعلم فإنه مع خوف زوالها لا يتهنأ بها ، ثم بين عليه السلام أن فقد العقل فقد الحياة فإن حياة النفس بالعقل والمعرفة ، كما أن حياة البدن بالنفس .

٣١ - علي بن ابراهيم بن هاشم ، عن موسى بن ابراهيم المحاربي ، عن الحسن ابن موسى ، عن موسى بن عبدالله ، عن ميمون بن علي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله .

٣٢ - أبو عبدالله العاصمي ، عن علي بن الحسن ، عن علي بن أسباط ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر عنده أصحابنا وذكر العقل قال : فقال عليه السلام : لا يعبأ بأهل الدين ممن لا عقل له ، قلت : جعلت فداك إن ممن يصف هذا الأمر قوماً لا بأس بهم عندنا وليست لهم تلك العقول ؟ فقال : ليس هؤلاء ممن خاطب الله إن الله خلق العقل فقال له : أقبل فأقبل : وقال له : أدبر فأدبر ،

الحديث الحادى والثلاثون مجهول .

قوله عليه السلام إعجاب المرء : الإعجاب مصدر مبنى للمفعول ، أضيف إلى المفعول يقال : فلان معجب برأيه على بناء المفعول إذا أعجبه رأيه واستحسنه ، والعجب أن يظن الإنسان بنفسه منزلة لا يستحقها ويصدق نفسه في هذا الظن ، وذلك انما يحصل من قلة التمييز والمعرفة ، وعدم معرفة قبائح النفس ونقائصها ، فهو دليل على ضعف العقل .

الحديث الثانى والثلاثون موثق .

قوله عليه السلام لا يعبأ : أى لا يبالى بمن لا عقل له من أهل الدين ، ولم يعد شريفاً ولا يلتفت إليه ، ولا يثاب على أعماله ثواباً جزيلاً .

قوله عليه السلام ممن يصف هذا الامر : أى ممن يقول بقول الإمامية قوماً لا بأس بهم في الاعتقاد والعمل عندنا أى في بلادنا أو باعتقادنا ، وليست لهم تلك العقول دلّ باتيان لفظة تلك - وهى الإشارة الى البعيد - على علو درجة العقول المسلوقة عنهم إشارة الى أن لهم قدراً من العقل ايتدوا به إلى ما اعتدوا إليه ، وغرضه السؤال عن حالهم أيعبأ بهم ام لا ؟ فقال عليه السلام : ليس هؤلاء ممن خاطب الله وكلفهم بالتكاليف الشاقة ، وعرضهم للوصول الى الدرجات الرفيعة ، ولا يعتنى بشأهم ، وفي قوله : بك

فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك أو أحب إليّ منك ، بك آخذ وبك أعطي .

٣٣ - عليّ بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل ، قيل : وكيف ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال : إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق فلو أخلص نيته لله لآثاه

آخذ وبك أعطي ، دلالة على أن المؤاخذة بالمعاصي والإعطاء بالطاعة بالعقل ، وهو مناطهما ، فكلما كملت كثرت المؤاخذة والإعطاء ، وكلما نقص قلت المؤاخذة والإعطاء ، فيصل إلى مرتبة لا يبالي بهم ولا يهتم بأمرهم ، ولا يشدد ولا يضيّق عليهم .

الحديث الثالث و الثلاثون مرسل .

قوله عليه السلام : إلا قلة العقل : أى من لم يكن قليل العقل فهو إما مؤمن وإما كافر وأما قليل العقل ، فهو غير متّصف بهما ، إما أصلاً إذا حمل على عدم حصول العقل الذّى هو مناط التكليف ، أو كاملاً كما في المرجئين لأمر الله أو المعنى : من كان كاملاً فى العقل فهو مؤمن كامل ، ومن كان عارياً عن العقل فهو كافر ، ومن كان قليل العقل فهو متوسط بينهما ، ومثّل عليه السلام لقليل العقل مثلاً يدلّ على أن أرباب المعاصي ليست معصيتهم إلا لقلة عقلهم وتدبرهم ، والأظهر أن المراد أنّه ليست الوساطة بين الإيمان والكفر ، أى ما يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر إلا قلة العقل ومطابقة التمثيل حينئذ ظاهر ، فالمراد بالإيمان الكامل الذّى يخرج منه الإنسان بالتوسّل بغيره تعالى والإعتماد عليه ، فإن مقتضى الإيمان الكامل بقدرة الله تعالى وكونه مالكا لضرّ العباد ونفعهم ، أن لا يتوكّل إلا عليه ، ولا يرفع مطلوبه إلا إليه ، فمن توسّل بغيره تعالى في شيء من أموره فقد خرج من هذا الإيمان ودخل في الكفر الذى يقابله .

قوله عليه السلام : رغبته ، أى مرغوبه ومطلوبه وحاجته .

قوله عليه السلام : لآثاه : إما على بناء المجرّد فالموصول فاعله ، أو على بناء الإفعال ففاعله الضمير الرّاجع إلى الله والموصول مفعوله .

الذي يريد في أسرع من ذلك .

٣٤ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبيد الله الدهقان ، عن أحمد بن عمر الحلبي عن يحيى بن عمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : بالعقل استخرج غور الحكمة و بالحكمة استخرج غور العقل ، و بحسن السياسة يكون الأدب الصالح قال : وكان يقول : التفكر حياة قلب البصير كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص وقلة التربص .

قوله عليه السلام من ذلك : أى من إتيائه ذلك المخلوق أو من وقت الرفع اليه ، أو من ذلك الوقت الذى يتوقع حصول مطلوبه عند المخلوق .

الحديث الرابع و الثلاثون ضعيف .

قوله عليه السلام غور الحكمة : قيل أى قعر الحكمة والبالغ منها نهاية الخفاء والحكمة العلوم الحقّة والمعارف اليقينية التى يدركها العقل ، فالوصول إلى أخفاها و حقيقة بواطنها بالعقل و بالحكمة استخرج غور العقل ، أى نهاية مافي قوته من الوصول الى العلوم والمعارف ، فإن بالعلم والمعرفة يعرف نهاية مرتبة العقل ، أو يظهر نهاية مرتبته ويبلغ كماله .

أقول : في بعض النسخ «عوز» بالعين المهملة والزّأى المعجمة ، وعوز كل شيء نقصه وقلته ، ولعله تصحيف ، ويمكن توجيهه بما يرجع الى الأوّل .

قوله عليه السلام : وبحسن السياسة : أى بحسن الأمر و النهى أو بحسن التأديب من الإمام والمعلم والوالد والمالك وأضرابهم ، يحصل الآداب الصالحة الحسنة ، و يمكن أن يعمّ بحيث يشمل سياسة النفس ، وقيل : المراد بالسياسة المعاشرة مع الخلق .

قوله عليه السلام : حياة قلب البصير : أى قلب البصير الفهم يصير حياً عالماً عارفاً بالتفكر ، وهو الحركة النفسانية في المقدمات الموصلة الى المطلوب ، ومنها الى المطلوب فالفهم يمشى ويتحرّك بتفكره في حال جهله بالمطلوب الى المطلوب بحسن

[* الف - عدّة من أصحابنا ، عن عبدالله البرّاز ، عن محمد بن عبدالرحمن بن حمّاد عن الحسن بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل : أن أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلاّ به ، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونور ألهم ، فبالعقل عرف العباد خالقهم ، وأنّهم مخلوقون ، وأنّه المدبّر لهم ، وأنّهم المدبّرون ، وأنّه الباقي وهم الفانون ؛ واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه ، من سمائه وأرضه ، وشمس وقمره ، وليله ونهاره ، وبأنّ له ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول ، وعرفوا به الحسن من القبيح ، وأنّ الظلمة في الجهل ، وأنّ النور في العلم ، فهذا مادّ لهم عليه العقل .

قيل له : فهل يكفي العباد بالعقل دون غيره ؟ قال : إنّ العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته ، علم أنّ الله هو الحقّ ، وأنّه هوربّه ، وعلم أنّ لخالقه محبةً ، وأنّ له كراهيةً ، وأنّ له طاعةً ، وأنّ له معصيةً ، فلم يجد عقله يدّله على ذلك فعلم أنّه لا يوصل إليه إلاّ بالعلم وطلبه ، وأنّه لا ينتفع بعقله ، إن لم

التخلّص والنجاة من الوقوع في الباطل وقلة التربّص والإنتظار في الوصول إلى الحق كذا ذكره بعض الأفاضل ويطلق التفكّر غالباً في الأحاديث على التفكّر والاعتبار بأحوال الدّنيا وفنائها ودنائتها وزوال لذّاتها ، وما يوجب الزّهد في الدّنيا وترك مشتهياتها والتوجّه إلى تحصيل الآخرة وتحصيل سعاداتها ، وهذا التفكّر يحيى قلب البصير ويزهده في الدّنيا ، وينوّر له طريق الوصول إلى الآخرة ، فيتخلّص من فتن الدّنيا وآفاتها ومضلات الفتن ومشتهياتها ، ويسعى بقدمي الإخلاص واليقين إلى أعلى منازل المقرّبين ، وقوله : بحسن التخلّص يحتمل تعلّقه بيمشي أو بالتفكّر أو بهما ، و يحتمل أن يكون حالاً عن الماشي أو المتفكّر أو عنهما ، وإن كان بعضها بعيداً لفظاً و بعضها معنىً فلا تغفل .

(*) من هنا إلى آخر الباب يعنى رواية «الف» و «ب» مما لم يوجد في أكثر نسخ الكافي و يظهر من عدم تعرض الشارح (ره) لهما أيضاً انهما غير موجودان في نسخته فلا تغفل .
مرآة العقول - ٦ -

يصب ذلك بعلمه ، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به .
 ب - علي بن محمد ، عن بعض أصحابه ، عن ابن أبي عمير ، عن النضر بن سويد ،
 عن حمران و صفوان بن مهران الجمال قالوا : سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا غنى
 أخصب من العقل ، ولا فقر أخط من الحمق ، ولا استظهار في أمر بأكثر من المشورة
 فيه [.

وهذا آخر كتاب العقل [والجهل]
 والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً



﴿ كتاب فضل العلم ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه ﴾

١ - أخبرنا محمد بن يعقوب ، عن علي بن ابراهيم بن هاشم [عن أبيه] عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ألا إن الله يحب بغاء العلم .

باب فرض العلم و وجوب طلبه والحث عليه

كذا في اكثر النسخ وفي بعضها قبل الباب : كتاب فضل العلم ويؤيد الاول ان الشيخ عد كتاب العقل وفضل العلم كتاباً واحداً من كتب الكافي حيث عدّها في الفهرست ، ويؤيد الثاني أن النجاشي عد كتاب فضل العلم بعد ما ذكر كتاب العقل من كتب الكافي .

الحديث الاول مجهول .

قوله وَاللَّهُ يَكْرَهُ طلب العلم فريضة : المراد بالعلم العلم المتكفل بمعرفة الله وصفاته وما يتوقف عليه المعرفة والعلم المتعلق بمعرفة الشريعة القويمة .

والاول له مرتبتان : الاولى : مرتبة يحصل بها الاعتقاد الحق الجازم وإن لم يقدر على حل الشكوك والشبهات ، وطلب هذه المرتبة فرض عين ، والثانية : مرتبة يقدر بها على حل الشكوك ودفع الشبهات وطلب هذه المرتبة فرض كفاية .

والثاني اي العلم المتعلق بالشريعة القويمة ايضاً له مرتبتان : إحداهما العلم بما يحتاج الى عمله من العبادات وغيرها ولوقليداً ، وطلبه فرض عين ، والثانية : العلم بالاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، واصطلاح في هذه الأصعار على التعبير

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن عبدالله ، عن عيسى بن عبدالله العمري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : طلب العلم فريضة .

٣ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحابه قال : سئل أبو الحسن عليه السلام : هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه؟ فقال : لا .

٤ - علي بن محمد وغيره ، عن سهل بن زياد و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ابن عيسى ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة ، عن أبي إسحاق السبيعي عن حدثه قال : سمعت أمير المؤمنين يقول : أيها الناس اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، إن

عنها بالاجتهاد وطلبها فرض كفاية في الأعصار التي لا يمكن الوصول فيها إلى الحجة ، وأما في العصر الذي كان الحجة ظاهراً ، والأخذ منه ميسراً ففيه كفاية عن الاجتهاد ، وكذا عن المرتبة الثانية من العلم المتكفّل بمعرفة الله وصفاته وتوابعه ، ثم نقول : مراده ظاهراً فرض العين و بحسب ذلك الزمان فيكون المفترض المرتبتين الأوليين من العلمين ، ولطابيت فرض العلم رغب في المرتبة الغير المفروضة وهو الاشتغال بتحصيل العلوم وضبطها واتخاذها حرفة بقوله : ألا إن الله يحب بغاة العلم أي طلبته ، فإن بغاة العلم وطلبة العلم ظاهر عرفاً في من يكون إشتغاله به دائماً ، وكان شغله الذي يعرف به ، ويعدّ من أحواله طلب العلم .

الحديث الثاني مجهول .

الحديث الثالث مرسل .

الحديث الرابع مرسل .

قوله عليه السلام : طلب العلم والعمل به : قيل المراد بهذا العلم العلم المتعلّق بالعمل ، ولعلّه لضرورة في تخصيصه به ، فإن كلّ علم من العلوم الدينيّة يقتضى عملاً لولم يأت به كان ذلك العلم ناقصاً ، كما أنّ العلم بوجوده تعالى وقدرته ولطفه وإحسانه يقتضى

المال مقسوم مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم ، وضمنه وسيفى لكم ، والعلم مخزون عند أهله ، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه .

٥ - عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن يعقوب بن يزيد ، عن أبي عبد الله رجل من أصحابنا رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال رسول الله والله : طلب العلم فريضة .

وفي حديث آخر قال قال أبو عبد الله عليه السلام : قال رسول الله والله : طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا وإن الله يحبُّ بغاة العلم .

٦ - عليُّ بن محمد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى عن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : تفقهوا في الدين فإنّه

إطاعته في أوامره ونواهيه ، والعلم بوجود الجنة يقتضى العمل لتحصيلها ، والعلم بوجود النار يقتضى العمل بما يوجب النجاة منها ، وهكذا قوله عليه السلام : أوجب عليكم المراد إما الوجوب الشرعى الكفائى ، أو الوجوب العقلى أى أحسن وأليق بأنفسكم والمراد بالمال : الرزق لأفضوله ، قد قسمه عادل بينكم ، لقوله سبحانه : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ^(١) » وضمنه لقوله تعالى : « وما من دابة إلا على الله رزقها » ^(٢) » عند أهله أى الأنبياء والأئمة عليهم السلام والذين أخذوا عنهم ، وقد أمرتم بطلبه بقوله تعالى : « فاستلوا أهل الذّكر ان كنتم لاتعلمون » ^(٣) .

الحديث الخامس مرسل .

الحديث السادس ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام تفقهوا في الدين : حمله الأكثر على تعلّم فروع الدّين إمّا بالاجتهاد أو بالتقليد ، ويمكن حمله على الأعمّ من الأصول والفروع بتحصيل اليقين فيما يمكن تحصيله فيه وبالظنّ الشرعى في غيره .

(١) سورة زخرف : ٣٢ .

(٢) سورة هود : ٦ .

(٣) سورة النحل : ٣٣ .

من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي^١ إن الله يقول [في كتابه] : « ليتفقوها في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »^(١) .

٧ - الحسن بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن القاسم بن الربيع ، عن مفضل ابن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يترك له عملاً .
٨ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقوها .

قوله عليه السلام فهو أعرابي : أي كالأعراب في عدم التفقه وقد ذمهم الله تعالى بقوله « الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله »^(٢) وقال الجوهري الأعراب سكان البادية خاصة من العرب ، والنسبة إلى الأعراب أعرابي لأنه لا واحد له .

قوله عليه السلام إن الله يقول ... لعله استدللّ بأنه تعالى أوجب الخروج للتفقه و لو لم يكن التفقه واجباً لم يكن الخروج له واجباً .

الحديث السابع ضعيف .

قوله عليه السلام لم ينظر الله إليه : النظر ههنا كناية عن الاختيار والرأفة والعطف ، لأنّ النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكره .
قوله عليه السلام ولم يترك له عملاً : التزكية الثناء والمدح وهنا كناية عن قبول العمل ، ويحتمل أن يكون من الزكاة بمعنى النمو .

الحديث الثامن مجهول ولكنه في قوة الصحيح لكون محمد بن إسماعيل من مشايخ الاجازة ولا تضر جهالته .

قوله بالسياط : هو بكسر السين جمع السوط .

٩- علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى ، عن عثمان رواه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال له رجل : جعلت فداك رجل عرف هذا الأمر ، لزم بيته ولم يتعرف إلى أحد من إخوانه ؟ قال : فقال : كيف يتفقه هذا في دينه ؟ !

﴿باب﴾

﴿صفة العلم وفضله وفضل العلماء﴾

١- محمد بن الحسن وعلي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى ، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان ، عن درُست الواسطي ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال : ما هذا ؟ فقيل : علامة فقال : وما العلامة ؟ فقالوا له : أعلم الناس بأنسب العرب ووقائعها ، و آيام الجاهلية ، والأشعار العربية ، قال : فقال النبي ﷺ : ذاك علم لا يضر من جهله ، ولا ينفع من علمه ؛ ثم قال النبي ﷺ : إنما العلم ثلاثة :

الحديث التاسع ضعيف .

قوله عليه السلام ولم يتعرف ، أى اعتزل الناس ولم يخالطهم أو لم يسئل عنهم ، قال الجوهري : تعرفت ما عند فلان أى تطلبت حتى عرفت .

باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء .

الحديث الاول ضعيف .

قوله ﷺ : ما هذا ؟ لم يقل من هذا تحقيراً أو إهانة وتأديباً له .
قوله : علامة ، العلامة صيغة مبالغة أى كثير العلم ، والتاء للمبالغة .
قوله ﷺ وما العلامة ؟ أى ما حقيقة علمه الذى به اتصف بكونه علامة ؟
وهو أى نوع من أنواع العلامة ، والتنوع باعتبار أنواع صفة العلم ، والحاصل ما معنى العلامة الذى قلتم وأطلقتم عليه ؟
قوله صلوات الله عليه : إنما العلم : أى العلم النافع ثلاثة ، آية محكمة أى

آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة ، و ما خلاهنّ فهو فضل .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن أبي البخري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ العلماء ورثة الأنبياء وذاك أنّ الأنبياء

واضحة الدلالة ، أو غير منسوخة ، فإنّ المتشابه والمنسوخ لا ينتفع بهما كثيراً من حيث المعنى ، أو فريضة عادلة قال في النهاية : أراد العدل في القسمة أى معدلة على السهام المذكورة في الكتاب والسنة من غير جور ، ويحتمل أن يريد أنها مستنبطة من الكتاب والسنة ، فتكون هذه الفريضة تعدل بما أخذ عنهما « انتهى » والظاهر أنّ المراد مطلق الفرائض أى الواجبات ، أو ما علم وجوبه من القرآن ، والاول أظهر لمقابلة الآية المحكمة وصفها بالعدالة ، لأنها متوسطة بين الإفراط والتفريط ، أو غير منسوخة ، وقيل : المراد بها ما اتفق عليه المسلمون ، ولا يخفى بعده ، والمراد بالسنة المستحبات أو ما علم بالسنة وإن كان واجباً ، وعلى هذا فيمكن أن يخص الآية المحكمة بما يتعلق بالاصول أو غيرهما من الاحكام ، والمراد بالقائمة الباقية غير المنسوخة ، و ما خلاهنّ فهو فضل ، أى زايد باطل لا ينبغي ان يضع العمر في تحصيله او فضيلة و ليس بضرورى ^(١) .

الحديث الثانى ضعيف .

قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء : أى يرثون منهم العلوم والمعارف والحكم ، اذهذه عمدة ما يمتنعون به في دنياهم ، ولذا علّله بقوله : انّ الانبياء لم يورثوا دهرماً ولا ديناراً ، أى لم يكن عمدة ما يحصلون في دنياهم وينتفع الناس به منهم في حياتهم

(١) والحاصل ان المراد بالاية امامطلق ما يستنبط من التنزيل الحكيم اصولاً وفروعاً وبالفريضة : الواجبات المستنبطة من غيرها ، وبالسنة النوافل كذلك ، او المراد بالاية المحكمة البراهين العقلية المستنبطة من القرآن على اصول الدين فانها محكمة لاتزول بالشكوك والشبهات وبالفريضة سائر الاحكام الواجبة وبالسنة الاحكام المستحبة سواء اخذنا من القرآن او من غيرها ، او بالفريضة الاحكام الخمسة المستفادة من السنة المطهرة (منه ره) .

لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا ممن تأخذونه؟ فإن فينا

وبعد وفاتهم الدينار والدرهم، ولا ينافي أن يرث وارثهم الجسماني منهم ما يبقى بعدهم من الاموال الدنيوية، اويقال وارثهم من حيث النبوة المختصة بهم العلماء فلا ينافي ذلك كون وارثهم من جهة الانساب الجسمانية يرث اموالهم الظاهرة، فأهل البيت عليهم السلام ورثوا النبي صلى الله عليه وآله من الجهتين معاً، على أنه يحتمل أن يكون الانبياء عليهم السلام لم يبق منهم خصوص الدينار والدرهم بعد وفاتهم، لكن الظاهر أنه ليس المراد حقيقة هذا الكلام، بل المراد ما أومأنا إليه من أن عمدة اموالهم وما كانوا يعتنون به ويورثونه هو العلم، دون المال وذكر الدينار والدرهم على المثال.

ويخطر بالبال وجه آخر وهو أن يكون المراد بقوله عليهم السلام: إن الانبياء لم يورثوا بيان الموروث فيه، لأنه عليهم السلام لما قال إن العلماء ورثة الانبياء فكان سائلاً يسأل أى شيء أورثوا لهم؟ فأجاب بأنه لم يورثوا لهم الدرهم والدينار ولكن أورثوا لهم الاحاديث، ولذا قال أحاديث من احاديثهم، لأن جميع علومهم لم يصل إلى جميع العلماء، بل كل عالم أخذ منها بحسب قابليته واستعداده، ففي الكلام تقدير: اى لم يورثوا لهم، فيشعر بأن لهم ورثة يرثون اموالهم ولكن العلماء من حيث العلم لا يرثون إلا احاديثهم، وهذا وجه وجيه وإن كان قريباً ممّا مرّ.

قوله عليهم السلام فقد أخذ حظاً وافراً: أى فقد أخذ أمراً عظيماً شريفاً على سياق قوله سبحانه «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» أو فليأخذ حظاً وافراً [منهم] لما قد تبين أنه شيء شريف، وينبغي الاكثار من مثل هذا الشيء والمبالغة في طلبه، والتفريع في قوله: فانظروا [في] علمكم هذا إما لأنه أمر شريف عظيم فينبغي التفكير والتدبر في مأخذه حتى لا يكون ما يؤخذ منه ناقصاً أو مشوباً بغيره، أو لأنه لما تبين أنه ميراث الانبياء فينبغي أن يؤخذ ممن يكون علمه مأخوذاً منهم، ويكون وارثهم وأحقّ الخلق بهم، وهم أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله

أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ،

فيهم : إننى تارك فيكم الثقلين ، وغير ذلك مما قال فيهم ، ولذا علّقه بقوله عَلَيْهِمَا .
فإنّ فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً أى في كل قرن فإن الخلف للمرء من
يكون بعده ، وكل قرن خلف للقرن السابق ، قال في النهاية : فيه : يحمل هذا العلم
من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأول الجاهلين ،
الخلف بالتحريك والسكون : كل من يجيء بعد من مضى إلا أنّه بالتحريك
في الخير ، وبالتسكين في الشر ، يقال : خلف صدق وخلف سوء ، ومعناها جميعاً القرن
من الناس ، والمراد من الحديث المفتوح ، وقال الجوهري : الخلف القرن ، وقال :
الخلف والخلف ما جاء من بعد ، يقال : هو خلف سوء من أبيه وخلف صدق من أبيه
بالتحريك اذا قام مقامه ، انتهى ، ويحتمل أن يكون المراد بالخلف كل طبقة من
أولاد الأئمة عليهم السلام وبالعدول الأئمة عليهم السلام باعتبار الأزمان ، فإنّهم فسّروا الخلف
بالقرن ، والقرن قديطلق على أربعين سنة وعلى ثمانين سنة وعلى مائة سنة كما روى
أنّ النبي صلى الله عليه وآله مسح رأس غلام ، وقال : عش قرناً فعاش مائة سنة كما ذكره في النهاية
ومعلوم أنّ كل مائة من الأزمان بعده صلوات الله عليه كان مشتملاً على إثنين وأكثر
من الأئمة عليهم السلام إلى الغيبة الكبرى ، ويمكن توسيع القرن بحيث يشمل زمان
العسكريّين الى إنقراض العالم فأنّه أيضاً جزء من الزمان فيدلّ على أنّ القائم عليه السلام
في غيبته الكبرى يهدى الناس إلى مرادهم ويسدّد الدين ويقومّه بما يصل من
فيوضه الى خواص شيعته ورواة أحاديث آبائه الطاهرين وأحاديثه أو يكون المراد
بالعدول العدل للمبالغة أو باعتبار بعض القرون ، أو يراد بالعدول كل إمام مع
الصّادقين من أصحابه ، ويحتمل أن يكون المراد بالعدول الصّادقين من روايتهم و
حملة علومهم ، فتكون كلمة في بمعنى اللام ، أى لنا أهل البيت في كل خلف عدول ،
أو يفدّ رمضاف أى في شيعتنا ، والتحريف : صرف الكلام عن وجهه ، والغالين المجاوزين
الحدّ والإنتحال أن يدعى لنفسه ما غيره ، كأن يدعى الآية أو الحديث الوارد في

وتأويل الجاهلين .

٣ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين .
٤ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربيع بن عبدالله ، عن رجل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : الكمال كل الكمال التفقه في الدين ، والصبر على النائبة ، وتقدير المعيشة .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل

غيره أنه فيه أويدعى العلم ولم يكن عالماً ، أو يدعى التقوى ولم يكن متقياً ، أويظهر الصدق و كان كاذباً ، والمبطلين : الذين جاؤا بالباطل ، وقرروا وذهبوا بالحق وضيّعوه وأخفوه .

«وتأويل الجاهلين » التأويل : تنزيل الكلام على غير الظاهر وتبيين مرجعه ، وهذا إنما يجوز ويصح من العالم بل الراسخ في العلم .

الحديث الثالث ضعيف على المشهور .

الحديث الرابع مرسل .

قوله عليه السلام على النائبة : أى الصبر على نوازل الدهر وحوادثه ، وقد يطلق ^(١) على تحمّل ما يلزم القوم من الديات وغيرها ، والأول أظهر قال الجرجى : النائبة هى ما ينوب الانسان أى ينزل به من المهمات والحوادث .

قوله عليه السلام وتقدير المعيشة : أى ترك الإسراف والتقتير ولزوم الوسط أى جعلها بقدر معلوم يوافق الشرع والعقل ، وقد يطلق التقدير على التقتير كما قال تعالى « ومن قدر عليه رزقه » ^(٢) وحمله عليه ههنا بعيد .

الحديث الخامس ضعيف على المشهور بمحمد بن سنان ومعتبر عندى .

(١) أى الصبر على النائبة لانفس النائبة .

(٢) سورة الطلاق : ٧ .

ابن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : العلماء أُمْناء ، والأَتقياء حصون ، والأَوْصياء سادة .

وفي رواية أخرى : العلماء منار ، والأَتقياء حصون ، والأَوْصياء سادة .

٦ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن حَسَّان ، عن إدريس بن الحسن ، عن أبي إسحاق الكندي ، عن بشير الدهان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا يا بشير ! إنَّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهِه احتاج إليهم فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم .

٧ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن آبائه قال : قال رسول الله ﷺ : لا خير في العيش إلاَّ لرحلين

قوله عليه السلام أُمْناء : أي ائتمنهم الله هلى ما آتاهم من علومه ومعارفه ، وأمرهم بأن يحفظوها عن التضييع ويوصلوها الى مستحقِّها .

قوله عليه السلام والأَتقياء حصون : أي بهم يدفع الله العذاب عن الأُمَّة ، كما إنَّ بالحصون يدفع البلايا عن أهلها كما سيأتي في الأخبار الكثيرة إنشاء الله تعالى ، قيل : أي انهم حصون للشريعة يدفعون عنها الفساد ، لأنَّ بمشاهدة أحوالهم واستماع أقوالهم يرتدع أهل المعاصي عنها ويميلون إلى الطاعات والأَوَّل أظهر .

قوله عليه السلام سادة : السيّد : الجليل العظيم الذي له الفضل على غيره ، وهو الرئيس الذي يعظم ويطاع في أمره ونواحيه ، ولم يكن لأحد الخروج من طاعته .
قوله عليه السلام منار : هي موضع النور وعلم الطريق والمراد به المهتدى به .

الحديث السادس ضعيف .

قوله عليه السلام احتاج اليهم : أي إلى المخالفين .

قوله في باب ضلالتهم : أي في دينهم أو بضلوتهم في خصوص تلك المسئلة فيفتونه بما يوافق مذهبهم ، والأَوَّل أظهر .

الحديث السابع ضعيف على المشهور .

عالم مطاع ، أو مستمع واع .

٨ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد ابن محمد ، عن ابن أبي عمير ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد .

٩ - الحسين بن محمد ، عن أحمد بن اسحاق ، عن سعدان بن مسلم ، عن معاوية ابن عمار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : رجل راوية لحديثكم يث في الناس ويشدّه في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل ؟ قال : الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد .

الحديث الثامن صحيح .

الحديث التاسع مجهول على المشهور بسعدان وربما يعدّ حسناً لأن الشيخ قال : له أصل .

فوله راوية . . . الراوية كثير الرواية والتاء للمبالغة والمراد يث الحديث في الناس نشره بينهم بإيصاله إليهم .

قوله عليه السلام ويشدّه . . . أى يؤثقه ويجعله مستحكماً في قلوبهم ، وفي بعض النسخ بالسكن المهملة من السداد وهو الاستقامة وعدم الميل أى يقرّره سديداً بتضمين معنى التقرير في قلوب الناس ، وقلوب شيعتكم من عطف الخاص على العام لزيادة الاهتمام أو المراد بالناس العامة كما يطلق عليهم كثيراً في الاخبار .

قوله عليه السلام يشدّ به : قيل فيه إشعار بأن الفضيلة باعتبار النشر بين الشيعة وإخبارهم به ، لا بالنشر بين غيرهم وإن لم يكن فيه الإخلال بالواجب من التقيّة .

قوله عليه السلام من ألف عابد : لعلّ إختلاف مراتب الفضل باعتبار إختلاف العلماء والعباد في مراتبهم ومنازلهم ، ويؤيده أنّه بيّن عليه السلام في هذا الحديث النسبة بين الراوى والعابد ، وفي الحديث السابق النسبة بين العالم والعابد ، وقد يكون الراوى غير عالم بما يرويه ، فربّ حامل فقه غير فقيه ، وربّ حامل فقه إلى من هو

﴿ باب اصناف الناس ﴾

١ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن حدثه ممن يوثق به قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنّ الناس آلوا بعد رسول الله ﷺ الى ثلاثة : آلوا الى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره ، وجاهل مدّع للعلم لا علم له معجب بما عنده قد

أفقه منه ، فيفهم منهما أنّ العالم بعلمه أفضل من سبعين راوية للحديث ، يشدّ به قلوب الشيعة ، ويمكن أن يكون المراد بذكر هذه الأعداد بيان البون البعيد بينهما ، لا خصوص تلك الأعداد والاول اظهر .

باب اصناف الناس

الحديث الاول مجهول .

قوله عليه السلام آلوا : أى رجعوا .

قوله على هدى ... تمثيل لتمكّنه من الهدى واستقراره عليه بحال من اعتلى الشىء وركبه .

قوله عليه السلام قد أغناه الله : أى علمه موهبى وليس بكسبى والمراد بهذا القسم الامام عليه السلام ، وبالقسم الثانى أعداء الامام ومخالفوه ، ومن استبدّ برأيه ولم يرجع إليه فيما التبس عليه وبالثالث أتباع الامام ومن يأخذ العلم منه إمّا بواسطة أو بغير واسطة ، والمستضعفون إما داخلون في القسم الثانى بنوع تكلف ، أو خارجون عن المقسم بأن يكون المراد بالناس من له أهلية الفهم والتمييز بين الحق والباطل ، فقوله عليه السلام : ثم هلك من ادّعى ، بيان لهلاك القسم الثانى من الاقسام الثلاثة فانه الذى ادّعى العلم وليس بعالم ، او الامامة وليس بأهل لها ، وخاب باقترائه على الله في بيان علم عالم يعلم ، أو ادّعاء الرياسة والامامة ، ولعلّ كل واحد من أتباع أئمة الضلال

فتنته الدنيا وفتن غيره ، ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادعى وخاب من افترى .

٢ - الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الناس ثلاثة : عالم ومتعلم وغناء .

داخل في هذا القسم إذ هو أيضاً مدّع للعلم بما تعلمه من إمام الضلال ومعجب به ، ويدعو الناس أيضاً الى هذا التقليد الباطل أو يقال : اكتفى عليه السلام بذكر ضالّتهم من ذكر ضلال أتباعهم ، فإنّ الأئمة أيضاً اذا كانوا ضالّين فأتباعهم كذلك بالطريق الاولى ، مع انه عليه السلام أومى إليهم بقوله : وفتن غيره ، وربما يوجّه الخبر بوجه آخر وهو أنّ الناس اتبعوا ورجعوا في دينهم بعد رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أصناف فبعضهم اتبعوا ائمة الهدى عليهم السلام ، وبعضهم اتبعوا ائمة الضلال ، وبعضهم اتبعوا العلماء المحقّقة من الفرقة الناجية ، فالفرقة الثانية هالكة لهلاك ائمتهم ، والفرقتان الباقيتان ناجيتان لانتهاء علمهم إلى إمام الحق بواسطة أو بدونها والأوّل اظهر .

الحديث الثاني ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام غناء : الغناء بضمّ الغين المعجمة والشاء المثناة والمد ما يجيء فوق السيل ممّا يحمله من الزبد والوسخ وغيره ، وتشبيه غير العالم والمتعلم به إمّا من جهة عدم الانتفاع به وعدم الاعتناء بشأنه كما أنّ الغناء لا ينتفع به ولا يفتنى بشأنه ، أو من جهة أنّه في أعماله وأفعاله لا يدرى إلى ما يؤل أمره ، كما أنّ الغناء يتحرك فوق الماء ولا يدرى مثال أمره أو من جهة أنّه يتحرك بتحريك الشهوات النفسانية والتسويات الشيطانية ، كالغناء الذي يتحرك بحركة الماء من غير اختيار للامتناع منها ، أو من جهة أنّ وجوده بالعرض والتبع ، وليس مقصوداً بالذات في الابداد ، كما أنّ الغناء ليست حركته الاّ بتبعية حركة السيل وبالعرض ، ويحتمل أن يكون التشبيه من جميع تلك الجهات فيكون أتمّ وأكمل .

٣ - محمد بن يحيى ، عن عبدالله بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : اغدُ عالماً أو متعلماً أو أحبَّ أهل العلم ، ولا تكن رابعاً فتهلك بيغضهم .

٤ - علي بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن جميل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول يغدوا الناس على ثلاثة أصناف : عالم ومتعلم وغثاء .

﴿ باب ثواب العالم و المتعلم ﴾

١ - محمد بن الحسن وعلي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن عبدالله بن ميمون القداح :

الحديث الثالث مجهول .

قوله عليه السلام اغد عالماً . . . أى كن في كل غداة إما عالماً أو طالباً للعلم وإن لم تكن كذلك فأحب العلماء فإن حبك لهم سيدعوك إلى التعلم منهم ، ولا تبغضهم فإن بغض العلماء سبب للهلاك في نفسه ، وإيضاً يصير سبباً لترك السؤال عنهم والتعلم منهم ، وبذلك تستقر في الجهالة ، وتكون من الهالكين ، وقوله : فتهلك بيغضهم إضافة إلى المفعول ، ويحتمل الإضافة إلى الفاعل أى من لم يحب العلم وأهله ييغضهم العلماء وهو سبب لهلاكك ، وقيل : يحتمل أن يكون المراد بالمتعلم من يكون التعلم كالصناعة له ، ومن لم يكن عالماً من الله ولا متخذ التعلم صناعة له وأحب أهل العلم يأخذ منهم ، ويدخل في المتعلم بالمعنى الأعم ولا يخفى بعده .

الحديث الرابع صحيح على الاظهر .

والمراد بالمتعلم هنا ما هو أعم مما ذكر في الخبر السابق كما لا يخفى .

باب ثواب العالم و المتعلم

الحديث الاول له سندان : الأول مجهول ، والثاني حسن او موثق لا يقصران

عن الصحيح .

وعلي بن ابراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وإنه يستغفر

قوله صلوات الله عليه : من سلك طريقاً . . . أى للوصول الى العالم والّاخذ منه ، أو الوصول الى موضع يتيسر له فيه طلب العلم ، وقيل : الطريق الى الشيء : ما الدخول فيه وطيه يوصل إليه ومن طرق العلم الفكرة ومنها الاخذ من العالم ابتداءً أو بواسطة أو وسائط .

قوله صلوات الله عليه : يطلب فيه علماً ، الجملة صفة أو حال والضمير فيها للطريق أو السلوك ، والباء في قوله : سلك الله به للتعدية أى أسلكه الله في طريق موصل الى الجنة في الآخرة أو في الدنيا بتوفيق عمل من أعمال الخير يوصله الى الجنة ، و في طرق العامة سهّل الله له طريقاً من طرق الجنة .

قوله ﷺ لتضع أجنحتها : أى لتكون وطأه اذا مشى ، وقيل : هو بمعنى التواضع تعظيماً لحقه أو التعطف لطفاً له ، إذ الطائر يبسط جناحيه على أفراخه ، وقال تعالى « واخفض جناحك للمؤمنين » ^(١) وقال سبحانه « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ^(٢) وقيل : امراد نزولهم عند مجالس العلم وترك الطيران ، وقيل : أراد به إظهارهم بها ، وقيل : معناه بسط الجناح لتحمله عليها وتبلغه حيث يريد من البلاد ، ومعناه المعونة في طلب العلم ويؤيد الأوّل مارواه في كتاب غوالي اللآلئ عن المقداد رضى الله عنه أنّه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم حتى يطأعليها رضى به ، ويؤيد الثالث مارواه الشيخ في أماليه عن الرضا عن آبائهم عليه السلام أنّ النبي ﷺ قال : في فضائل طلبة العلم وترغب الملائكة في خلّتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وفي صلاتها تبارك عليهم ، والخبر ، ومارواه ابن

(١) سورة الحجر : ٨٨ .

(٢) سورة الاسراء : ٢٤ .

لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن

جمهور في الغوالي عن النبي ﷺ انه قال : من خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم لينتفع به ويعلمه غيره كتب الله له بكل خطوة ألف سنة صيامها وقيامها ، وحفته الملائكة بأجنحتها « الخبر » .

قوله ﷺ رضاً به : مفعول لاجله و يحتمل أن يكون حالاً بتأويل : اى راضين غير مكرهين ، وأما ما ذكره بعض الأفاضل حيث قال : لانه يرتضيه أو لا رضائه فلا يخفى عدم استقامته إلا بتكلف بعيد .

قوله صلوات الله عليه : من في السماء ومن في الارض ، يحتمل أن يكون المراد بالموصول جميع الحيوانات كما يظهر من بعض الاخبار : ان لسائر الحيوانات تسبيحاً وتقديساً ويمكن أن يكون الله تعالى ألهمهم الاستغفار لطالب العلم ، و يحتمل أن يكون المراد ما يشمل الجمادات ايضاً بأن يكون لها شعور ضعيف ، كما يدل عليه بعض الآيات والاعبار ، لكن السيد المرتضى رضى الله عنه إدعى إجماع المسلمين على خلافه فعلى عدم القول بشعورها يمكن أن يوجهه بوجوه :

الاول : أن يكون إستعارة تمثيلية لبيان رفعة شأنه وعلو أمره وانتشار ذكره في السماء والأرض ، فكأنه يستغفر له كل شئ كما يقال : بلغ صيته الآفاق و يقال : بكت عليه السماء والأرض ، وأمثال ذلك كثيرة .

الثاني : أن يكون كناية عن أنه تعالى يعطيه الثواب بعدد كل شئ و يغفر له من السيئات بعددها ، اذله مدخلية في وجودها ، لأنه هو المحصل لغاية الابداد و ثمرته .

الثالث : أن يكون إسناد ذلك إلى غير ذوى العقول بتبعية ذوى العقول ، و يكون المراد بها ذوى العقول فقط .

الرابع ، ما ذكره بعض المحققين من المعاصرين ، وهو أن الاستغفار طلب ستر

الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر .

الذنوب وطالب العلم يطلب ستر ذنب جهله الذي هو رئيس جنود المعاصي بنور العلم ويشركه في هذا الطلب كل من في السماء والأرض وما بينهما ، لأن عقله وفهمه وإدراكه لا يقوم إلاّ ببدنه ، وبدنه لا يقوم إلاّ بالغذاء والغذاء لا يقوم إلاّ بالأرض والسماء والغيم والهواء وغير ذلك ، إذ العالم كله كالشخص الواحد يرتبط البعض منه ببعض ، فالكل مستغفر له ، ويحتمل وجوهاً وتعبيرات أخرى ، لا فطيل الكلام بذكرها^(١) وعلى التقادير التعبير بلفظة «من» لتغليب ذوى العقول ، أو لأنّ ما اسند إليها وهو الاستغفار ممّا يسند إلى ذوى العقول .

(١) كما قيل انه يستغفر له الملائكة الموكلة بالسماء والأرض والبحار وحيثانها ، أو يقرأ يستغفر على بناء المجهول ويقدر قبل من في السماء قوله « بعدد » أى بعدد من فيها ، أو يقال لما كانت غاية وجود الانس والجن المعرفة أو العبادة المستلزمة لها ولولم يكن التعليم والتعلم لما بقوا طرفة عين كما دلت عليه الايات والاخبار وكان بقاء ساير الحيوانات ببركة بقاء المالمين العابدين كما يظهر من الاخبار وكل ذى شعور سواء كان عاقلاً لا يريد بقاءه وصلاحيته وسقوط ما ينجر الى زواله وسوء حاله وكل ما يتوقف عليه ذلك المطلوب يكون مراداً ومطلوباً له سواء كان مشعوراً به لهام لا فطلب ذلك المطلوب ورغبته وادارته من الجن والانس وسائر الحيوانات متضمن لطلب ما يتوقف عليه حصول ذلك المطلوب لهم من ابقاء طالب العلم وصلاح حاله وان كان من حيث لا يشعر فظهر من هذا ان كل ذى شعور يطلب المغفرة يعنى اصلاح الحال الحاصل من ستر الزلات والتجاوز عن السيئات والتثبت على الصراط المستقيم المفضى الى البقاء والنجاة لطالب العلم وان كان طلب بعضهم بل كلهم فى بعض الاوقات من حيث لا يدري ثم الملائكة ايضاً يستغفرون له بامر تعالى ولحبهم العلماء ولارادتهم بقاء ذلك الانواع فكل عاقل كامل من ذوى العقول علوياً كان اوسفلياً يطلب العلم من حيث يدري ، وكل جاهل ناقص العقل من ذوى العقول وكل ما لا يعقل من حيث لا يدري (منه ره) .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ الَّذِي يَعْلَمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَعَلِّمُوهُ إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمْوهُ الْعُلَمَاءُ .

٣ - عليّ بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن علي بن الحكم ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من علّم خيراً فله مثل أجر من عمل به ، قلت : فإن علّمه غيره يجرى ذلك له ؟ قال : إن علّمه الناس

الحديث الثاني صحيح .

قوله عليه السلام مثل أجر المتعلم : أى له مثل أجره مع زيادة أوله بسبب التعليم مثل أجره وإن كان له بسبب التعلم أجر آخر والاول أظهر .

قوله عليه السلام كما علّموكم العلماء : العلماء بدل من ضمير الجمع ، والكاف إمّا للتعليل أو للتشبيه بأن يكون المراد عدم التغيير في النقل أو في كيفية التعليم وآدابه أو فيهما معاً .

الحديث الثالث ضعيف على المشهور وربما يعدّ موثقاً .

قوله عليه السلام فإن علّمه : يحتمل وجوهاً :

الأول : أن يكون المراد أن التعليم هل يجرى فيه ما يجرى في العمل فيكون له مثل علمه كما أن له مثل أجر من عمل به ، فالجواب أن له مثل أجر تعليم المتعلم كما أن له مثل أجر عمله .

الثاني . أن يكون السؤال عن العمل بتعليم غيره من متعلميه ، أى عمل المتعلم بواسطة فأجاب عليه السلام بأنه يجرى له ذلك فيه لكونه بتعليمه ولو بواسطة .

الثالث : أن يكون المراد إن علّم المعلم ذلك الخير غيره من عمل به يجرى له ذلك الاجراى أجر التعلم فقط للمعلم أو مخصوص بالعمل فأجاب بأنه لو علّم المعلم ذلك الخير كل الناس ، و ظاهر أن من جملة من لا يعمل به جرى باعتبار تعليم كل واحد

كلهم جرى له ، قلت : فان مات ؟ قال : وإن مات .

٤ - وبهذا الاسناد ، عن محمد بن عبد الحميد ، عن العلاء بن رزين ، عن أبي عبيدة الحذائي عن أبي جعفر عليه السلام قال : من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً .

٥ - الحسين بن محمد ، عن علي بن محمد بن سعد رفعه ، عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهرج

منهم ذلك الأجر .

الرابع : أن يكون مراد السائل أن الشركة في ثواب العالمين والمعلمين سواء كان بواسطة أو بدونها هل هو مخصوص بأول معلم أو يجرى ذلك في الوسائط أيضاً ، فأجاب بالجريان .

قوله : قلت : فان مات . . . يعني إن مات المعلم وعمل المتعلم أو علمه غيره بعد موته يجرى له ذلك الاجر ؟ قال : وان مات يجرى له الثواب إلى يوم القيامة .

الحديث الرابع : صحيح .

قوله عليه السلام باب هدى : لعل المراد بباب الهدى و باب الضلالة نوعان منهما وقبل : المراد بهما تعليم طريق السلوك إلى أحدهما والدخول فيه ، ويجرى في هذا الحديث ما ذكر في الحديث السابق من الحمل على المعلم ابتداءً ويكون له مثل مال كل عامل ولولم يكن بتعليمه ، والحمل على كل معلم ويكون له مثل ما لكل عامل ينتهي عمله إلى تعليمه ولو بواسطة .

الحديث الخامس : مرفوع .

قوله : ولو بسفك المهرج . . . هو جمع مهجة وهي الدّم ، اودم القلب خاصة ، أي بما يتضمن إراقة دمائهم .

و خوض اللجج إنَّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدى إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأن أحبَّ عبيدى إلى التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء.

٦ - عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم الله دُعي في ملكوت السماوات عظيماً فقيل: تعلم لله وعمل لله وعلم لله.

قوله عليه السلام وخوض اللجج: أى دخولها، واللجة معظم الماء.

قوله عليه السلام الطالب للثواب الجزيل: يدل على أن العبادة إذا كان المقصود فيها الثواب لا ينافي كمالها، وإن أمكن أن يكون المراد تحصيل أمر يوجب الثواب وإن لم يكن غرضه ذلك لكنه بعيد، و يحتمل أن يعم الثواب بحيث يشتمل ما هو مقصود المقرّبين من قربه سبحانه وحبّه ومعرفة ووصاله والعلوم الحقّة النافعة.

قوله عليه السلام للحلماء: أى العقلاء ومتابعيهم سلوك طريقهم التي سلكوها، والقابل عن الحكماء هو الأخذ عنهم ولو بواسطة أو وسائط وقيل: أي ينعكس فيه صفاتهم فيقبلها، كأنه مرءات لها، والمراد بالحكماء العدول الآخذون بالحق والصواب قولاً وعملاً، والظاهر أن المراد بالعلماء والحكماء الأنبياء والأوصياء ومن قرب منهم في الكمال، فإن كمال العقل والحكمة لهم، والعلماء يشمل غيرهم من أهل العلم.

الحديث السادس: ضعيف.

قوله عليه السلام وعلم الله: الظرف متعلق بالأفعال الثلاثة بقرينة ما بعده.

قوله عليه السلام دُعي في ملكوت السماوات: أى سمى عظيماً وذكر بالعظمة بين أهل السماوات، وملكوت السماوات ملكها أو الملائكة والأرواح المخلوقون فيها.

﴿ باب صفة العلماء ﴾

١ - محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم

٢ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن حماد بن عثمان ، عن الحارث بن المغيرة النصري ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ^(١) قال : يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ، ومن لم يصدق

باب صفة العلماء

الحديث الاول : صحيح .

قوله عليه السلام لمن تعلمونه العلم : أى فى أوان اشتغاله بالطلب كما قيل و يحتمل الأعم .

قوله عليه السلام لمن طلبتم منه العلم ، أى عند الطلب وبعده .

قوله عليه السلام جبارين ... أى متكبرين .

قوله عليه السلام فيذهب باطلكم : أى تكبركم بحقكم أى بعلمكم ولا يبقى العلم عندكم أو بفضلكم وشرفكم بالعلم ، أو بشوايكم على التعليم والتعلم ولعل الأوسط أظهر

الحديث الثانى : صحيح .

قوله تعالى « إنما يخشى الله » صريح الآية أن الخشية لا يصدر من غير العالم لكن يدل بحسب السياق أن الخشية من لوازم العلم لاتفك عنه وعليه بناء الخبر كما تدل عليه الاخبار .

قوله عليه السلام : من صدق فعله ، قيل : المراد بمن صدق فعله قوله من يكون

فعله قوله فليس بعالم .

٣ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي سعيد القمط ، عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألا لاخير في علم ليس فيه تفهم ، ألا لاخير في قراءة ليس فيها تدبر ، ألا لاخير في عبادة

ذاعلم ومعرفة ثابتة مستقرة ، استقراراً لا يغلبه معه هواء والمعرفة الثابتة المستقرة كما تدعو إلى القول والافرار باللسان تدعو إلى الفعل والعمل بالاركان ، والعالم بهذا المعنى له خشية من ربه تؤدّيه الى الاطاعة والانقياد قولاً وفعلاً .

الحديث الثالث : صحيح .

قوله عليه السلام حق الفقيه : هو إما بدل من الفقيه أوصفه له ، وما بعده خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وما بعده خبره ، وقيل : أو منصوب بتقدير أعنى .

قوله عليه السلام : من لم يقنط الناس : أي لا يبالغ في ذكر آيات العذاب وأخبار الوعيد مقتصر عليها والفقرة الثانية بعكس ذلك وقيل : الفقرة الاولى إشاره إلى إبطال مذهب المعتزلة القائلة بإيجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ، ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعية ، والثانية إشارة إلى إبطال مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المعتزلين بالشفاعه ، وصحة الاعتقاد ، والثالثة إلى إبطال مذهب الحنابلة والأشاعرة ومن يشبههم كأكثر المتصوفة ، والرابعة إلى إبطال مذهب المتفلسفة الذين أعرضوا عن القرآن وأهله ، وحاولوا إكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القرآن .

قوله عليه السلام ليس فيه تفهم : كالعلم الظنّي والتقليدي ، أو مجرد حفظ الأقوال والروايات .

ليس فيها تفكر ، وفي رواية أخرى : ألاخير في علم ليس فيه تفهم ، ألاخير في قراءة ليس فيها تدبر ، ألاخير في عبادة لافقه فيها ، ألاخير في نسك لاورع فيه .

٤ - ثم بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان النيسابوري جميعاً ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إن من علامات الفقه الحلم والصمت .

٥ - أحمد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن بعض أصحابه رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا يكون السفه والغرّة في قلب العالم .

٦ - وبهذا الاسناد ، عن محمد بن خالد ، عن محمد بن سنان ، رفعه قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريتين لي إليكم حاجة افضوها لي ، قالوا :

قوله عليه السلام : ليس فيها تفكر ، اى لا يتفكر في أسرار العبادة في معاني مايتكلم به من الدعاء والتلاوة ، وقيل : المراد عدم التفكر في مأخذ العبادة وما تستنبط من الكتاب والسنة ، والأول أظهر والمراد بالنسك مطلق العبادة ، وكثيراً ما يطلق على أعمال الحج وعلى الهدى ^(١) .

الحديث الرابع صحيح .

الحديث الخامس مرفوع .

قوله عليه السلام لا يكون السفه : السفه قلّة الحلم والغرّة بكسر الغين المعجمة : الغفلة او الإغترار بالأعمال الفاسدة والآراء الباطلة ، أو الانخداع من النفس و الشيطان و في بعض النسخ ، والعزّ بالعين المهملة والزّ أى المعجمة ، أى التكبر .

الحديث السادس ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام يا معشر الحواريتين : قال في النهاية : وحواريّ من أمّتى اى

(١) يحتمل ان يكون قوله عليه الصلاة و الاخير في علم ، اشارة الى الفقرات الثلاثة الاولى فان التقطيع واخويه اما ينشأ من عدم التفهم في العلم وقوله و الاخير في قراءة ، الى قوله : ولم يترك القرآن . . . فان عدم التمسك بالقرآن انما ينشأ من عدم التدبر فيه ومامر كان باعتبار العلم ، وقوله و الاخير في عبادة ، اشارة الى صفات الفقيه باعتبار العمل (منه ره) .

قضيت حاجتك يا روح الله ، فقام فغسل أقدامهم فقالوا : كنا نحن أحقّ بهذا يا روح الله ! فقال : إنّ أحقّ الناس بالخدمة العالم إنّما تواضعتُ هكذا لكيما

خاصّتي من أصحابي وناصري ، ومنه الحواريتون : أصحاب عيسى عليه السلام أي خلاصائه وأنصاره وأصله من التحوير: التبييض ، قيل : أنهم كانوا قصّارين يحورون الثياب أي يبيّضونها ، قال الأزهري : الحواريتون خلاصان الأنبياء ، وتأويله : الذين أخلصوا ونقّوا من كلّ عيب .

قوله عليه السلام قضيت : على بناء المجهول رعاية للأدب وقيل : يحتمل الدّعاء ، ثمّ أعلم أنّه عليه السلام أدّى في فعله ذلك أقصى مراتب التواضع ، حيث أراد غسل الأقدام أو تقبيلها على اختلاف النسخ ، ثم جعل ذلك مطلوباً له وسّاء حاجة ، ثمّ استأذن فيه عليه السلام ثم صنع مثل ذلك بتلامذته وتابعيه ، ثمّ قال : إنّهُ أحقّ بذلك ، وقد ذكر لفعله غايتين متعدّية ولازمة ، ومثّل لاحدهما تمثيلاً جميلاً حيث شبه المتواضع بالسّهل والمتكبر بالجبل ، ويترنّ فضل السّهل على الجبل وكونه أكثر منفعة .

قوله عليه السلام إنّ أحقّ الناس ... لأنّه أعرف بحسنها وثمرتها ، والعمل بالمكارم أوجب على العالم ، وقيل : ذلك لشدة إستعداده للفيضان من المبدء ولفضله وشرفه وعزّه بالعلم ، فبتواضعه وتذلّله بالخدمة يفاض عليه ما يليق به ، ويتزيّن عزّه وشرفه بالتواضع ، ولا يلحقه ذلّ بذلك ، بخلاف الجاهل فأنّه لقلة إستعداده إنّما يفاض عليه ما يليق به ، ولذلك ومنقصته بالجهل يكون مناسباً للخدمة ، فلا يكون في خدمته تواضعاً ، فلا يزداد به إلاّ ذلاًّ وقيل : لأنّ نسبة العالم إلى الناس كنسبة الراعي إلى القطيع ، وكما أنّ الراعي حقيق بخدمة الغنم ، وأكمل الرّعاة من هو أكثر خدمة لها ، كذلك العالم حقيق بخدمة النّاس ، بأن يصلح أمور معادهم ومعاشهم بتعليمهم وإرشادهم إلى الحقّ فأكمل العلماء أشفقهم بالناس ، وكمال الشفقة يفضيه إلى الخدمة العرفيّة أيضاً ، فهو أحقّ الناس بالخدمة ، أولاً أنّه لما كان العالم يقتدى به النّاس في أفعاله الحسنة فكُلّما فعله يصير عادة مستمرّة متبّعة بخلاف غيره ، و

تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ، ثم قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمركم الحكمة لا بالتكبر ، وكذلك في السهل ينبت الزرع لاني الجبل .

٧ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن ذكره ، عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ياطالب العلم ! إن للعالم ثلاث علامات : العلم والحلم والصمت ، وللمتكلف ثلاث علامات : ينازع من فوقه بالمعصية ، ويظلم من دونه بالغلبة ، ويظهر الظلمة .

الخدمة من الأفعال الحسنة فهو أولى وأحقّ بهامن الجاهل ، ليتبعه الناس ويؤيده قوله عليه السلام لكيما تتواضعوا بعدي ، وذلك لا ينافي كونه أحقّ بالمخدومية من جهة أخرى ، أويقال : يجب للعالم زرع بذر الحكمة في قلوب الناس وإرشادهم وهدايتهم إلى الحق ، وذلك لا يؤثر حق التأثير غالباً في قلوبهم القاسية ، لغلبة قوتى الشهوية والغضبية ، فينبغى له أولاً أن يرقق قلوبهم بالتواضع والخدمة والملاطفة ، ثم يرشدهم إلى الحق وهذا مجرب .

الحديث السابع مرسل .

قوله عليه السلام إن للعالم : المراد بالعالم العالم العامل الكامل الذي استقرّ العلم في قلبه ، ومن جملة علاماته العلم الظاهر والعمل به ، والمراد بالمتكلف من يدعى مثل هذا العلم تكلفاً ، وليس به متصفاً ، والمراد بمن فوقه كل من هو فوقه شرعاً ، ويجب عليه إطاعته كالواجب تعالى والأنبياء والأئمة والعلماء والاب والمالك وغيرهم ، والمراد بالمعصية إمّا معصية الله تعالى أو معصية من فوقه ، والآخر أظهر وإن كان الأول أفيد . قوله عليه السلام بالغلبة . . . أى بأن يغلب ويستولى عليه أو بسبب غلبته عليه ، وهذا يشمل ما إذا كان المعلم أقوى في المناظرة من المتعلم ، فلا يقبل منه الحق لاستيلائه عليه في قوة المناظرة ، وما إذا كانت غلبته عليه للفرقة الدنيوية ، والمظاهرة المعاونة أى يعاونهم بالفتاوى الفاسدة ، والتوجيهات لأعمالهم الباطلة .

﴿ باب حق العالم ﴾

١ - عليّ بن محمد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن سلمان بن جعفر الجعفري ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إن من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه وإذا دخلت عليه و عنده قوم فسكّم عليهم جميعاً وخصّه بالتحية دونهم ، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ، ولا تكثر من القول : قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله

باب حق العالم

الحديث الاول مرسل .

قوله عليه السلام وأن لا تكثر عليه السؤال : قال بعض الافاضل : يحتمل أن يكون المراد بالاكثار عليه ، الاكثار المتضمن للضرر بأن يكثر لينفذ ما عنده ليظهر خطاؤه أو عجزه ، ويحتمل أن يكون المراد بالاكثار الزيادة على القدر الذي يعمل به ، أو بحفظه ويضبطه ، ويحتمل أن يكون الظرف متعلقاً بالسؤال ؛ ويكون المراد بالسؤال عليه الايراد والردّ عليه أو لايراد بعلى مفادها ، ويراد به السؤال منه كما في احتمال الثاني « انتهى » .

قوله عليه السلام ولا تأخذ بثوبه : كأنه كناية عن الإلحاح في الطلب ويحتمل أن يكون المراد عدم النظر الى ثوبه ولباسه في إكرامه كما قيل ، ولا يخفى بعده .

قوله عليه السلام واجلس بين يديه : أي حيث تواجهه ولا يحتاج في الخطاب والمواجهة إلى إنحراف ، والمراد بالجلوس خلفه ما يكون بخلاف ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بالجلوس بين يديه ما يقابل الجلوس خلفه ، فيشمل اليمين واليسار ، و يحتمل أن يكون المراد بكلّ منهما معناه الحقيقي ، ولا يكون اليمين واليسار داخلين في المأمور به ولا في المنهي عنه .

قوله عليه السلام ولا تغمز : الغمز بالعين الاشارة بها ، ولعلّ في حذف المفعول إشارة

ولا تضجر بطول صحبته فأنما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء ، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله .

﴿ باب فقد العلماء ﴾

١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من موت فقيهه .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا مات المؤمن الفقيه تلم في الإسلام ثلعة لا يسد هاشيء .

الى أن الغمز الى المعلم والى غيره مناف لحقه ، وأما الإشارة باليد فتحتمل التعميم للثلاثة المذكورة ، والتخصيص بالمعلم بأن يبسط يده اليه عند مناظرته كما هو المتعارف ، أو يشير اليه بيده اذا تكلم مع غيره لتعيينه ، وكل ذلك من سوء الادب .

قوله عليه السلام من الصائم . . . اى في نهاره ، القائم اى في ليله بالعبادة طول دهره وإنما كان أفضل منهما لأن الصائم إتمام يكف نفسه عما أمر بالكف عنه في زمان يسير ، وكذا القائم انما ينفع نفسه في بعض الازمان ، والعالم يكف نفسه ونفوس أصحابه ومن اتبعه مدى الأعصار ، عن الاعتقادات الباطلة والآراء الفاسدة بالدلائل القاطعة ، ويوجب إقدام جم غفير في الازمان المتطاولة بالصيام والقيام وغيرهما من الطاعات ، والمجاهد يدفع غلبة الكفار على ابدان الخلق في زمان قليل والعالم يدفع استيلاء الشياطين وأهل الضلال على أديانهم إلى يوم القيامة فلذا كان العالم الرباني الهادي للخلق إلى الحق والصواب أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله .

باب فقد العلماء

الحديث الاول موثق .

الحديث الثاني حسن .

قوله عليه السلام ثلثة : هى بالضم : فرجة المكسور والمهدوم .

٣ - محمد بن يحيى ؛ عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : إذا مات المؤمن بكى عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها ، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله ، وتلم في الإسلام تلمة لا يسدها شيء لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور وربما يعد موثقاً .
قوله عليه السلام بكى عليه الملائكة . . . أي الموكلون به أو الأعم ، وقوله عليه السلام : يعبد الله على بناء المعلوم وما قيل : من احتمال بناء المجهول بعيد ، و بكاء البقاع إما على المجاز والتمثيل كما هو الشائع بين العرب والعجم حيث يعبرون عن شدة المصيبة بأنه بكى لها السماء والأرض ، أو بحذف المضاف أي بكى عليه أهل البقاع من الملائكة والجن والأرواح والمؤمنون ، وكذا بكاء أبواب السماء يحتمل الوجهين و يحتمل أن يكون كناية عن أن يفقده بسوء حال العالم ، وحال أجزائه ، إذ به نظام العالم ، و يفقده تنقص بركات السماء والأرض ، لاسيما ما يتعلق من العالم بالمؤمن نفسه من الملائكة التي كانت مسرورة بخدمته وحفظه ، والبقاع التي كانت معمورة بحركاته وسكناته ، وأبواب السماء كانت مفتوحة لصعود أعماله وحسناته ، وقيل : لعل المراد بأبواب السماء ما يوصل الأعمال إلى مقرها من العلويات ، ويكون وسيلة لوصولها و دخولها وانضباطها فيها ، ملكاً كان أو روحاً أو نفوساً كاملة شريفة قدسية ، أو قوة أو نفساً علوية ، وبالجملة يراد بالبكاء الحزن الموجب لجرى الدموع فينا ، سواء كان هناك مع الحزن جرى الدموع أولاً « انتهى » .

قوله عليه السلام كحصن : لعل المراد بالحصن أجزاء السور والمراد بالسور سور البلد وبالحصن الموضع الذي يتحصن فيه أهل البلد ، وحمله على المعنى المصدرى لا يخلو من بعد لفظاً ومعنى .

٤ - وعنه ، عن أحمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيوب الخزّاز ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مامن أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه .

٥ - عليّ بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن أسباط ، عن عمّه يعقوب بن سالم ، عن داود بن فرقد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ أبي كان يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبض العلم بعد ما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفّة فيضلّون ويضلّون ولا خير في شيء ليس له أصل .

٦ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن عليّ ، عن عمّن ذكره ، عن جابر . عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : إنّهُ يسخّي

الحديث الرابع : صحيح .

الحديث الخامس : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام لا يقبض العلم : أى إذا أفاض الله العلم الحقيقي على العالم الرباني لا يسلبه منه ، فلا يكون فقد العلم بذهابه وبقاء محله ، بل إنّما يذهب بذهاب محله وبذلك ظهر أنّ ذهاب العالم أعظم المصائب لأهل العالم ، إذ به يذهب العلم من بينهم . قوله عليه السلام فتليهم الجفّة : أى تنصرف في أمورهم ، من الولاية بالكسر وهى الإمارة ، والجفّة البعداء عن الآداب الحسنة وأهل النفوس الغليظة ، والقلوب القاسية الّتى ليست قابلة لاكتساب العلم والكمال .

قوله عليه السلام ولا خير : أى لما كان بناء الولاية والسياسة على العلم ولا خير في ولاية لاعلم لصاحبها ولم يؤمر الناس بمتابعتة وأخذ العلم عنه ، أو المراد أنّ علومهم كلّها جهل لأصل لها أو أعمالهم بغير علم باطلة لاحقيقة لها .

الحديث السادس : مرسل .

قوله عليه السلام يسخّي : فى بعض النسخ يسخّي من باب التفعيل ، وفى بعضها تسخّي من المجرّد ، وعلى النسخة الاولى فاعل: قول الله ومفعوله نفسى ، وقوله : فىنا متعلق بسرعة

نفسى في سرعة الموت والقتل فينا قول الله : « أولم يروا أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها » وهو ذهاب العلماء .

﴿ باب مجالسة العلماء و صحبتهم ﴾

١ - عليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس رفعه قال : قال لقمان لابنه : يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله جلّ وعزّ فاجلس معهم فإن تكن عالماً ففك علمك ، وإن تكن جاهلاً علموك ، ولعلّ الله أن يظلمهم برحمته فيعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فإن تكن

الموت والقتل ، ويحتمل تعلقه بالقول ، وعلى الثانية فاعله نفسى وقوله « فينا » خبر لقوله قول الله ، فعلى الأول كان المراد التهديد والتخويف ، بأنّ الأمة صاروا مستحقين لقبايح أعمالهم لأنّها بنا من بينهم ووقوع العذاب عليهم ، وعلى الثاني الظاهر أنّ المراد إنّا لانخاف من الموت والقتل ، لكن لا نطلبه من الله تعالى ، لأنّه سبب لعذاب الناس وسلب الرحمة منهم ، فيكون تقدير الكلام لكن فينا قول الله ، ويحتمل أن يكون على هذا الوجه أيضاً تعليلاً للتسخية .

باب مجالسة العلماء و صحبتهم

الحديث الاول : مرفوع .

قوله ﷺ على عينك : أي على بصيرة منك أو بعينك ، فإنّ على قد تأتي بمعنى الباء كما صرّح به الجوهرى ، أو المراد رجّحه على عينك ، أي ليكن المجالس أعزّ عندك من عينك .

قوله ﷺ ففك علمك : إمّا بأن تعلّمهم أو تستفيد منهم تذكيراً وتأيداً لما تلمّ ، وما قيل : إنّ علمك بدل من الضمير البارز في ففك ، أي نفع الجلوس معهم علمك ، تكلف مستغنى عنه .

قوله ﷺ أن يظلمهم : قال الفيروز آبادى : أظلمنى الشيء أى غشىنى ، والإسم

علماً لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعلّ الله أن يظلمهم بعقوبة فيعمّك معهم .

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن درست بن أبي منصور ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي .

٣ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن شريف بن سابق ، عن الفضل بن أبي قرّة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قالت الحواريتون لعيسى : يا روح الله ! من نجالس ؟ قال من يذكر كم الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقته ويرغبكم في الآخرة عمله .

٤ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مجالسة أهل الدّين شرف الدّنيا والآخرة .

٥ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد الاصبهاني ، عن سليمان

الظلّ أودنمني حتّى ألقى على ظلّه .

الحديث الثاني : ضعيف .

وقال في القاموس : الزرابي النمارق والبسط ، أو كل ما بسط واتكى عليه ، الواحد زربي بالكسر ويضم .

الحديث الثالث : ضعيف .

الحديث الرابع : مجهول كالصحيح .

قوله عليه السلام أهل الدين : أي العلماء العاملين بعلمهم ، ويحتمل شموله للعباد والزهاد أيضاً .

الحديث الخامس ضعيف .

بن داود المنقري ، عن سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لمجلس أجلسه إلى من أثق به ، أوثق في نفسي من عمل سنة .

﴿ باب سؤال العالم و تذاكره ﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن مجذور أصابته جنابة فغسلوه فمات قال : قتلوه ألا سألوا ؟ فإن دواء العي السؤال .

ومسعر بكسر الميم وفتح العين بين السين الساكنة والراء غير المعجمات وقد يفتح ميمه تفعلاً ، وكدام بالكاف المكسورة والdal الغير المعجمة الخفيفة ، ومسعر شيخ السفيانيّين سفيان الثوري وسفيان بن عيينة .

قوله عليه السلام : لمجلس ، وفي بعض النسخ المجلس ويحتمل أن يكون مصدرًا ميميًا ، ويكون المنصوب في أجلسه في موضع المفعول المطلق كما قيل ، ويحتمل أن يكون إسم مكان وتقدير الكلام اجلس فيه ، وإلى بمعنى مع ، أي مع من أثق به أوفيه تضمين والوثوق بعدم التقيّة ، وكونه محلاً للأسرار حافظاً لها .

باب سؤال العالم و تذاكره

الحديث الاول : حسن .

قوله عليه السلام عن مجذور . . . هو من به الجدرى وهو بفتحتين وبضمّ الجيم داء معروف .

قوله عليه السلام قتلوه : إذا كان فرضه التيمّم فمن أفتى بغسله أو توكى ذلك منه فقد أعان على قتله ، وقوله عليه السلام ألا سألوا ؟ بتشديد اللام حرف تحضيض ، وإذا استعمل في الماضي فهو للتوبيخ واللوم ، ويحتمل أن يكون بالتخفيف إستفهاماً إنكارياً ، والعي بكسر المهملة وتشديد الياء : الجهل وعدم الاهتداء لوجه المراد والعجز عنه ، وفي بعض النسخ بالغين المعجمة ولعلّه تصحيف .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز عن زرارة و محمد بن مسلم وبريد العجلي قالوا : قال أبو عبد الله عليه السلام لحمران بن أعين في شيء سأله : إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون .

٣ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن عبد الله بن ميمون القداح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : إن هذا العلم عليه قفل و مفتاحه المسئلة .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

٤ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي جعفر الأحول ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يسمع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم ، ويسمعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كان تقيّة .

٥ - علي ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عثمان ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام

الجديد الثاني : صحيح .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور وسنده الثاني أيضاً ضعيف على المشهور .
قوله عليه السلام : هذا العلم . . . إما إشارة إلى مطلق العلم أو إلى العلم الذي يحتاج الناس إليه من علوم الدين ولعله أظهر .

الحديث الرابع : صحيح .

قوله عليه السلام : أن يأخذوا ، أي قولاً واعتقاداً في كل زمان بما يقول الإمام في ذلك الزمان وإن كان تقيّة فإنّ ما يقوله الإمام تقيّة يسع السائل أن يعتقده ويقول به ، إذا لم يتنبّه للتقيّة وإما العمل به والامر بالعمل به مع التنبّه للتقيّة أيضاً لازم عند التقيّة ، ولا يسمعهم ولا يكفيهم أن يأخذوا بما لم يتفقهوا فيه ، ولم يعرفوه عن إمامهم وإن وافق الحق الصريح الذي لا تقيّة فيه .

الحديث الخامس : مرسل .

قال : قال رسول الله ﷺ : أف لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه ، وفي رواية أخرى لكل مسلم .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يقول : تذاكر العلم بين عبادي مما تحيي عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري .

قوله عليه السلام أف لرجل : أف بضم الهمزة وكسر الفاء المشددة منوّناً والتنوين للتكثير ، وقيل للتكثير ، ويجوز حذف التنوين ويجوز أيضاً فتح الفاء مع التنوين و بدونه ، ويجوز الضم بالوجهين وهو كلمة تكرّرة وتضجّر ، وقوله : لا يفرغ إمامنا المجرّد ونفسه فاعله ، أو على بناء التفعيل ونفسه مفعوله ، والمراد بالجمعة إمّا اليوم المعهود ، أو الأسبوع بتقدير يوماً ، والأوّل أظهر ، والمراد بالتفريغ ترك الشواغل الدنيوية والضمير في قوله فيتعاهده إمّا راجع إلى اليوم أو إلى الدين وعلى الأوّل المراد بتعاهده الإتيان بالصلوة والوظائف المقرّرة فيه ، ومن حملتها تعلّم المسائل و استماع المواعظ من الامام عليه السلام أو نائبه الخاص أو نائبه العام .

الحديث السادس : حسن .

قوله عليه السلام تذاكر العلم . . أي تذاكر العباد وتشاركهم في ذكر العلم ، بأن يذكر كلّ منهم للأخر شيئاً من العلم ويتكلّم فيه ممّا يحيي القلوب الميتة ، حال كونها ثابتة عليه وحاصله أنّه من الأحوال التي تحيي عليها القلوب الميتة ويحتمل أن يكون على بمعنى الباء ، وعلى التقديرين تحيي إمّا من المجرّد المعلوم أو المزيد فيه المجهول ، وقوله تعالى : إذا هم انتهوا فيه إلى أمري ، يحتمل أن يكون المراد بالامر فيه مقابل النهي ، أي إذا كان تذاكرهم على الوجه الذي أمرت به من اخذ العلم من معدنه والاقتباس من مشكاة النبوة ، ويحتمل أن يكون المراد بالامر مطلق الشأن فيكون المراد بالانتهاء إلى امره الوصول إلى صفاته واسمائه وأوامره ونواهيه ، بالمعرفة والإطاعة والإقياد ، وقيل : يحتمل أن يكون المراد بالامر الذي كان مع رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام

٧ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : رحم الله عبداً أحيا العلم قال : قلت : وما إحياءه ؟ قال : أن يذكر به أهل الدين وأهل الورع .

٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن محمد الحجلال عن بعض أصحابه رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فإنّ الحديث جلاء للقلوب ، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث .

كما قال تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » ^(١) فيكون الانتهاء إليه عبارة عن استناد ما يتذكرونه من العلوم الدينية اليهم عليهم السلام ولا يخفى بعده .

الحديث السابع : ضعيف .

قوله عليه السلام أن يذكر به أهل الدين : لعلّ التخصيص بأهل الدين وأهل الورع لأنّ غيرهم مظنة أن يغيروا ويفسدوه ، فلا يوجب الذكر لهم والنقل عنهم حفظاً ، ولا يكون فيه إحياء ، وقيل : إنّما قيّد بأهل الورع لأنّ العلم المحيى إنّما هو علم الدين وطهارة القلب بالورع والتقوى شرط لحصوله ، كما قال سبحانه : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ^(٢) .

الحديث الثامن : مرفوع .

قوله عليه السلام تذاكروا : قيل أمر عليه السلام بتذاكر العلم ، ولما لم يكن صريحاً في المراد وهو التحدّث بالعلم عقبه بقوله وتلاقوا وتحدّثوا ، أى بالعلم بياناً للمراد من التذاكر أقول : ويحتمل أن يكون المعنى تذاكروا العلماء وبعد تحقيق الحقّ تلاقوا سائر الناس وعلموهم ، والجلاء بالكسر هو الصقل مصدر ، وقد يستعمل لما يجلى به وهو المراد ههنا ، أو حمل على الحديث مبالغة ، والرين الدّنس والنسخ ، وقوله جلاؤه الحديد أى جلاء السيف ، وفي بعض النسخ وجلاؤها الحديث وهو أظهر .

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

٩ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبَانَ ، عَنْ مَنْصُورِ الصِّقْلِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : تَذَاكُرُ الْعِلْمِ دِرَاسَةٌ ، وَالدِّرَاسَةُ صَلَوةٌ حَسَنَةٌ .

﴿ باب بذل العلم ﴾

١ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجَهْلَالِ عَهْدًا بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْدًا بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجَهْلَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ .

الحديث التاسع : مجهول .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ دراسة : أى تعهّد له وحفظ له عن الإندراس ، وقال الجزرى فى الحديث : تدارسوا القرآن أى اقرؤه وتعهدوه لئلا تنسوه « انتهى » وقوله : والدراسة صلوة حسنة ، يعنى أن ثوابها ثواب صلوة حسنة كاملة ، وقيل : المراد بالصلوة الدعاء أى يترتب عليها ما يترتب على أكمل الأدعية ، وهو الدعاء الذى يطلب فيه جميع الخيرات من المطالب الدينيّة والاخرية فيستجاب [ولا يخفى بعده] .

باب بذل العلم

الحديث الاول : ضعيف كالموثق .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنّ العلم كان قبل الجهل : هذا دليل على سبق أخذ العهد على العالم ببذل العلم على أخذ العهد على الجاهل بطلبه ، أو بيان لصحته وإنما كان العلم قبل الجهل مع أن الجاهل إنما يكتسبه بعد جهله بوجوه :

الاول : أن الله سبحانه قبل كل شيء ، والعلم عين ذاته فطبيعة العلم متقدّمة على طبيعة الجهل .

والثانى : ان الملائكة والروح والقلم وآدم لهم التقدّم على الجهال من أولاد آدم .

٢ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَمُحَمَّدَ بْنِ سَنَانٍ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : « وَلَا تَصْغُرْ خَدُّكَ لِلنَّاسِ »^(١) قَالَ : لِيَكُنَ النَّاسُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاءً .

والثالث : أَنَّ الْعِلْمَ غَايَةُ الْخَلْقِ وَالْغَايَةُ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى ذِي الْغَايَةِ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لَهُ .
والرابع : أَنَّ الْجَهْلَ عَدَمُ الْعِلْمِ وَالْأَعْدَامُ إِنَّمَا تَعْرِفُ بِمِلْكَاتِهَا وَتَتَّبِعُهَا ، فَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْجَهْلِ بِالْحَقِيقَةِ وَالْمَاهِيَّةِ .
والخامس : أَنَّهُ أَشْرَفُ فَلَهُ التَّقَدُّمُ بِالشَّرَفِ وَالرَّتَبَةِ .

والسادس : أَنَّ الْجَاهِلَ إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ بِوَسْطَةِ الْعَالَمِ وَتَعْلِيمِهِ ، يُقَالُ عَلَّمَهُ فَيَتَعَلَّمُ .
وقال بعض الأفاضل ونعم ما قال : لَوْ حَمَلَ الْقَبْلِيَّةُ عَلَى الزَّمَانِيَّةِ حَيْثُ كَانَ خَلْقُ الْجَاهِلِ مِنَ الْعِبَادِ بَعْدَ وَجُودِ الْعَالَمِ كَالْقَلَمِ وَاللَّوْحِ وَالْمَلَائِكَةِ وَآدَمَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَوْلَادِهِ ، فَيَصِحُّ كَوْنُ الْأَمْرِ بِالطَّلَبِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِبَذْلِ الْعِلْمِ ، حَيْثُ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا تَقْتَضِيهِ حُكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ وَبِمَا هُوَ الْأَصْلَحُ عِنْدَ وَجُودِهِ مِنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ ، وَلِأَنَّ مَنْ لَمْ يَسْبِقِ الْجَهْلُ عَلَى عِلْمِهِ يَعْلَمُ بِاطِّلَاعِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ حَسَنٌ أَنْ يَبْذُلَ الْعِلْمَ وَمَطْلُوبِيَّتُهُ لَهُ تَعَالَى ، وَهَذَا أَخْذُ الْعَهْدِ بِبَذْلِ الْعِلْمِ ، وَلَوْ حَمَلَ عَلَى الْقَبْلِيَّةِ بِالرَّتَبَةِ وَالشَّرَفِ فَيُمْكِنُ تَوْجِيهِهِ بِأَنْ يُقَالَ : الْعِلْمُ لَمَّا كَانَ أَشْرَفُ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَالَمُ أَقْرَبُ مِنْ جَنَابِهِ سُبْحَانَهُ فِي الرَّتَبَةِ ، وَلَا يَصِلُ الْعَهْدُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ إِلَى الْجَاهِلِ إِلَّا بِوَسْطَةِ يَعْلَمُ الْعَالَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَلَيْهِ الْبَذْلَ عِنْدَ الطَّلَبِ ، أَوْ يُقَالُ مِنْ جَمَلَةِ عِلْمِهِ وَجُوبُ الْبَذْلِ عِنْدَ الطَّلَبِ .

الحديث الثاني : ضَعِيفٌ كَالْمَوْثُوقِ .

قوله تعالى « وَلَا تَصْغُرْ » تصغير الخدَّ إِمَاتَةً تَكْبِيرًا ، وَمَعْنَى الْآيَةِ لَا تُعْرِضْ بَوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ تَكْبِيرًا ، وَلَعَلَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَالَمَ إِذَا رَجَّحَ بَعْضُ تِلَامِذَتِهِ عَلَى بَعْضٍ فِي النَّظَرِ وَحَسَنَ الْمَعَاشِرَةِ ، أَوْ تَكَبَّرَ وَاسْتَكْبَفَ عَنْ تَعْلِيمِ بَعْضِهِمْ أَوْضَحَهُ ، فَكَأَنَّهُ مَالُ بَوَجْهِهِ عَنْهُ أَوْ تَكَبَّرَ ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ هَذَا الْخُطَابَ كَانَ مِنْ لَقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ

٣- وبهذا الإسناد، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شعمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: زكاة العلم أن تعلمه عباد الله.

٤- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام عيسى بن مريم عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل لاتحدّثوا الجهّال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

وأصحابه لم يكونوا إلّا طلاب العلوم، فكأنّه نصحه أن يسوّى بينهم في الاستفادة والإرشاد وقيل: إنّما أولّها بذلك لأنّ المقصد الاقصى من بعثة الرسل تبليغ الشريعة القويمة، وتعليم الدّين المبين، فالظاهر كونه نهياً عمّا يخلّ بما هو المقصود الاصلى والاوّل أوجه.

الحديث الثالث: ضعيف.

قوله عليه السلام زكاة العلم... التشبيه من وجوه:

الاول: أنّ الزّكوة حقّ الله تعالى في المال بإزاء الإيثار به فكذا التعلّم.
الثاني: انّ الزّكوة يوجب نموّ المال فكذا تعلّم العلم يوجب نموّه وزيادته لانه شكر لنعمة العلم، وقد قال تعالى: «لئن شكرتم لازيدنكم»^(١) ولذا سمّي زكوة لانّ أحد معانيها النموّ.

الثالث: انّ الزّكوة توجب طهارة المال عن الشبهات، فكذا تعلّم العلم يوجب طهارته عن الشكوك والشبه بفضل سببانه، مع أنّ مذاكرة العلم توجب قوّته وزيادة اليقين فيه.
الرابع: أنّ الزّكوة توجب حفظ المال عن التلف وكذا التعليم يوجب حفظه عن الزوال، فإنّ الضنّة بالعلم يوجب أن يسلب الله علمه.

الحديث الرابع: مرسل.

قوله عليه السلام لاتحدّثوا الجهال: لعلّ المراد بالجهال من لا يحبّ العلم ولا يطلبه ولا يرغب فيه أو المراد بالجهل ما يقابل العقل كما مرّ.

﴿ باب النهي عن القول بغير علم ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن مفضل بن يزيد قال : قال [لي] أبو عبد الله عليه السلام : أنهلك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال : أنهلك أن تدين الله بالباطل ، وتفتي الناس بما لا تعلم .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : إياك و خصلتين ففيهما هلك من هلك : إياك أن تفتي الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم .

باب النهي عن القول بغير علم

الحديث الاول مجهول .

قوله عليه السلام أن تدين الله بالباطل ، أى تتخذ الباطل ديناً بينك وبين الله تعبد الله عز وجل به ، سواء كان في القول والاعتقاد أو في العمل ، والمراد بالباطل ما لم يؤخذ من مأخذه الذى أمر الله تعالى بالأخذ منه ، والمراد بالإفتاء بما لا يعلم ، الإفتاء بما لم يؤخذ من الكتاب والسنة على وجه يجوز الأخذ منهما على هذا الوجه ، أو إفتاء من لا يكون أهلاً لاستنباط ذلك منهما .

الحديث الثانى صحيح .

قوله عليه السلام برأيك : أى لا بالأخذ من الكتاب والسنة على منهاجه .

قوله عليه السلام : أو تدين بما لا تعلم : قال بعض الأفاضل أى أن تعبد الله بما لا تعلمه بشيئته بالبراهين والأدلة العقلية ، أو بالكتاب والسنة ، والأدلة السمعية ، ويحتمل أن يكون من دان به أى إتخذة ديناً ، يعنى إياك أن تتخذ ما لا تعلم ديناً ، وأن يكون تدين من باب التفعّل أى تتخذ الدين متلبساً بالقول فيه بما لا تعلم ، والدين إسم لجميع ما يتعبد الله به والملة .

- ٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عليّ ابن رئاب ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه .
- ٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن أبان الأحمر ، عن زياد بن أبي رجا ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما علمتم فقولوا ، وما لم تعلموا فقولوا : الله أعلم ، إن الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض .

الحديث الثالث صحيح .

- قوله عليه السلام بغير علم : أى من الله كما للنبيّ والأئمة عليهم السلام أو هدى من ذى العلم كالعلماء من شيعتهم .
- قوله عليه السلام : لعنته ملائكة الرحمة : لأنّه جعل الناس محرومين عن رحمة الله ، وملائكة العذاب لأنّه جعلهم مستحقّين لها .
- قوله عليه السلام ولحقه وزر من عمل بفتياه : سواء كان العامل وازراً أو معذوراً ، ولا ينقص من وزر الوارشي ، والفتيا والفتوى ويفتح : ما أفتى به الفقيه .

الحديث الرابع موثق .

- قوله عليه السلام ما علمتم : هذا خطاب مع العلماء من شيعته وأصحابه ، وهم العالمون بكثير من المسائل أو أكثرها بالفعل أو بالقوّة القريبة منه .
- قوله عليه السلام إن الرجل : هو كالتعليل لما تقدّم وقوله عليه السلام لينزع ^(١) الآية ، أى يستخرجها ليستدلّ بها على مطلوبه ، وقوله عليه السلام يخرّ إما حال من الضمير في ينزع أو خبر بعد خبر ، والمعنى أنّه يبعد عن رحمة الله أبعد ممّا بين السماء والأرض ، أو يتضرّر به أكثر من الضرر الذى يصل إلى من سقط من السماء إلى الأرض ، و قيل : المعنى أنّه يقع في الآية أى في تفسيرها ساقطاً على ما هو أبعد عن المراد منها ممّا بين السماء والأرض .

(١) كذا في النسخ وفي المتن «لينتزع» كما هو بعبتك .

٥ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربيع بن عبد الله ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول : الله أعلم ، وليس لغير العالم أن يقول ذلك .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز بن عبد الله ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل : لأدري ولا يقل : الله أعلم ، فيوقع في قلب صاحبه شكاً و إذا قال المسؤول : لأدري فلا يتهمه السائل .

٧ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن علي بن أسباط ، عن جعفر بن سماعة ، عن غير واحد ، عن أبان ، عن زرارة بن أعين قال : سألت أبا جعفر عليه السلام

الحديث الخامس : مجهول كالصحيح .

قوله عليه السلام وليس لغير العالم : وذلك لأن مقتضى صيغة التفضيل أن يكون للمفضل عليه شركة فيما فيه الفضل وليس للجاهل ذلك ، وأما العالم فلما كان له نصيب من جنس العلم صح له هذا القول وإن كان حكمه حكم الجاهل فيما سئل عنه ، وهذا لا ينافي الخبر السابق إذ هملناه على العالم ، والمراد بالعالم مفسرناه في ذلك الخبر ، ويعبر عنه في هذه الأصناف بالمجتهد .

الحديث السادس صحيح .

قوله عليه السلام : فليقل لأدري ، يمكن حمله على غير العالم لثلاثين في الخبر السابق وحينئذ يحتمل أن يكون المراد بالشك الشك في كونه عالماً إذ قول الله أعلم من شأن العلماء كما مر ويمكن أن يعم العالم وغيره ويكون المراد بإيقاع الشك الشك في كونه عالماً بالمسؤول عنه معرضاً عن الجواب لضئته ويخص النهي بهذه الصورة ، وذلك في العالم نادر ، وفي غيره يكون غالباً ، فإن العالم همه في نشر العلم وإذاعته ، كما أن الجاهل همه في إخفاء ما اطلع عليه وإضاعته .

الحديث السابع ضعيف .

ماحقُّ الله على العباد؟ قال : أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون .

٨ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن يونس [بن عبد الرحمن] عن أبي يعقوب إسحاق بن عبدالله ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنَّ الله خصَّ عباده بآيتين من كتابه : أن لا يقولوا حتَّى يعلموا ولا يردُّوا ما لم يعلموا وقال عزَّ وجلَّ : «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاَّ الحقَّ» ^(١) وقال : «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله» ^(٢).

قوله عليه السلام : ماحقُّ الله على العباد؟ أى فيما آتاهم من العلم وأخذ عليهم من الميثاق ، وإلاَّ فحقوقه تعالى عليهم كثيرة ، وقيل : أى الحق الواجب الثابت الذى يطالب به صاحبه ، وسؤاله عن التحقيق بهذا الاسم من بين الفرائض والواجبات .
الحديث الثامن حسن على الظاهر .

قوله عليه السلام : إنَّ الله خصَّ : فى بعض النسخ بالمعجمة بعد المهملة من الحضِّ بمعنى الحثِّ والترغيب ، فيقدَّر كلمة على فى أن لا يقولوا أى حثَّ عباده بالآيتين على أن لا يقولوا قبل العلم ، ولا يردُّوا إلاَّ بعد العلم ، ويحتمل أن يكون أن لا يقولوا تفسيراً لحثِّه تعالى و «لا» فى الموضعين حينئذٍ للنهى ، وعلى الأول للنفى وفى أكثر النسخ خصَّ بالمهملة بعد المعجمة أى خصَّ هذه الامة ، والتعبير عنهم بوصف العبودية مضافاً اليه سبحانه لتشريفهم وتعظيمهم من بين الامم بإثزال آيتين من كتابه وإعلامهم بمضمونها ، دون ساير الامم ، وقوله : أن لا يقولوا بدل من آيتين وعطف قوله وقال عزَّ وجلَّ على «خصَّ» من عطف أحد التعبيرين عن الشيء على آخر ، لمغايرة بينهما على بعض الوجوه ، ويحتمل أن يكون الباء فى قوله : بآيتين للسببية ، وحرف الصلَّة فى أن لا يقولوا مقدَّراً ، وعلى التقديرين لا يخلو من تكلف ، ويحتمل تقدير اللام فى أن لا يقولوا ، ولعله أظهر ، ثم اعلم انَّ الظاهر أن المراد بالردِّ التكذيب والانكار ، لما لم يبلغ علمهم إليه ممَّا وصل اليهم من الله تعالى ، أو من النبي صلى الله عليه وآله و الائمة عليهم السلام وحمله على ردِّ الجواب بعيد .

٩ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن داود بن فرقد ، عن حماد بن عيسى ، عن ابن شبرمة قال : ما ذكرت حديثاً سمعته عن جعفر بن محمد عليه السلام إلا كاد أن يتصدع قلبي ، قال : حدثني أبي عن جدّي عن رسول الله ﷺ . قال ابن شبرمة : وأقسم بالله ما كذب أبوه علي جدّه ولا جدّه علي رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك ، ومن أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناس من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك .

﴿ باب من عمل بغير علم ﴾

١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان عن طلحة بن زيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيد سرعة السير إلا بعداً .

الحديث التاسع ضعيف وابن شبرمة هو عبد الله بن شبرمة الضبي الكوفي بضم المعجمة وسكون الموحدة وضمّ الراء كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة ، والاصداغ : الإشتقاق ، والتصدع التفرق .
قوله ﷺ بالمقائيس : قال بعض الأفاضل المقياس ما يقدر به الشيء على مثال والمراد به ما جعلوه معيار إلحاق الفرع بالأصل ، من الاشتراك في المظنون عليته للحكم وعدم الفارق ، والمراد من العمل به اتخاذه دليلاً شرعياً معوفاً عليه ، واستعماله في استخراج الحكم الشرعي والقول بموجبه ومقتضاه ، وقوله ﷺ : ومن أفتى الناس . . . أي بما يأخذه عن الكتاب والسنة .

باب من عمل بغير علم

الحديث الاول ضعيف على المشهور .

قوله ﷺ : على غير بصيرة : أي على غير معرفة بما يعلمه بما هو طريق المعرفة في العمليات .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن حسين الصقل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل ، فمن عرف دلته المعرفة على العمل ، ومن لم يعمل فلا معرفة له ، ألا إن الإيمان بعضه من بعض .

٣ - عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، ممن رواه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

الحديث الثاني ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : «إلا بمعرفة» : أى معرفة أصول العقائد ، فلا يقبل أعمال المشركين و المنافقين ، ومن لا يؤمن بالمعاد والمجسمة والمجبرة وأشباهم أو الأعم منها ومن معرفة طريق العمل ، وكيفيته وشرايطه بالاجتهاد أو التقليد ، وقوله عليه السلام : «ولا معرفة إلا بمعطوف على عملاً و «لا» مؤكدة للنفي أو معطوف على قوله : لا يقبل الله ودلاً لنفي الجنس .

قوله عليه السلام فمن عرف : أى أصول الدين بالعلم اليقيني ، دلته أى حشته على العمل ورغبته فيه أو فروعه ، فتدله على كيفية العمل أو الأعم منهما ، ومن لم يعمل فلا معرفة له بالأصول ، لأن العلم اليقيني يبعثه لامحالة على العمل كما عرفت ، أو كمال اليقين إنما يكون بالعمل كما ورد : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، بل يذهب عنه العلم الحاصل مع ترك العمل كما سيأتى .

قوله عليه السلام «إن الإيمان . . . إيماناً يراد بالإيمان نفس المعرفة ، أى كل مرتبة من مراتب الإيمان فى القوة والكمال يحصل من مرتبة أخرى منه سابقة لأجل العمل بها ، أو مجموع العلم والمعرفة والعمل والطاعة كما هو المستفاد من أكثر الأخبار فالمراد أن كلاً من جزئيه العلمى والعملى يحصل من الآخر ولعله أظهر .

الحديث الثالث مرسل .

قوله عليه السلام كان ما يفسد : قيل أى كان الفساد فى عمله الذى لم يكن من علم أكثر من الصلاح فيه ، وكلما كان كذلك كان قبيحاً غير مطلوب للحكيم .

﴿ باب استعمال العلم ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن حماد بن عيسى ، عن عمر بن أذينة ، عن أبان بن أبي عيش ، عن سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام له : العلماء رجلان : رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك ، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه ، وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل ، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الأمل ينسى الآخرة .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : العلم مقرون إلى العمل ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، و

باب استعمال العلم

الحديث الاول ضعيف على المشهور ، معتبر عندى .

الحديث الثانى ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : مقرون إلى العمل : أى قرن العلم مع العمل في كتاب الله كقوله تعالى « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وعلق المغفرة والنجاة عليهما ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، أمر في صورة الخبر أى يجب أن يكون العلم مع العمل بعده ، والعمل مع العلم ، وقوله : والعلم يهتف ، بالعمل أى يصيح ويدعوا صاحبه بالعمل على طبقه ، فإن أجابه وعمل استقر فيه ، وتمكن ، وإلا ارتحل عنه بدخول الشك والشبهة عليه أو بنسيانه ، ويحتمل أن يكون المراد بمقروية العلم مع العمل عدم افتراق الكامل من العلم عن العمل بحسب مراتب كماله وعدم افتراق بقاء العلم واستكمالهما عن العمل على وفق العلم ، فقوله : فمن علم . . أى علماً كاملاً باقياً عمل ، ومن عمل علم

العلم يهتف بالعمل ، فان أجابه وإلا ارتحل عنه .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن علي بن محمد القاساني ، عن ذكره عن عبدالله بن قاسم الجعفرى ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا .

٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقرى ، عن علي بن هاشم بن البريد ، عن أبيه قال : جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليهما السلام : مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون واما تعملوا بما علمتم ، فان العلم إذا لم يعمل به

أى أبقى علمه واستكملته ، تفصيل لما أجمل قبله ، وقوله : والعلم يهتف ، أى مطلقاً فان أجابه وعمل قوى واستقر وتمكن في قلبه وإلا ضعف وزال عن قلبه ، ذكرهما بعض الأفاضل والآخر أظهر .

الحديث الثالث ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام عن الصفا ، هو مقصوداً جمع الصفاة وهى الحجر الصلد الذى لا ينبت ، شبه العلم والموعظة بماء المطر و عدم تأثيره وثباته في القلوب بعدم استقرار المطر في الحجر الأملس ، ولعله محمول على عدم التأثير التام غالباً لثلاً ينافي مامر من شدة حسرة من دعا الى خير ولم يعمل به ، أو على ما عرف السامع من حاله عدم العمل به ، والسابق على عدمه ، ويمكن حمل السابق على ما إذا كان عاملاً وقت الدعوة فترك بعده والأول أظهر .

الحديث الرابع ضعيف .

قوله عليه السلام ولمّا تعلموا : الواو للحال ، أى اذا كان من شأن علمكم وعرفتكم ذلك من أنفسكم بترك العمل بما علمتم ، فالأصلح لكم ترك طلب العلم ، فان ترك العمل مع العلم جحود بما عرفه وكفر به ، والجاهل لا يلزمه الإنكار ولا يكون منه الجحود ، كذا قيل ، ولعله عليه السلام إنما قال ذلك للمخالفين الذين كانوا في زمانه عليه السلام ، وكانوا

لم يزد صاحبہ إلا كفرًا ولم يزد من الله إلا بعداً .

- ٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن الفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : بم يعرف الناجي ؟ قال : من كان فعله لقوله موافقاً فأنبت له الشهادة ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فأنما ذلك مستودع .
- ٦ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به على المنبر : أيها الناس ! إذا علمتم فاعملوا

لا ينفعهم العلم ولا العمل لكنهم وضالهم ، وأول العلوم التي كانت حصلت لهم العلم بأحقية أهل البيت عليهم السلام للخلافة ولم يعملوا به ، ويحتمل أن يكون الغرض الحث على العمل والإخلاص في طلب العلم لا ترك التعلم ، فانه واجب ، والعمل واجب آخر مكمل للأول ، والله يعلم .

الحديث الخامس ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام فأثبت له الشهادة : في بعض النسخ هكذا بالباء الموحدة والياء المثلثة من البت بمعنى النشر ، ويمكن أن يقرأ بصيغة المضارع المعلوم وبصيغة الامر وبصيغة الماضي المعلوم ، وفي بعضها بالموحدة أولاً ثم المثناة من البت بمعنى القطع ، وفي بعضها فأثبت بالمثلثة ثم الموحدة ثم المثناة من الإثبات ، ويحتمل الوجوه الثلاثة أيضاً كسابقه ، وفي بعضها فأنما ثبت له الشهادة ، وسيأتي هذا الحديث في باب المستودع والمعار ، وفيه فأنت له الشهادة بالنجاة ، وهو أظهر .

قوله عليه السلام فأنما ذلك مستودع : أي إيمانه غير مستقر وثابت في قلبه ، بل يزول بأدنى شبهة ، فهو كالودعة عنده يؤخذ عنه ، أو أنه مع عدم العمل بالعلم يحكم بإيمانه ظاهراً بمقتضى إقراره ، لكن لا ينفعه في الآخرة كثيراً لأنه كالمنافق ، فكأنه سلب عنه في الآخرة لزوال حكمه عنه .

الحديث السادس مرفوع .

بما علمتم لعلكم تهتدون ، إنَّ العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله ، بل قد رأيت أنَّ الحجة عليه أعظم ، والمسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه ، منها على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما حائر بائر ، لا تراتباوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا تترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ، ولا تدهنوا في الحق

قوله عليه السلام : العامل بغيره : أى بغير العلم أو بغير ما علم وجوب العمل به من الأعمال ، والباء صلة والحائر هو الذى لا يهتدى لجهة أمره ، والاستفاقة الرجوع الى ما شغل عنه وشاع استعماله في الرجوع عن السقم الى الصحة ، ومنه استفاقة المريض والمجنون والمغمى عليه ، وفيه إشعار بأنَّ الجهل كالجنون والسكر والمرض .

قوله عليه السلام : والحسرة أدوم : مبتداء وخبر و يحتمل أن يكون عطفاً على قوله الحجة عليه أعظم ، ويكون قوله هذا العالم بدلاً من قوله عليه ، والضمير في منها راجعاً الى الحجة والحسرة جميعاً باعتبار كل واحدة منهما ، والأوّل أولى ، والباير الهالك .

قوله عليه السلام : لا تراتباوا : أى لا تمكثوا الريب والشك من قلوبكم ، بل ادفعوه عن أنفسكم لكيلا تعتادوا به وتصيروا من أهل الشك والوسواس ، فتكونوا من الكافرين ، والحاصل النهى عن التفكر في الشكوك والشبهات فإنها توهم اليقين وينتهى إلى حدّ الشك ، قال بعض الأفاضل : الريب مصدر رابى الشيء إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة فلق النفس واضطرابها ، والارتياب الوصول الى الريبة والوقوع فيها ، وليس الريب في هذا الحديث مستعملاً في الشك أو التهمة أو غيرها من لوازم معناه الاصلى أو ملزوماته التى شاع استعماله فيها ، والمراد لا توقعوا أنفسكم في القلق والاضطراب بالتوغّل في الشبهات ، أو بمعارضة العلم في مقتضاه من العمل فينتهى أمركم إلى أن تشكوا في المعلوم ، و المتيقّن لكم ، وقوله : لا تشكوا أى لا توقعوا أنفسكم في الشك واحذروا من طريانه على العلم فيوصلكم الى الكفر وينتهى الى الشك فيما يكون الشك فيه كفراً .

قوله عليه السلام : ولا تترخصوا لأنفسكم : أى لا تسهلوا لأنفسكم أمر الاطاعة والعصيان

فتخسروا ، وإنّ من الحقّ أن تفقّهُوا ، ومن الفقه أن لا تفتروا ، وإنّ أنصحكم
لنفسه أطوعكم لربّه ، وأغشكم لنفسه أعصاكم لربّه ، ومن يطع الله يأمن ويستبشر
وهن يعص الله يخب ويندم .

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن ذكره ، عن
محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إذا سمعتم
العلم فاستعملوه ، ولتتسع قلوبكم ، فإنّ العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله ، قدر

ولا تخفّفوا عليها من الحقوق ، فتقّعوا في المداينة في أمر الدين و المساهلة في باب الحق
واليقين ، فتكونوا من الخاسرين ، أو لا ترخصوا لأنفسكم في ارتكاب المكروهات وترك
المسنونات ، والتوسّع في المباحات فإنّها طرق الى المحرّمات ، ويؤيّد بعض الروايات
وهذا في باب العمل كما أنّ سابقه كان في باب العلم .

قوله عليه السلام وإنّ من الحقّ أن تفقّهُوا : أي من حقوق الله الواجبة عليكم أن
تتفقّهُوا والتفقّه تحصيل المعرفة بجميع ما هو معدود من العلوم الشرعية ، أصولها وفرعها
قوله عليه السلام أن لا تفتروا : أي بعلمكم وعملكم أو تتخذعوا من النفس والشيطان
والنصيحة إرادة الخير للمنصوح له ، والغشّ إظهار خلاف ما أضمر ، والاسم منه الغشّ
بالكسر كما ذكره في مصباح اللّغة ، والخيبة : الحرمان والخسران ، وفي بعض النسخ بالجيم
من الوجوب بمعنى السقوط أو من الوجيب بمعنى الخوف ، والحاصل أنّ من يطع الله
يأمن من العقوبات ، ويستبشر بالثوبات ، ومن يعص الله يخب من الدرجات العلى ويندم
على تفويت الفريضة وتضييع العمر .

الحديث السابع : ضعيف .

قوله عليه السلام إذا سمعتم العلم : المراد بالعلم المذعن به لأنفس التصديق ، والمقصود
أنّه بعد حصول العلم ينبغي الاشتغال بأعماله والعمل على وفقه عن طلب علم آخر ، و
قوله عليه السلام : ولتتسع قلوبكم ، أي يجب أن يكون طلبكم للعلم بقدر تتسع قلوبكم ، ولا
تستكثروا منه ، ولا تطلبوا ما لا تقدرون على الوصول إلى كنهه ، فإنّه حينئذ يستولى

الشیطان علیه ، فإذا خاصمکم الشیطان فأقبلوا علیه بما تعرفون ، فإن کید الشیطان کان ضعيفاً ، فقلت : وما الذي نعرفه ؟ قال خاصموه بما ظهر لکم من قدرة الله عز وجل .

﴿ باب المستأكل بعلمه والمباهی به ﴾

١ - محمد بن یحیی ، عن أحمد بن محمد بن عیسی ؛ وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه جميعاً ، عن حماد بن عیسی ، عن عمر بن أذينة ، عن أبان بن أبي عیاش ، عن سلیم بن

الشیطان علیکم ویوقعکم فی الشبهات ، وقیل : یعنی ینبغي أن یكون اهتمامکم بالعمل لاکثرة السماع والحفظ إلى حد یضیق قلوبکم عن احتمالہ ، و ذلك إنما یكون بترك العمل ، لأن العالم إذا عمل بعلمه لا یضیق قلبه عن احتمال العلم ، وقوله ﴿لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانَ﴾ فإذا خاصمکم ، تنبيه علی دفع ما يتوهم من أن القناعة من العلم بما یسعه القلب یؤدی إلى العجز عن مخاصمة الشیطان بأن الاقبال علی الشیطان بما تعرفون من العقائد المعتمدة فی أصل الايمان یکفی فی رفعه ، فإن کید الشیطان کان ضعيفاً ، والمراد بقوله : خاصموا ^(١) بما ظهر لکم من قدرة الله عز وجل : خاصموه بآثار قدرته الظاهرة فی الرسول او علی یده الدالة علی رسالته و بآثار قدرته الظاهرة فی الوصى من فطانتہ و علمه وصلاحه بعد تنصيص النبی ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ﴾ أو صفاته و بما ظهر من قدرته تعالی فی کل شیء ، فانه يدل علی قدرته علی إنشاء النشأة الآخرة و إنابة المطیع و تعذيب العاصی ، فإن بهذه المعرفة تنبعث النفس علی فعل الطاعات و ترك السيئات ثم كلما ازداد عملاً وسعیاً ازداد بصيرة و يقيناً .

باب المستأكل بعلمه والمباهی به

أقول : أراد بالمستأكل بعلمه من یجعل العلم ^(٢) وسيلة لتحصيل الدنيا ، والاکل هنا أعم من الاكل بالمعنی اللغوی وهذا مجاز شایع .

الحديث الاول : ضعيف علی المشهور ، معتمد عندی .

(١) کذا فی النسخ لكن فی المتن «خاصموه» و الامر سهل .

(٢) وفي نسخة : علمه .

قيس قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم ، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم ، ومن تناولها من غير حلها هلك ، إلا أن يتوب أو يرجع ، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا ، ومن أراد به الدنيا فهي حطه .

٢ - الحسين بن محمد بن عامر ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أراد الحديث لمنفعة

قوله عليه السلام منهومان : النهمة بالفتح إفراط الشهوة وبلوغ الهمة في الشيء وقد نهم بكذا فهو منهوم أي مولع به حريص عليه ، وقيل : ليس في الحديث دلالة على أن الحرص في تحصيل العلم والاكتناز منه مذموم ، وأن المراد به غير علم الآخرة كما ظن ، بل المراد من صدره أن من خاصية الدنيا والعلم أن من ذاق طعمهما لا يشبع منهما ، ثم يبين الممدوح من ذلك والمذموم منه ، وذكر أن من اقتصر على الحلال من الدنيا فهو ناج أكثر منه أو أقل ، ومن تناولها من غير حلها فهو هالك أكثر منها أو أقل ، وكذلك من أخذ العلم من أهله وعمل به فهو ناج أكثر من تحصيله أو أقل ، ومن أراد به الدنيا فليس له في الآخرة نصيب أكثر منه أو أقل ، وقيل : المراد بطالب العلم من يكون شهوته في طلب العلم لحصول العلم له ، فلذا نهم حرصه ، والاول أظهر .

قوله عليه السلام أو يرجع : في بعض نسخ الحديث ويرجع ، فالمعنى إلا أن يتوب إلى الله ويرجع الناس فيؤدّي الحقوق إلى أهلها وهنا أيضاً يحتمل أن تكون أو بمعنى الواو وربما يقال الترديد من الراوى ، ويحتمل تخصيص التوبة بما إذا لم يقدر على ردّ المال الحرام إلى صاحبه ، والمراجعة بما إذا قدر عليه ، وقرأ هنا يرجع على بناء المجهول أي يرجعه الله بفضله أو على بناء الفاعل أي يرجع الله ذلك المتناول من غير الحل في الجملة ، كثيراً بالطاعات وترك أكثر الكبائر من المعاصي ، فيرجع الله عليه بفضله واستحقاقه له بمراجعته إلى الله والاول أظهر .

الحديث الثاني ضعيف على المشهور لكنّه معتبر .

الدُّنيا لم يكن له في الآخرة نصيبٌ ، ومن أراد به خير الآخرة أعطاهُ الله خير الدُّنيا والآخرة .

٣ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد الإصبهاني ، عن المنقري ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أراد الحديث لمنفعة الدُّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب .

٤ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم ، عن المنقري ، عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا رأيتم العالم محباً لدُنياه فانهموه على دينكم ، فإنَّ كلَّ محبٍ لشيءٍ يحوط ما أحبَّ ، وقال عليه السلام : أوحى الله إلى داود عليه السلام : لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، فإنَّ أولئك قطاع طريق عبادي المريدين ، إنَّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أترع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم .

٥ - عليُّ ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يا رسول الله !

الحديث الثالث ضعيف .

الحديث الرابع ضعيف .

قوله عليه السلام يحوط ما أحبَّ : أى يحفظ ويتعهد من هذا الشيء ومن مقابله ما أحبَّ ، ومجبة المقابل للشيء المنافي له لا يجمع حبُّ ذلك الشيء فمن أحبَّ الدنيا لم يحبَّ الآخرة .

قوله عليه السلام لا تجعل بيني وبينك : أى لا تجعل المفتون بالدنيا المعجب بها وسيلة بيني وبينك إلى حصول معرفتي ومعرفة ديني وشريعتي ، فيمنعك عن طريق محبتي أى عن الطريق إلى ما أحبه أو يمنعك عن الوصول إلى درجة محبتي لك أو محبتك لى .

الحديث الخامس ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام أمناء الرسل : لأنَّهم مستودعوا علومهم ، وقد أمروا بأخذ علومهم

وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتّباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم .
 ٦ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربيع
 ابن عبدالله ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من طلب العلم ليباهي به

منهم ، واتّباع السلطان يشمل قبول^(١) الولاية منهم على القضاء ونحوه ، والخلطة بهم
 والمعاشرة معهم اختياراً والرضا بها .
 قوله عليه السلام فاتهموه على دينكم : أي لا تعتمدوا على فتاويهم وقضاياهم في الدين
 ولا تسألوهم عن شيء من المسائل .

الحديث السادس مرسل .

قوله عليه السلام ليباهي : المباهاة والمفاخرة : المجادلة ، والمراد أن من طلب العلم
 لتحصيل الرياسة ومن وجوها التي يناسب طلب العلم المفاخرة وإدعاء الغلبة به و
 ذلك مع العلماء لا يصل إلى النزاع والجدال ، حيث لا يمارون لعلمهم بقبحه ومع الجهال
 المتلبّسين بلباسهم يورث النزاع والجدال ، ومنها صرف وجوه الناس إليه من العالم
 الرباني فتحصل له الرياسة^(٢) .

قوله عليه السلام فليتبوء مقعده من النار : أي يتخذها منزلاً والأمر للتهكم قال الجزري
 معناه لينزل منزله في النار ، يقال : بوأ الله منزلاً أسكنه إيّاه وتبوأت منزلاً : اتخذته ، و
 قوله عليه السلام : إن الرياسة لا تصلح إلا لاهلها دليل لما قبله ، وأهل الرياسة من أوجب
 الله على عباده المراجعة إليهم ، والاخذ عنهم والتسليم لهم من أئمة الحق صلوات الله
 عليهم .

وروى الصدوق في كتاب معاني الاخبار بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي
 قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : رحم الله عبداً أحيا أمرنا ، فقلت له : و
 كيف يحيي أمركم ؟ قال : يتعلم علومنا ويعلمه الناس فإن الناس لو علموا محاسن
 كلامنا لا تبعونا ، قال : فقلت له : يا بن رسول الله فقد روى لنا عن أبي عبدالله عليه السلام

(١) وفي نسخة : قبوله الولاية . (٢) وفي نسخة : لتحصل به الرياسة .

العلماء ، أويما ري به السفهاء ، أويصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوء مقعده من النار ، إن الرئاسة لاتصلح إلا لأهلها .

﴿ باب ﴾

﴿ لزوم الحجة على العالم وتشديد الامر عليه ﴾

١ - عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد .

أنه قال : من تعلم علماً يمارى به السفهاء أويباهى به العلماء أوليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار فقال عليه السلام : صدق جدّي أفتردى من السفهاء ؟ فقلت : لا يا بن رسول الله قال : هم قصاص مخالفينا ، وتردى من العلماء ؟ فقلت : لا يا بن رسول الله ، قال : هم آل محمد ، الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودّتهم ، ثم قال : وتردى ما معنى قوله أو ليقبل بوجوه الناس إليه ؟ قلت : لا ، قال : يعنى بذلك والله إدعاء الإمامة بغير حقّها ، ومن فعل ذلك فهو في النار .

و باسناده عن حمزة بن حمران قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من استأكل بعلمه افتقر ، فقلت له : جعلت فداك إن في شيعتك ومواليك قوماً يتحملون علومكم ويثبتونها في شيعتكم ولا يعدمون على ذلك منهم البرّ والصلة والإكرام فقال عليه السلام : ليس أولئك المستأكلين انما المستأكل بعلمه الذي يفتى بغير علم ولا هدى من الله عزّ وجلّ ليبطل به الحقوق طمعاً في حطام الدنيا .

أقول : يمكن حمل الخبرين على بيان الفرد الكامل منها لكن لا ضرورة تدعو اليه .

باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الامر عليه

الحديث الاول ضعيف .

ولعلّ للعالم ههنا بحسب ما يعلمه من المسائل كمّاً أو كيفاً كاليقينيّ والظنّيّ والاجتهاديّ والتقليديّ مراتب لا يتناهى ، وكذا الجاهل يقابله بحسب تلك المراتب ،

٢ - وبهذا الاسناد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال عيسى بن مريم علي نبينا وآله وعليه السلام : ويلٌ للعلماء السوء كيف تلطّى عليهم النار ؟ ! .

٣ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان جميعاً ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا بلغت النفس ههنا - وأشار بيده إلى حلقه - لم يكن للعالم توبة .

فلكلّ عالم شدة تكليف بالنسبة إلى الجاهل الذي يقابله .

الحديث الثاني ضعيف .

قوله عليه السلام للعلماء السوء : قال الجوهري : ساء يسوئهم سوءاً بالفتح نقيض سرّ والاسم السوء بالضم ، وتقول : هذا رجل سوء بالاضافة ، ثم تدخل عليه الألف واللام ، فتقول : هذا رجل السوء قال الاخفش : ولا يقال : الرجل السوء ، ولا هذا رجل السوء بالضم « انتهى » والظاهر أنّ السوء هنا بالفتح مجروراً بالاضافة كالضارب الرجل ، وليس السوء في مثل هذا الموضع صفة بل مضاف اليه ، لكن الاضافة ههنا في معنى التوضيف ، أى المضاف موصوف بما أضيف اليه والمشتق منه محمول على المضاف ، وقوله : كيف تلطّى أى تلهّب وتشتعل .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

قوله عليه السلام : اذا بلغت النفس .. قيل : المراد بالنفس الرّوح الحيوانى فانه قد يطلق عليه كما يطلق على النفس الناطقة ، وقيل : المراد ببلوغ النفس إلى الحلق قطع تعلّقها عن الاعضاء ، والانتهاء في قطع التعلّق الى الحلق والرأس ، وهو في آخر ساعة من الحياة الدّنيوية ، قال بعض المفسرين : من لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ، ثم يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الصدر ، ثم ينتهى إلى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الاقبال بالقلب على الله تعالى والوصيّة والتوبة ، مالم يعاين ، والاستحلال من أرباب الحقوق وذكر الله سبحانه ، فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته رزقنا الله ذلك بمنّه وفضله .

قوله عليه السلام : لم يكن للعالم : أى العالم بأمور الآخرة فيكون المراد بعد ظهور

ثم قرأ: « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ » ^(١).

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن

أحوال الآخرة ، لأنه حينئذ عالم بعلم العيان لا ينفعه التوبة ، و يحتمل أن يكون المراد قبل ظهور أحوال الآخرة ، وبالعالم العالم مطلقاً لا بهذا الأمر المخصوص ، ويكون المراد أن الجاهل تقبل توبته في هذه الساعة بخلاف العالم ، فإنه لا بد له من تدارك لما فاتته في الجملة ، وهو خلاف المشهور إلا أن تحمل على التوبة الكاملة .

قوله ^(٢) « إِنَّمَا التَّوْبَةُ » أى قبول التوبة الذي أوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده ، والتوبة هى الرجوع والإقامة ، إذا نسبت إلى الله سبحانه تعدت بعلى ، وإذا نسبت إلى العبد تعدت بائلى ، ومعنى التوبة من العبد رجوعه إلى الله بالطاعة والإتيان بعد عصيانه ، والتوبة من الله رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أولاً ثم قبوله إتيانها منه آخراً ، فلكه توبتان وللعبد واحدة بينهما ، قال الله تعالى « ثم تاب عليهم ليتوبوا » ^(٣) فالتوبة في قوله سبحانه « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ » من تاب عليه إذا قبل توبته ، إلا أن « على » هذه ليست هى « على » في قولهم : تاب عليه ، وقوله تعالى « بجهالة » أى متلبسين بها ، قيل : المراد بالجهالة هنا هى السفاهة التى تلزم المعصية ولذا قيل : من عصى الله فهو جاهل ، وأما قوله سبحانه « ثم يتوبون من قريب » فى معنى به من قبل أن يشرب في قلوبهم حباً فيتعدّر عليهم الرجوع ، وأما الحصر المدلول بلفظة « إِنَّمَا » فلا ينافي قبولها ممثلاً آخرها إلى قبيل المعاينة كما ورد في الأخبار لأن وجوب القبول غير التفضل به كذا قيل ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله « من قريب » قبل حضور الموت كما يؤمى إليه آخر الرواية .

الحديث الرابع ضعيف .

(١) سورة النساء : ١٧ .

(٢) سورة التوبة : ١١٨ .

النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن أبي سعيد المكاربي ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : « فكبكبوا فيها هم والغادون » ^(١) قال : هم قوم وصفوا عدلاً بالسنتهم ثم خالفوه إلى غيره .

﴿ باب النوادر ﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري ، رفعه قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : روّحوا أنفسكم بيديع الحكمة ، فانها

قوله عليه السلام فككبكبوا : يقال كبّه على وجهه أى صرعه فأكبّ ، والكبكة : تكرير الكب ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى ، وقوله عليه السلام : هم قوم ، تفسير لضمير «هم» اوللغاؤون ، والاول أظهر ، وذكر أكثر المفسرين أن ضمير «هم» راجع إلى الآلهة ، ولا يخفى أن ما ذكره عليه السلام أنسب لفظاً ومعنى ، والعدل كل أمر حق يوافق العدل والحكمة من العقائد الحقّة والعبادات والاخلاق الحسنة .

باب النوادر

اي اخبار متفرقة مناسبة للأبواب السابقة ولا يمكن إدخالها فيها ، ولا عقد باب لها لأنّها لا يجمعها باب ، ولا يمكن عقد باب لكل منها .

الحديث الاول مرفوع .

قوله عليه السلام روّحوا : من الرّوح بمعنى الراحة أو بمعنى نسيم الريح ورائحتها الطيبة ، والاول أظهر اي صيروا أنفسكم في راحة طيبة بيديع الحكمة ، اي ما يكون مبتدعاً غير متكرّر من الحكمة بالنسبة إلى أنفسكم فإنّ النفوس تكلّ وتعيي بالمتكرّر من المعرفة ، وتكرار تذكّرها ، كما تكلّ الابدان بالمتكرّر من الفعل ، و يحتمل أن يكون المراد بيديع الحكمة نفائسها وجلالها ، وبكلال النفوس ما يحصل

تكلُّ كما تكلُّ الأبدان .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن نوح بن شعيب النيسابوري ، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان ، عن دُرُست بن أبي منصور ، عن عروة بن أخي شعيب العفرقي عن شعيب ، عن أبي بصير ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ياطالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة : فرأسه التواضع ، وعينه

لها من الفتور عن الطاعات وعدم الرغبة إلى الحق بسبب الاشتغال بالشهوات ، أو الكسل الذي يحصل لها بكثرة الطاعات ، فإن نفائس الحكمة ينبث النفس وينشطها بل يحييها بعد موتها كما هو المجرب .

الحديث الثاني ضعيف .

قوله عليه السلام إن العلم ذو فضائل كثيرة : أقول : لما أراد عليه السلام التنبيه على فضائل العلم شبهه بشخص كامل روحاني له أعضاء وقوى كلها روحانية بعضها ظاهرة وبعضها باطنة ، فالظاهرة كالرأس والعين والأذن واللسان واليد والرجل ، والباطنة كال حفظ والقلب والعقل والهمة والحكمة ، ولمستقر روحاني ومركب وسلاح وسيف وقوس وجيش ومال وذخيرة وزاد ومأوى ودليل ورفيق كلها معنوية روحانية ثم أنه عليه السلام يبين إنطباق هذا الشخص الروحاني بجميع أجزائه على هذا الهيكل الجسماني إكمالاً للتشبيه ، وإيماءً إلى أن العلم إذا استقر في قلب إنسان يملك جميع جوارحه ، ويظهر آثاره من كل منها ، فرأس العلم وهو التواضع يملك هذا الرأس الجسداني ويخرج منه التكبر والنخوة التي هو مسكنها ، ويستعمله فيما يقتضيه التواضع من الانكسار والتخضع وكما أن الرأس البدني باقتفائه ينتقى حياة البدن فكذا باقتفاء التواضع عند الخالق والخالق تنطفى حياة العلم فهو كجسد بلا روح لا يصير مصدراً لآثاره هاتان الجهتان ملحوظتان في جميع الفقرات ، وذكره يوجب الإطناب وما ذكرناه كاف لاولي الاباب .

قوله عليه السلام وعينه البراءة من الحسد : لأن العالم إذا حسد يخفي علمه عن

البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الاشياء والأموار، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة،

غيره، وذلك يوجب عدم تذكره ونقص علمه، وكذا يوجب عدم استعماله ما لا يعلمه عمن يعلمه لأنه يبغيضه بحسده ولا يريد أن يعلم الناس أنه قابل للتعليم، فالحاسد علمه أعمى، ولما كان الحسد بالعين نسب إليها، «وأذنه الفهم» أى فهم المراد والمقصود، لأنّ الذهن إذا لم يفهم المعنى المقصود كان كالذى يخاطب بما لا يسمع، وإيضاً الاذن آلة للفهم فناسبه «ولسانه الصدق» لأنّه إذا لم يكن مع العلم الصدق كان كالأبكم، اذ كما أن الأبكم لا ينتفع الناس بمنطقه فكذا العالم الكاذب لا ينتفع الناس بافادته، لعدم اعتمادهم عليه «وحفظه الفحص» هو البحث والكشف عن الشيء والعلم بدون الفحص كالذى لا يحفظ له فيغفل عن كثير وينسى كثيراً.

«وقلبه حسن النية» وهو أن لا يكون له مقصود في طلب العلم وبذله إلاّ رضى الربّ سبحانه، حتى يترتب عليه الحياة الأبدية، فالعلم العارى عن ذلك كمن لا قلب له فلا حياة له، والمناسبة ظاهرة، و«عقله» أى ما هو فيه بمنزلة النفس للبدن، أو بمنزلة القوة المميّزة بين الحسن والقبيح، والمراد بمعرفة الاشياء والامور إما معرفة جميع الأمور التى لا بدّ من معرفتها أو معرفة الدنّيا وفنائها، وما يوجب الزهد فيها والإعراض عنها والتوجّه إلى جناب الحق تعالى ومعرفة من يجب متابعتها، ويجوز أخذ العلم عنه، فإن معرفة هذه الاشياء يوجب حصول العلم الكامل، وتحصيله من معدنه وإفاضة العلوم الربانيّة عليه، فهى بالنسبة إلى مجموع العلم كالنفس أو كالقوة المميّزة في أن العلم لا يحصل إلاّ بها، ولها تعلق تام بالقلب المتقدم ذكره، ويمكن حمله على معرفة مبادئ العلوم الحقّة وما يتوقف تحصيلها عليه، والأوسط أظهر.

«ويده الرحمة» أى الرحمة على المحتاجين اليه من العلم أو الأعمّ منه ومن غيره، والعلم مع عدمها كالذى لا يدلّه، وكذا زيارة العلماء كالرجل له، اذ لولاها لما انتقل

وحكمته الورع ، ومستقرّ النجاة ، وقائده العافية ، ومركبه الوفاء ، وسلاحه لين الكلمة ، وسيفه الرضا ، وقوسه المداواة ، وجيشه محاوره العلماء وماله الأدب ،

العلم من أحد الى آخر ، والمراد بالسلامة اما سلامته من المعاصي أو سلامة الناس من شرّه .

قوله عليه السلام : وحكمته ، اى ما به اختياره للصدق والصواب ، والورع اجتناب المحرمات و الشبهات ، اى ما به يختار الصدق و الصواب ، وهو التحرّز عن ارتكاب ما لا يليق من القول والاعتقاد والفعل والنية ويمكن أن يراد بالحكمة ما تقتضيه حكمته ، وربما يقرء بفتح الحاء والكاف ، وهو المحيط من اللجام بخنك الدابة ، اى المانع لمركبه من الخروج عن طريقه والتوجّه إلى خلاف مقصده « ومستقرّه » اى محلّ استقراره ومسكنه الذى إذا وصل اليه سكن ، واستقرّ فيه النجاة والتخلص عن الشكوك و الشبهات ، فان العلم والعالم لا يستقرّان ولا يطمئنان إلا اذا وصلا الى حدّ اليقين ، أو لا يترك الحركة والسعى في تحصيل النجاة إلا مع حصولها بعدالموت ، فمادام في الدنيا لا يفتقر عن السعى ، لتحصيل النجاة الأخرى ، ويحتمل أن يكون المستقرّ مصدراً ميمياً اى استقراره في قلب العالم يوجب النجاة عن الجهل والعقوبات والحمل على المبالغة .

« وقائده » . . اى ما يقوده ويجرّه نحو مستقرّه الذى هو النجاة : العافية من الآفات و العاهات و الأمراض النفسانيّة « وسيفه الرضا » اى الرضا بالقضاء ، أو بما وقع من العدو بالنسبة اليه ، وعدم التعرّض لدفعه ، ولعله عليه السلام انما شبه الرضا بالسيف والمداواة بالقوس لأنّ بالسيف يدفع العدو القريب ، وبالقوس يدفع العدو البعيد ، والرضا والصبر يدفعان المضرّة العاجلة ، والمداواة وحسن الخلق يدفعان المضرّات المتوقعة ، ومحاوره العلماء : مكالمتهم ومجاوبتهم ، فانّها تقويّه و تعينه كتنقية الاعوان والانصار ، والمراد بالمال البضاعة التى يتجر بها ، وبالذخيرة ما يحرز لوقت الحاجة ، فالأدب كالبضاعة للعلم ، واجتناب الذنوب كالذخيرة له لتقوى العلم به

وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، وماؤه المواعدة ، ودليله الهدى ؛ ورفيقه
محبة الأختيار .

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر
عن حماد بن عثمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : نعم وزير
الايمان العلم ، ونعم وزير العلم الحلم ، ونعم وزير الحلم الرفق ، ونعم وزير الرفق
الصبر .

٤ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن عبدالله
بن ميمون القداح ، عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : جاء رجل إلى
رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما العلم ؟ قال : الإيصال ، قال : ثم مه ؟ قال :

يوماً فيوماً ، وينتفع به عند الحاجة .

«ودليله» أي ما يدهله ويرشده إلى الحق والنجاة الهدى أي هدى الله تعالى بتوسط
الانبياء والاولياء عليهم السلام ، وتوفيقه وتسديده ، «و رفيقه» أي ما يؤمن بمرافقته من قطع
طريقه إلى النجاة « محبة الأختيار » وفي تحف العقول «صحة الأختيار» ولعله أنسب .

الحديث الثالث صحيح .

قوله عليه السلام نعم وزير الايمان : الوزير الذي يلتجى الأمير إلى رأيه وتديره ،
ويحمل عنه ما حمله من الأثقال ، والمراد بالايمان التصديق بالهيته سبحانه ووحدانيته
وصفاته الكمالية ، وبالرسول وبما جاء به ، وبالعلم معرفة المعارف بأدلتها معرفة
يوجب مراعاتها اضمحلال الشبهة والشكوك والحلم الإيانة ، وأن لا يزعجه هيجان الغضب
وهي حالة نفسانية توجب ترك المرء والجدال ، وأن لا يستفزّه الغضب ، والرفق الميل إلى
التلطّف ، وتسهيل الأمر والإعانة ، ويحتمل أن يكون المراد بالرفق إعمال الحلم ،
والعبرة هي العبور العلمي من الأشياء إلى ما يترتب عليها وتنتهي إليه ، وتقوية كل
سابق مما ذكر بلا حقه لا يحتاج إلى البيان .

الحديث الرابع ضعيف على المشهور .

قوله : ما العلم ؟ .. لعلّ سؤال السائل كان عما يوجب العلم أو عن آداب طلبه أو

الاستماع ، قال : ثمَّ مه ! قال : الحفظ ، قال : ثمَّ مه ؟ قال : العمل به ، قال : ثمَّ مه يارسول الله ؟ قال : نشره .

٥ - على بن إبراهيم رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : طلبت العلم ثلاثة فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ،

عما يدل على حصوله ، ويحتمل أن يكون غرضه إستعلام حقيقته فأجابه عليه السلام ببيان ما يوجب حصوله أو يدل على ثبوته ، لا نه الذي ينفعه ، فالحمل على المبالغة ، و الاقتصات السكوت عند الاستماع فان كثرة المجادلة عند العالم يوجب الحرمان عن علمه .

قوله : ثمَّ مه ؟ أصلها « ما » قلبت الألف هاء أوحذفت وزيدت الهاء للسكت .

الحديث الخامس مرفوع ، وسنده الثاني مجهول ، ورواه الصدوق (ره) في الأمالى عى جعفر بن محمد بن مسرور ، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميرى عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن محمد بن زياد ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة عن ابن عباس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام بأدنى تغيير ، ورواه أيضاً في الخصال عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن على بن الحسين السعد آبادى ، عن احمد بن أبي عبد الله البرقى عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود عن سعيد بن علقمة عنه عليه السلام مثله .

قوله عليه السلام بأعيانهم : أى بخواصهم وأفعالهم المخصوصة بهم ، أو بالشاهد الحاضر من أفعالهم كما قيل ، وقال في القاموس : العين الحاضر من كل شيء ، فالمراد بصفاتهم ما عدا أفعالهم من صفاتهم المتصفين بها ، وقيل : فأعرفهم بأعيانهم أى أقسامهم ومفهومات أصنافهم ، وهي ما ذكره بقوله عليه السلام : صنف ، إلى قوله : والعقل وصفاتهم أى علاماتهم التى يعرف بها كل صنف من غيره ، وهو ما ذكره بقوله : فصاحب الجهل الى آخره ، وقيل : المراد بأعيانهم مناظرهم من هيئاتهم وأوضاعهم كالترسل بالخشوع والتخلى من الورع ، قال في القاموس : العين منظر الرجل ، و بصفاتهم علاماتهم من أفعالهم وهو قريب من الأول ، وقيل : المعنى أعرفهم بسبب الحاضر من أفعالهم و علاماتهم و

وصنف يطلبه للفقه والعقل ، فصاحب الجهل والمراء موزٍ مَمارٍ متعرِّضٍ للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم ، قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع فدقّ الله من

يكون الواو في قوله : وصفاتهم بمعنى مع ، أى مع صفاتهم وخواصهم التى خصّهم الله تعالى بها ممّا فعله بهم من العقاب على الاولين ، والاثابة على الثالث على الوجه الذى ذكره عليه السلام بعد ذكر علامة كل واحد من الاصناف الثلاثة ، وحينئذ يكون الكلام على سياقة اللف والنشر المرتب أو بالعكس ، بأن يكون المراد بأعيانهم خواصّهم التى خصّهم الله تعالى بها من العقاب والثواب ، وبصفاتهم علاماتهم ، والباء للالصاق ، والواو بمعنى مع أو للعطف ، واللف على خلاف ترتيب النشر ، والجهل السفاهة وترك الحلم ، وقيل : ضدّ العقل ، والمراء المجادلة من غير غرض ديني والاستطالة : العلو والترفع والختل بالمعجمة المفتوحة والمثناة الفوقانية الساكنة : الخداع كما ذكره في النهاية ، في شرح هذا الخبر ، والفقه : معرفة الأمور الدينية ، والمراد بالعقل تعقل الأمور وفهمها ، أو المعنى انه يطلب العلم ليستعمله العقل ، ويعمل بمقتضاه أو لتكميل العقل الفطري ، والأندية جمع النادى وهو مجتمع القوم ومجلسهم ومتحدّتهم ماداموا فيه مجتمعين ، فإذا تفرقوا فليس بنادى ، وقوله عليه السلام : بتذاكر العلم متعلّق بالمقال ، أى يصف العلم والحلم ، ولا يتصف بهما ، أو يصف نفسه بهما مع خلوه عنهما ، ويذكر المسائل المشكّلة ويتكلّم فيها ، ليظهر علمه وليس بعالم ، ويظهر الحلم أحياناً وليس بحليم ، والتسرّبل ففعل من السربال وهو القميص أى أظهر الخشوع للتشبه بالخاشعين والتزيّى بزيتهم مع خلوه عنه لخلوه من الورع اللازم له .

قوله عليه السلام فدقّ الله من هذا : دعاء عليه أو خبر عما سيلحقه ، وكذا نظائره و قوله من هذا : أى بسبب كل واحدة من تلك الخصال ، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى الشخص فكلّمة «من» تبعية ، والمراد بدقّ الخيشوم وهو أعلى الأنف وأقصاه : إذلاله وإبطال أمره ، ورفع الإتنظام عن أحواله وأفعاله ، وبقطع الحيزوم بفتح الحاء المهملة وضمّ الزاء المعجمة ، وهو ما استدار بالظهر والبطن ، أو ضلع الفؤاد أو ما اكتنف

هذا خيشومه ، وقطع منه خيزومه و صاحب الاستطالة و الختل ، ذو خبّ و ملق ، يستطيع على مثله من أشباهه ، ويتواضع للأغنياء من دونه ، فهو لحلوائهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فأعنى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره ، و صاحب الفقه

بالحلقوم من جانب الصدر : افساد ما هو مناط الحياة والتعيش في الدنيا أو في الدارين والخبّ بالكسر : الخدعة ، والخبث والغش ، يقال رجل خبّ وخبّ بالفتح والكسراى خدّاع ، والملق بالتحريك : المداهنة والملاينة باللسان والإعطاء باللسان مالمس في القلب .

قوله عليه السلام على مثله : أى من يساويه في العزّ والمرتبة من أشباهه وهم أهل العلم وطلبته ، وقوله : من دونه أى من غيره يعنى من غير صنفه وجنسه ، أو ممثّن هو دونه ، ومن هو خسيس بالنسبة إليه وهاتان الفقرتان كال تفسير والبيان لخبّه وملقه .

قوله عليه السلام فهو لحلوائهم : في بعض النسخ بالنون وهو بضمّ الحاء المهملة وسكون اللام : أجرة الدلال والكاهن وما أعطى من نحو رشوة ، والمراد به ههنا ما يعطيه الأغنياء فكأنّه أجرة لما يفعله بالنسبة اليه أورشوة على ما يتوقع منه بالنسبة اليهم ، وفي بعض النسخ لحلوائهم بالهمزة اى لأطعمتهم اللذيذة ، والحطم : الكسر المؤدّى الى الفساد ، يعنى يأكل من مطعوماتهم ويعطيهم من دينه فوق ما يأخذ من مالهم ، فلا جرم يحطم دينه ويهدم إيمانه ويقينه .

قوله عليه السلام خبره : بضم الخاء أى علمه ، أو بالتحريك دعاء عليه بالإستival والفناء بحيث لا يبقى له خبر بين الناس ، والاثر بالتحريك ما يبقى في الارض عند المشى وقطع الاثر أما دعاء عليه بالزمانة كما ذكره الجزرى ، أو بالموت فإنّ أثر المشى من لوازم الحياة ، أو المراد به ما يبقى من آثار علمه بين الناس ، فلا يذكر به والاوسط أظهر ، والكآبة بالتحريك والمدّ والتسكين : سوء الحال والإكسار من شدّة الهمّ

والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنّك في برنسه ، وقام الليل في حنّده ، يعمل و
يخشى وجلاً داعياً مشفقاً ، مقبلاً على شأنه ، عارفاً بأهل زمانه ، مستوحشاً من أوثق
إخوانه ، فشدّ الله من هذا أركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانه .

و حدّثني به محمد بن محمود أبو عبدالله القزويني ، عن عدّة من أصحابنا منهم
جعفر بن محمد الصيقل بقزوين ، عن أحمد بن عيسى العلوي ، عن عباد بن صهيب البصري

والحزن ، والمراد بها ههنا الحزن على فوت الفائق ، أو عدم حصول ما هو متوقع له
من الدرجات العالية ، والسعادات الأخروية .

قوله عليه السلام قد تحنّك في برنسه : وفي الكتّابين قد إنحنى في برنسه والبرنس
بضم الباء وسكون الراء والنون المضمومة : قلنسوة طويلة كان يلبسها النساك والعباد
في صدر الاسلام ، وعلى نسخة الكتاب يؤمى الى استحباب التحنّك للصلاة ، والحنّس
بالحاء المهملة المسكورة والنون الساكنة والدادال المكسورة : الليل المظلم أو ظلمة
الليل ، وقوله : في حنّده بدل من الليل ، ويحتمل أن يكون « في » بمعنى « مع »
ويكون حالاً من الليل والضمير راجع الى الليل ، وعلى الأوّل يحتمل أرجاعه الى
العالم .

قوله عليه السلام ويخشى : أي من لا يقبل منه وجلاً أي خائفاً من سوء عقابه داعياً
الى الله طالباً منه سبحانه التوفيق للهدى والثبات على الايمان والتقوى ، مشفقاً من
الإتهاء الى الضلال أو مشفقاً على الناس ، متعطفاً عليهم بهدايتهم والدعاء لهم ، « مقبلاً
على شأنه » أي على إصلاح نفسه ، وتهذيب باطنه « عارفاً بأهل زمانه » فلا ينخدع منه
« مستوحشاً من أوثق اخوانه » لما يعرفه من أهل زمانه .

قوله عليه السلام : فشدّ الله من هذا أركانه ، أي أعضاؤه وجوارحه أو الأعم منها ومن
عقله ودينه واركانه إيمانه ، والفرق بين الصنفين الأولين إمّا بأنّ الأول غرضه الجاه
والتفوق بالعلم ، والثاني غرضه المال والترفع به أو بأنّ الأول غرضه إظهار الفضل

عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن يحيى ، عن طلحة بن زيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رواة الكتاب كثير ، وإن رعايته قليل ، وكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب ، فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية ، والجهال يحزنهم

على العوام ، وإقبالهم إليه ، والثاني مقصوده قرب السلاطين والظلمة والتسلط على الناس بالمناصب الديونية .

الحديث السادس ضعيف .

قوله عليه السلام أن رواة الكتاب : يحتمل أن يكون المراد بالكتاب القرآن في الموضوعين ، فالعنى أن الحافظين للقرآن بتصحيح ألفاظه وتجويد قرائته وصون حروفه عن اللحن والغلط كثير ، ورعايته بتفهيمه وتدبر معانيه وإستعلام ماأريد به من أهله ، ثم استعمال ذلك كله على مايقضيه قليل « وكم من مستنصح للحديث » برعاية فهم معانيه ، والتدبر فيه ، والعمل بما يقضيه « مستغش للقرآن » بعدم رعاية موافقة الحديث له ، وتطبيقه عليه ، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب مايشمل الحديث ايضاً ، فالمراد بمستنصح الحديث من يراعى لفظه و بمستغش الكتاب من لايتدبر في الحديث ولايعمل بمقتضاه ، فيكون من قبيل وضع المظهر موضع المضمّر ، والاول أظهر يقال : استنصحه أى عدّه نصيحاً خالصاً عن الغش واستغشه أى عدّه غاشاً غير ناصح ، فمن عمل بالحديث وترك القرآن فكأنه عدّ الحديث ناصحه ، والقرآن غاشاله .

قوله عليه السلام فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية : يعنى أن العلماء العاملين يحزنهم ترك رعاية الكتاب والحديث ، والتفكر فيهما والعمل بهما ، لمايعلمون في تركهما من سوء العقاب عاجلاً وآجلاً والجهال يهتمهم حفظ روايته ويغتهم عدم قدرتهم عليه ، لمايزعمونه كمالاً وفوزاً ، ويمكن تقدير مضاف أى يحزنهم ترك حفظ الرواية ، وقيل : المراد حفظ الرواية فقط ، أى يصير ذلك سبب حزنهم في الآخرة ، ومنهم من

حفظ الرواية، فراع يرعى حياته، وراع يرعى هلكته، فعند ذلك اختلف الراعيان،

قرأها يخزيهم من الخزي اى يصير هذا العلم سبباً لخزيهم في الدارين، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالعلماء أهل بيت النبوة سلام الله عليهم، ومن يحذو حذوهم ممن تعلم منهم، ويكون المراد أنهم عليه السلام يحزنهم ترك رعاية القرآن من التاركين لها، الحافظين للحروف فإنهم لورعوه لاهتدوا به، وأقرأوا بالحق، والجهال وهم الذين لم ينتفعوا من القرآن بشيء لا رواية ولا درايةً ويحزنهم حفظ الرواية من الحافظين لها التاركين للرعاية لما رأوا أنفسهم قاصرين عن رتبة أولئك، ويحسبون أنهم على شيء وأنهم مهتدون، فتغبطهم نفوسهم، ويؤيد هذا المعنى ما يأتي في الروضة من قول أبي جعفر عليه السلام في رسالته إلى سعد الخير، وكان من فبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية، فإن في قوله عليه السلام: يعجبهم هناك بدل يحزنهم هنا، دلالة على ما قلنا، ويحتمل أن يكون المراد بالجهال هناك الحافظين للحروف فإنهم جهال في الحقيقة، ولا يجوز إرادته ههنا لأنه لا يلائم الحزن «انتهى» والأظهر أن المراد بالعلماء الذين يستحقون هذا الاسم على الحقيقة، وهم الذين يتعلمون لوجه الله تعالى ويعملون به، وبالجهال الذين يطلبون العلم للأغراض الدنيوية ولا يعملون به، كما مرّ بيان حالهم، فالعلماء الربانيون يحزنون إذا فاتهم رعاية الكتاب والعمل به لفوت مقصودهم، وغيرهم من علماء السوء لا يحزنون بترك الرعاية، إن مقصودهم حفظ الرواية فقط، وقد تيسر لهم، لكن ذلك يصير سبباً لحزنهم في الدنيا لأن الله تعالى يذلهم ويسلب عنهم علمهم، ويكلهم إلى أنفسهم، وفي الآخرة للحسرات التي تلحقهم لفوت ما هو ثمرة العلم والمقصود منه.

والحاصل أن مطلوب العلماء ما هو تركه يوجب حزنهم ومطلوب الجهال ما هو فعله يورث حزنهم وخزيهم، ولا يبعد أن يكون الترك في قوله ترك الرعاية زيد من النسخ، فتكون الفقرتان على نسق واحد، ويؤيده ما رواه ابن ادريس في كتاب

وتغاير الفريقان .

٧ - الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً .

السرائر مما استطرفه من كتاب أنس العالم للصفواني عن طلحة بن زيد قال قال أبو عبد الله عليه السلام : رواة الكتاب كثير ، ورعاه قليل ، فكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب ، والعلماء يحزنهم الدراية ، والجهال يحزنهم الرواية .

قوله عليه السلام فراغ يرعى حياته : أى حياة نفسه أبداً ونجاته من المهالك وهو الذى يرعى الكتاب ويطلب علمه لله ويعمل به ، ورعى يرعى هلكته بالتحريك أى هلاك نفسه وعقابه الاخرى ، وهو الذى ليس مقصوده إلا حفظ لفظ القرآن والحديث وروايتهما من غير تدبر في معانيهما ، أو عمل بهما ، وأما قوله : فعند ذلك أى عند النظر إلى قلوبهم وضمائرهم ، والاطلاع على نيّاتهم وسرائرهم كما قيل ، أو عند ظهور الحياة والهلاك في الآخرة اختلف الرّاعيان أى راع الحياة ورعى الهلكة ، أو راعى اللفظ وراعى العمل [به] وتغاير الفريقان بعد أن كانا متحدين بحسب الظاهر أو في الدنيا ممدوحين عند جهال الناس .

الحديث السابع ضعيف .

قوله عليه السلام أربعين حديثاً : هذا المضمون مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة بل قيل : إنه متواتر ، واختلف فيما أريد بالحفظ ، فقيل : المراد الحفظ عن ظهر القلب فانه هو المتعارف المعهود في الصدر السالف ، فإن مدارهم كان على النقش على الخواطر لاعلى الرسم في الدفاتر ، حتى منع بعضهم من الاحتجاج بما لم يحفظه الراوى عن ظهر القلب ، وقد قيل : ان تدوين الحديث من المستحدثات في المائة الثانية من الهجرة ، وقيل : المراد الحراسة عن الإندراس بما يعم الحفظ عن ظهر القلب و الكتابة والنقل بين الناس ولو من كتاب وأمثال ذلك ، وقيل : المراد تحمّله

على أحد الوجوه المقررة التي سيأتى ذكرها في باب رواية الكتب ، والحق أن للمحفظ مراتب يختلف الثواب بحسبها ، فأحدها : حفظ لفظها ، سواء كان في الخواطر أو في الدفاتر ، وتصحيحه واستجازتها وإجازتها وروايتها ، وثانيها : حفظ معانيها والتفكير في دقايقها واستنباط الحكم والمعارف منها ، وثالثها : حفظها بالعمل بها والاعتناء بشأنها والاتعاظ بمودعها ، ويؤمى إليه بعض الاخبار ، وفي بعض الروايات هكذا : من حفظ على أمتى أربعين حديثاً ، فالظاهر أن على بمعنى اللام أى حفظ لاجلهم كما قالوه في قوله تعالى «ولتكبروا الله على ما هداكم»^(١) أى لاجل هدايته إياكم ، ويحتمل أن يكون بمعنى «من» كما قيل في قوله تعالى «إذا اكثالوا على الناس يستوفون»^(٢) و يؤيده روايات ، ويحتمل تضمين معنى الاشتقاق أو العطف أو التحنن أو ضربها .

والحديث في اللغة يرادف الكلام ، سمي به لأنه يحدث شيئاً فشيئاً ، وفي اصطلاح عامة المحدثين كلام خاص منقول عن النبي أو الامام أو الصحابي أو التابعي أو من من يحذو حذوه ، يحكى قولهم أو فعلهم أو تقريرهم ، وعند أكثر محدثي الإمامية لا يطلق اسم الحديث إلا على ما كان عن المعصوم عليه السلام ، وظاهر أكثر أخبار تخصيص الاربعين بما يتعلق بأمور الدين من أصول العقائد والعبادات القلبية والبدنية ، لاما يعمها وسائر المسائل من المعاملات والأحكام ، بل يظهر من بعضها كون تلك الأربعين جامعة لأسماء العقائد والعبادات والخصال الكريمة ، والأفعال الحسنة ، وعلى التقادير فالمراد بيعته فقيهاً عالماً أن يوقفه الله لأن يصير من الفقهاء العالمين العاملين ، أو المراد بعته في القيامة في زمرة من تشبهه بهم ، وإن لم يكن منهم ، وعلى بعض الاحتمالات الأول أظهر ، وعلى بعضها الثاني كما لا يخفى .

ثم اعلم أن الفقيه يطلق غالباً في الأخبار على العالم العامل الخبير بعيوب النفس وآفاتهما ، التارك للدنيا ، الزاهد فيها ، الرّاعب إلى ما عنده تعالى من نعيمه وقر به ووصاله واستدل بعض الافاضل بهذا الخبر على حجية خبر الواحد وتوجيهه ظاهر .

٨ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه ، عن عثمان ذكره ، عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » ^(١) قال : قلت ما طعامه ؟ قال : علمه الذي يأخذه ، عثمان يأخذه .

الحديث الثامن مرسل .

قوله تعالى « إلى طعامه » بعدها قوله تعالى : « أنّا صببنا الماء صبّا ، ثم شققنا الارض شقّا فأنبثنا فيها حبّا وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً ، وفاكهة وأبّا متاعاً لكم ولأنعامكم » .

قوله عليه السلام علمه : أقول هذا بطن الآية ولا ينافي كون المراد من ظهرها طعام البدن ، فانه لما كان ظاهراً لم يتعرّض له ، وكما أنّ البدن محتاج إلى الطعام والشراب لبقائه وقوامه واستمرار حياته كذلك الروح يحتاج في حياته المعنوى بالايمان إلى العلم والمعارف والأعمال الصالحة ليحيى حياة طيبة ويكون داخلها في قوله تعالى « أفمن كان ميتاً فأحييناه » ^(٢) ولا يكون من الذين وصفهم الله تعالى في كلامه العزيز في مواضع شتى بأنهم موتى ، ثم إنّ الغذاء الجسماني لما كان وجوده و نموّه بنزول المطر من السماء إلى الأرض القابلة لتنشّق وتثبت منها أنواع الحبوب والثمار ، وألوان الأزهار والأزهار والأشجار والحشائش ، فيتمتع بها الناس والأنعام فكذلك الغذاء الروحاني يعنى العلم الحقيقي إنّما يحصل بأن تفيض أمطار العلم والحكمة من سماء الرحمة - وهو الرسول والله أعلم ، حيث سمّاه الله تعالى سماءاً وأقسم به في مواضع من القرآن ، وبه فسرّ قوله تعالى « والسماء ذات البروج » ^(٣) وفسرّ البروج بالأئمة عليهم السلام . على أراضى القلوب القابلة للعلم والحكمة ، فنبت الله تعالى فيها أنواع ثمرات العلم والحكمة أو على قلوب الأئمة عليهم السلام ، فانهم شجرة النبوة ليشروا أنواع ثمرات العلم والحكمة

(١) سورة عبس : ٢٤ .

(٢) سورة الانعام : ١٢٢ .

(٣) سورة البروج : ١ .

٩ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن النعمان ، عن عبد الله ابن مسكان ، عن داود بن فرقد ، عن أبي سعيد الزهري ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه .

ليقتدى بها أرواح القابلين للتربية وينتفع بها غيرهم أيضاً من الذين كلاً نعام بل هم أضل سبيلاً ، فانهم أيضاً ينتفعون بالعلوم الحقّة وإن كان في دنياهم ، كما قال تعالى « متاعاً لكم ولأعدائكم » والحاصل على الوجهين أنّه ينبغي له أن يأخذ علمه عن أهل بيت النبوة الذين هم مهبط الوحي ، وينابيع الحكمة الآخذين علومهم من ربّ الغزّة حتى يصلح أن يصير غذاء لروحه ويحييه حياة طيبة .

الحديث التاسع ضعيف .

قوله عليه السلام الوقوف عند الشبهة : أي التثبت عند اشتباه الحكم وعدم وضوح وترك الحكم والفتوى خير من أن يلقي نفسه فجأة في الهلكة ، وهي بالتحريك الهلاك قوله عليه السلام لم تروه : صفة لقوله حديثاً كنظيره أحوال وهو إما على المجهول من باب الإفعال أو التفعيل أي لم تحمل على روايته ، يقال : روّيته الشعر أي حملته على روايته ، وأرويته أيضاً ، ويمكن أن يقرأ على المعلوم من أحد الباين أي لم تحمل من تروى له على روايته ، أو على بناء المجرّد أي تركك حديثاً لم تكن راوياً له على حاله فلا ترويه خير من روايتك حديثاً لم تحصه ، والاحصاء لغة العدّ ، ولما كان عدّ الشيء يلزمه الإطلاع على واحد واحد ممّا فيه ، استعمل في الإطلاع على جميع ما في شيء والإحاطة العلمية التامة بما فيه فاحصاء الحديث عبارة عن العلم بجميع أحواله متناً وسنداً وانتهاءً إلى المأخذ الشرعي ، وقوله : حديثاً لم تحصه ، إظهار في موضع الإضمار ، لكثرة الاعتناء بشأنه لأنّه عبارة أخرى عن معنى قوله : حديثاً لم تروه .

١٠ - محمد ، عن أحمد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن حمزة بن الطيطار أنه عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعاً منها قال له : كف واسكت ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت والرد إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى ، ويعرفوكم فيه الحق ، قال الله تعالى : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ^(١).

١١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري ، عن سفيان ابن عيينة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : وجدت علم الناس كله في أربع : أولها

الحديث العاشر : حسن أو موثق .

قوله عليه السلام كف واسكت : الأمر بالكف عند بلوغ ذلك الموضع إما لأن من عرض الخطبة فسر هذا الموضع برأيه وأخطأ أولاً أنه كان في هذا الموضع غموض ولم يتثبت عنده القارى ، ولم يطلب تفسيره منه عليه السلام ، أولاً أنه عليه السلام أراد إنشاء ما أفاد وبيان ما أراد لشدة الاهتمام به ، فأمره بالكف ، ويحتمل أن يكون شرحاً وبياناً لهذا الموضع من الخطبة ، والقصد استقامة الطريق أو الوسط بين الطرفين وهو العدل والطريق المستقيم ويحتمل على بعد أن يكون المراد بالقصد مقصود القائل .
قوله عليه السلام وجلوا : أى يذهبوا عنكم فيه العمى أى عمى القلب ، والجهالة والضلالة .

الحديث الحادي عشر : ضعيف .

قوله عليه السلام في أربع : أى ما يحتاج الناس إلى معرفته من العلوم منحصر في أربع ، وتأنيت الأربع باعتبار المعرفة المفهومة من قوله عليه السلام : أن تعرف في المواضع الآتية ، وتذكير الأول وأخواتها باعتبار العلم ، أو المراد أول أقسامها . أولها : أن تعرف ربك ، بوجوده وصفاته الكمالية الذاتية والفعلية بحسب طاقتك ، وثانيها : معرفتك بما صنع بك من إعطاء العقل والجواس والقدره ، واللطف بإرسال الرسل وإتزال الكتب

أن تعرف ربك ، والثاني أن تعرف ما صنع بك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك .

١٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما حق الله على خلقه ؟ فقال : أن يقولوا ما يعلمون ، ويكفوا عما لا يعلمون ، فإذا فعلوا ذلك فقد أدوا إلى الله حقه .

١٣ - محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن سنان ، عن محمد بن مروان العجلي ، عن علي بن حنظلة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنا .

وسائر نعمه العظام ، وثالثها : معرفتك بما أراد منك وطلب فعله ، أو الكف عنه و بما أراد من طريق معرفته وأخذه من مأخذه المعلومه بالعقل والنقل ، ورابعها : أن تعرف ما يخرجك من دينك كاتباع أئمة الضلال ، والأخذ من غير المآخذ ، وإنكار ضروري الدين ، ويدخل في هذا القسم معرفة سائر أصول الدين سوى معرفة الله تعالى فانها من ضرورات الدين ، والأعدام انما تعرف بملكانها ، وإن أمكن ادخالها في الأول لانها من توابع معرفة الله وشرائطه ، ولذا وصف تاركها في الآيات والخبار بالمشرك ، فعلى هذا يمكن أن يكون المراد بالرابع المعاصي ، ويكون الثالث مقصوداً على الطاعات .

الحديث الثاني عشر حسن .

قوله عليه السلام أن تقولوا : يمكن تعميم القول بحيث يشمل اللساني والقلبي ، « فقد أدوا إلى الله حقه » ، اللازم عليهم في بيان العلم وتعليمه ، ومنهم من عمم وقال : لانه إذا قال ما علمه قولاً يدل على إقراره ولا يكذبه بفعله وكف عما لا يعلمه هداة الله إلى علم ما بعده ، وهكذا حتى يؤدي إلى أداء حقوقه .

الحديث الثالث عشر ضعيف .

قوله عليه السلام على قدر روايتهم ^(١) عنا : أي كيفاً أو كمّاً أو الأعم منهما وهو أظهر

(١) كذا في النسخ وفي المتن « روايتهم » .

١٤ - الحسين بن الحسن ، عن محمد بن زكريّا الغلابي ، عن ابن عائشة البصري رفعه أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض خطبه : أيتها الناس اعلّموا أنه ليس بعاقل من اتزعج من قول الزُّور فيه ، ولا بحكيم من رضي ببناء الجاهل عليه ، الناس

وهذا طريق الى معرفة الرجال غير ما ذكره أرباب الرجال ، وهو أقوى وأنفع في هذا الباب فإن بعض الرواة ترى أخبارهم مضبوطة ليس فيها تشويش كزراعة ومحمد بن مسلم وأضرابهما وبعضهم ليسوا كذلك كعمّار الساباطي ، وكذا ترى بعض الأصحاب أخبارهم خالية عن الثقة كعلي بن جعفر ، وبعضهم أكثرها محمولة على الثقة كالسكوني وأضرابه ، وكذا ترى بعض الأصحاب رووا مطالب عالية ومساائل غامضة وأسرار كثيرة كهشام بن الحكم ومفضل بن عمر ، ولم تر في أخبار غيرهم ذلك ، وبعضهم رووا أخباراً كثيرة ، و ذلك يدل على شدة إعتنائهم بأمور الدين ، وبعضهم ليسوا كذلك وكل ذلك من مرجحات الرواة ويظهر الجميع بالتتبع التام فيها .

الحديث الرابع عشر مرسل والغلابي بالغين المعجمة والباء الموحدة ، نسبة الى غلاب لأنه كان مولى بنى غلاب وهم قبيلة بالبصرة .

قوله عليه السلام من اتزعج : قال الجوهرى ازعجه أى أقلعه من مكانه فانزعج وانتهى ، أى أن العاقل لا يضطرب ولا ينقلع من مكانه بسبب سماع قول الزور والكذب والبهتان فيه ، لأنه لا يضره بل ينفعه والحكيم لا يرضى ببناء الجاهل بحاله ، ومعاييه عليه ، لأنه لا ينفعه بل يضره ، وقيل : لأن الحكيم عارف بأسباب الأشياء ومسبباتها ، وإن التخالف يوجب التنافر ، وأن الجاهل لا يميل إلا الى مشاكله فلا يشي إلا على الجاهل ، أو من يعتقد جهله أو مناسبته له ، أو يستهزئ به باعتقاده أو من يريد أن يخدعه ، والحكيم لا يرضى بشيء من ذلك ، ويمكن تفسيره بوجه آخر هو أنه لما كان الجاهل عاجزاً عن حق إدراك العلم والحكمة والصفات الكمالية التي يتصف الحكيم بها بل كل ما يتصوره من تلك الكمالات ، فأنما يتصوره على وجه هو في الواقع منقصة ، فتناؤه عليه إنما هو بالمعاني المذمومة التي تصورها من تلك الكمالات ، فبالحقيقة مدحه

أبناء ما يحسنون ، وقدركلُ امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تبين أقداركم .
 ١٥ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن أبان بن عثمان ،
 عن عبد الله بن سليمان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده رجل من أهل البصرة
 يقال له : عثمان الأعمى وهو يقول : إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم
 يؤذى ريح بطونهم أهل النار ، فقال أبو جعفر عليه السلام : فهلك إذن مؤمن آل فرعون !

ذمٌ وثناؤه هجاء ، فلذا قال العارفون بجنابه سبحانه : لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما
 أثنيت على نفسك فإنهم لا يقصدون من الأسماء التي يطلقونها عليه تعالى ما فهموه
 منها ، بل يقصدون المعاني التي أرادها تعالى وهم عاجزون عن فهمها .

قوله عليه السلام أبناء ما يحسنون : من الإحسان بمعنى العلم ، يقال أحسن الشيء
 أى تعلمه فعلمه حسناً ، وقيل : ما يحسنون أى ما يأتون به حسناً من العلم والعمل
 والأوّل أظهر ، والمعنى أنه ليس شرف المرء وإفتخاره بأبيه وأمه بل بعلمه ، أو
 المراد أنهم إن كانوا يعلمون علم الآخرة فهم أبناء الآخرة ، وإن كانوا يعلمون علم
 الدنيا فهم أبناءها ، أو المراد أنه كما أن نظام حال الآب وصلاحه بالآب كذا نظام حال
 الناس وصلاحتهم بما يعلمونه ، وقوله عليه السلام : وقدركل امرء ما يحسن ، أى مرتبته فى
 العز والشرف بقدر ما يعلمه .

الحديث الخامس عشر ضعيف .

قوله عليه السلام فهلك إذن : أى إن كان الكتمان مذموماً يكون مؤمن آل فرعون ها لكاً
 حيث قال تعالى فيه « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » ^(١) ولما كان غرض
 الحسن إظهار أن رسول الله ﷺ لم يكن عنده علم سوى ما فى أيدي الناس وتكذيبهم
 عليهم السلام فيما يدعون أن عندهم من علوم النبى وأسراره ما ليس فى أيدي الناس ،
 وأنهم يظهرون من ذلك ما يشاؤون ويكتمون ما يشاؤون للتقية وغيرها من المصالح ،
 أبطل عليه السلام قوله بأن الكتمان عند التقية أو الحكمة المقتضية له طريقة مستمرة من

ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا .

﴿ باب رواية الكتب والحديث ﴾

﴿ وفضل الكتابة والتمسك بالكتب ﴾

١ - علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن منصور بن يونس ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله جل ثناؤه : «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» ^(١) قال : هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص منه .

زمن نوح عليه السلام الى الآن ، فليذهب الحسن الذي يزعم إنحصار العلم فيما في أيدي الناس يميناً وشمالاً أى إلى كل جهة وجانب ليطلبه من الناس ، فإنه لا يوجد عندهم أكثر المعارف والشرايع .

قوله عليه السلام إلهيها ، لعله أشار إلى صدره الشريف أو إلى مكانه المنيف أو إلى بيت النبوة والخلافة .

باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب

الحديث الاول موثق .

قوله عليه السلام فيحدث به كما سمعه ، لعله جعل الأحسن مكان المفعول المطلق والضمير راجع الى الاتباع كما أومأنا اليه في حديث هشام ، فالمعنى ان أحسن الاتباع أن يرويه كما سمعه بلا زيادة ونقصان ويؤمى الى جواز النقل بالمعنى بمقتضى صيغة التفضيل ، وعلى ما ذكرنا سابقاً من التفسير المشهور يكون تفسير المعنى الاتباع أى اتباع الأحسن لا يكون إلا بأن يتبعه قولاً وفعلاً من غير زيادة ونقص ، ويؤيد الأخير قوله تعالى « واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم » ^(٢) .

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن الأذينة ، عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص ؟ قال : إن كنت تريد معانيه فلا بأس .

الحديث الثاني صحيح .

قوله عليه السلام : إن كنت تريد معانيه : أى إن كنت تقصد حفظ معانيه فلا تختل بالزيادة والنقصان ، فلا بأس بأن تزيد وتنقص في العبارة ، وقيل : إن كنت تقصد وتطلب بالزيادة والنقصان إفادة معانيه فلا بأس ، وعلى التقديرين يدل على جواز نقل الحديث بالمعنى ، وتفصيل القول في ذلك أنه إذا لم يكن المحدث عالماً بحقايق الألفاظ ومجازاتها ومنطوقها ومفهومها ومقاصدها لم تجزله الرواية بالمعنى بغير خلاف ، بل يتعين اللفظ الذى سمعه إذا تحققه وإلا لم تجزله الرواية ، وأما إذا كان عالماً بذلك فقد قال طائفة من العلماء لا تجوز إلا باللفظ أيضاً ، وجوز بعضهم في غير حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط ، قال : لأنه أفصح من نطق بالضاد ، وفي تراكيبه أسرار ودقائق لا يوقف عليها إلا بها كما هي ، لأن لكل تركيب معنى بحسب الوصل والفصل والتقديم والتأخير وغير ذلك لو لم يراع ذلك لذهبت مقاصدها ، بل لكل كلمة مع صاحبها خاصية مستقلة كال تخصيص والإهتمام وغيرهما ، وكذا الألفاظ المشتركة والمترادفة ، ولو وضع كل موضع الآخر لقات المعنى المقصود ، ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نضر الله عبداً سمع مقالتي وحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، وكفى هذا الحديث شاهداً بصدق ذلك ، وأكثر الأصحاب جوزوا ذلك مطلقاً مع حصول الشرائط المذكورة ، وقالوا : كلما ذكرتم خارج عن موضوع البحث لائماً جوزنا لمن يفهم الالفاظ ، ويعرف خواصها ومقاصدها ، ويعلم عدم إختلال المراد بها فيما أداها ، وقد ذهب جمهور السلف والخلف من الطوائف كلها ، إلى جواز الرواية بالمعنى إذا قطع بأداء المعنى بعينه ، لأنه من المعلوم أن الصحابة وأصحاب الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يكتبون الأحاديث

٣ - وعنه ، عن محمد بن الحسين ، عن ابن سنان ، عن داود بن فرقد ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني أسمع الكلام منك فأريد أن أرويه كما سمعته منك فلا يجيء قال : فتعمد ذلك ؟ قلت : لا ، فقال : تريد المعاني ؟ قلت : نعم ، قال : فلا بأس .

عند سماعها ، ويبعد بل يستحيل عادة حفظهم جميع الألفاظ على ما هي عليه ، وقد سمعوها مرة واحدة خصوصاً في الأحاديث الطويلة مع تطاول الأزمنة ، ولهذا كثيراً ما يروى عنهم المعنى الواحد بألفاظ مختلفة ، ولم ينكر ذلك عليهم ، ولا يبقى لمن تتبع الأخبار في هذا شبهة ، نعم لأمرية في أن روايته بلفظه أولى على كل حال ، لاسيما في هذه الأزمان لبعد العهد وفوت القرائن وتغير المصطلحات ، وبالعكس بعضهم فقال : لا يجوز تغيير « قال النبي » إلى « قال رسول الله » ولا عكسه وهو غنت بين بغير ثمرة ، وقال بعض الأفاضل : نقل المعنى إنما يجوز في غير المصنفات ، أما المصنفات فقد قال أكثر الأصحاب لا يجوز حكايتها ونقلها بالمعنى ، ولا تغيير شيء منها على ما هو المتعارف وهو أحوط

الحديث الثالث ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام فتعمد ذلك : بالتأني وفي بعض النسخ بحذف إحداهما للتخفيف والتعمد القصد يقال تعمدت الشيء أي قصدته ، يعني أتعمد ترك حفظ الألفاظ وعدم المبالاة بضبطها ، أو أنت نسي يقع ذلك منك بغير تقصير ، أو المعنى أفتقصد و تريد أن ترويه كيف ما يجيء زائداً على إفادة المعنى المقصود أو ناقصاً عنه قال : تريد المعاني أي أتريد رواية المعاني ونقلها بألفاظ غير مسموعة وعبارات مفيدة من غير زيادة ونقصان فيها ، ويمكن أن يقال : لما كان قول السائل يحتمل وجهين أحدهما عدم المجيء أصلاً ، والآخر عدمه بسهولة إستفهم عليه السلام وقال : أفتقصد عدم المجيء وتريده عمداً وتترك اللفظ المسموع لأجل الصعوبة فأجاب السائل بأن المراد الأمر الأول ، وما في بعض النسخ من قوله : فتعمد بالتاء الواحدة قيل : يجوز أن يكون من المجرد يقال : عمدت الشيء فاعتمد ، أي أقمته بعماد معتمد عليه ، أو من باب الإفعال يقال أعمدته أي جعلت تحته عماداً ، والمعنى في الصورتين أقتضم إليه شيئاً من عندك تقيمه وتصلحه به ، كما يقام الشيء بعماد يعتمد عليه .

- ٤ - وعنه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الحديث أسمعك منك أرويه عن أيك أو أسمعك من أيك أرويه عنك ؟ قال : سواء ، إلا أنك ترويه عن أبي أحب إليّ ، وقال أبو عبد الله عليه السلام لجميل : ما سمعت منّي فاروه عن أبي .
- ٥ - وعنه ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله

الحديث الرابع ضعيف .

قوله : وقال أبو عبد الله عليه السلام أمّا كلام أبي بصير أو خبر آخر مرسل .

قوله عليه السلام : سواء : لأنّ علومهم كلّهم من معدن واحد ، بل كلّهم من نور واحد ، كما سيأتي ، وأمّا أحبيّة الرواية عن الأب فلعلّه للتقيّة ، فإن ذلك أبعد من الشهرة و الإنكار ، وإيضاً فإن قول الماضي أقرب إلى القبول من قول الشاهد عند الجماهير ، لأنّه أبعد من أن يحسد ويبغض ، وقيل فيه وجه آخر ، وهو أن علوّ السند وقرب الإسناد من الرسول صلى الله عليه وآله ممّاله رجحان عند الناس في قبول الرواية ، خصوصاً فيما يختلف فيه الأحكام ، وفيه وجه آخر وهو أن من الوافيّة من توقّف على الأب فلا يكون قول الابن حجّة عليه فيما يناقض رأيه ، بخلاف العكس إذ القائل بامامة الابن قائل بامامة الأب من دون العكس كلياً ، ووجه رابع أيضاً وهو التحرّز عن إيهام الكذب فيما إذا سمع من الأب من سماعه بخصوصه من الابن ، وذلك لأنّ كلّ مقول لأبي عبد الله عليه السلام مقول لآبيه لفظاً ، فهو مسموع من آبيه ولو بالواسطة بخلاف العكس ، لأنّه يجوز عدم تلفّظه ببعض ما سمعه من آبيه بعد ، وإن كان موافقاً لعلمه وإعتقاده ، قيل : ويحتمل تعلّقه بالآخيرة فقط ، أي رواية المسموع من أبي عنه أحبّ إليّ من روايته عنّي للوجوه المذكورة لاسيّما الرابع ، وقوله : ترويه مبتدأ بتقدير أن كقولك : تسمع بالمعدي خير من أن تراه .

الحديث الخامس صحيح ، ويدلّ على جواز تحمّل الحديث بالإجازة وحمل الاصحاب قراءة الاحاديث الثلاثة على الاستحباب ، والاحوط العمل به ، ولنذكر ما به من آة العقول - ١١ -

ابن سنان قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام يجيئني القوم فيستمعون مني حديثكم فأضجر

يتحقق تحمّل الرواية والطرق التي تجوزها رواية الاخبار .

اعلم ان لا أخذ الحديث طرقاً أعلاها سماع الراوى لفظ الشيخ ، وإسماع الراوى لفظه إياه بقراءة الحديث عليه ، ويدخل فيه سماعه مع قراءة غيره على الشيخ ، ويسمى الأول بالإملاء والثاني بالعرض ، وقد يقيد الإملاء بما اذا كتب الراوى ما يسمع من شيخه ، وفي ترجيح أحدهما على الآخر و التسوية بينهما أوجه ، ومما يستدل به على ترجيح السماع من الشيخ على إسماعه هذا الخبر ، فلولا ترجيح قراءة الشيخ على قراءة الراوى لأمره بترك القراءة عند التضجر ، وقراءة الراوى مع سماعه إياه ، ولا خلاف في أنه يجوز للسامع أن يقول في الاول حدثنا وأنبأنا ، و سمعته يقول ، وقال لنا ، وذكر لنا ، هذا كان في الصدر الأول ثم شاع تخصيص أخبرنا بالقراءة على الشيخ ، وأنبأنا و نبأنا بالاجازة ، وفي الثاني مشهور جواز قول أخبرني وحدثني مقيدتين بالقراءة على الشيخ ، وما ينقل عن السيد من منعه مقيداً ايضاً بعيد ، واختلف في الإطلاق فجوزّه بعضهم ومنعه آخرون ، وفصل ثالث فجوزّا أخبرني ومنع حدثني ، واستند إلى أن الشايخ في استعمال أخبرني هو قراءته على الشيخ ، وفي استعمال حدثني هو سماعه عنه ، وفي كون الشايخ دليلاً على المنع من غير شايخ نظر .

ثم ان صيغة حدثني وشبهها فيما يكون الراوى متفرّداً في المجلس ، وحدثنا وأخبرنا فيما يكون مجتمعاً مع غيره ، فهذان قسمان من أقسامها ، وبعدهما الإجازة ، سواء كان معيناً لمعيّن كإجازة الكافي لشخص معيّن أو معيّنًا لغير معيّن كإجازته لكل أحد ، أو غير معيّن لمعيّن كأجزتك مسموعاتي أو غير معيّن كأجزت كل أحد مسموعاتي ، كما حكى عن بعض أصحابنا أنه أجاز على هذا الوجه ، وفي إجازة المعلوم نظر إلا مع عطفه على الموجود ، وأمّا غير المميّز كالأطفال الصغيرة فالمشهور الجواز ، وفي جواز إجازة المجاز وجهان للأصحاب ، والأصح الجواز وأفضل

ولا أقوى ، قال : فافقرأ عليهم من أوّله حديثاً ومن وسطه حديثاً ومن آخره حديثاً .

اقسامها ماكانت على وفق هذه الصحيحة بأن يقرأ عليه من أوّله حديثاً ومن وسطه حديثاً ومن آخره حديثاً ، ثمّ يجيزه ، بل الأولى الاقتصار عليه ، ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل والأوسط والآخر الحقيقي منها أو الأعمّ منه ومن الإضافي ، والثاني أظهر وإنكان رعاية الأوّل أحوط وأدلى ، وبعدها المناولة وهي مفرونة بالاجازة وغير مفرونة ، والأولى هي أن يناوله كتاباً ويقول هذا روايتي فاروه عني أو شبهه ، و الثانية أن يناوله إتياء ويقول هذا سماعي ويقتصر عليه ، وفي جواز الرواية بالثاني قولان ، و الاظهر الجواز لما سيأتي من خبر الحلال ، وهل يجوز إطلاق حديثنا و أخبرنا في الاجازة و المناولة ؟ قولان ، وأمّا مع التقييد بمثل قولنا إجازة ومناولة فالاصحّ جوازه واصطلح بعضهم على قولنا أنبأنا وبعدها المكاتبة وهي أن يكتب مسموعه لغايب بخطّه ويقرنه بالاجازة أو يعريه عنها ، والكلام فيه كالكلام في المناولة ، والظاهر عدم الفرق بين الكتابة التفصيليّة والاجماليّة كأن يكتب الشيخ مشيراً إلى مجموع محدود إشارة يأمن معها اللبس والاشتباه : هذا مسموعي ومرويتي فاروه عني . والحقّ أنّه مع العلم بالخطّ والمقصود بالقرائن لافرق يعتدّ به بينه وبين سائر الأقسام ككتابة النبي ﷺ إلى كسرى وفيصر مع أنّها كانت حجة عليهم ، و كتابة أئمتنا ﷺ الأحكام إلى أصحابهم في الأعصار المتطاولة ، والظاهر أنّه يكفي الظن الغالب ايضاً في ذلك وبعدها الإعلام وهو أن يعلم الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه ، وفي جواز الرواية به قولان ، والأظهر الجواز لما سيأتي في خبر الحلال وابن أبي خالد ، ويقرب منه الوصية وهي أن يوصي عند سفره أو موته بكتاب يرويه فلان بعد موته ، وقد جوز بعض السلف للموصي له روايته ويدلّ عليه خبر ابن أبي خالد والثامن : الوجدادة وهي أن يقف الانسان على أحاديث بخطّ راويها أو في كتابه المروى لمعاصراً كان أولاً ، فله أن يقول : وجدت أو قرأت بخطّ فلان أو في كتابه حديثنا فلان يسوق الاسناد والمتمن ، وهذا هو الذي استمرّ عليه العمل حديثاً وقديماً ، وهو من باب

٦ - عنه ، بإسناده عن احمد بن عمر الحلال قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول : اروه عني يجوز لي ان ارويه عنه ؟ قال : فقال : إذا علمت ان الكتاب له فاروه عنه .

٧ - علي بن إبراهيم ، عن ابيه ؛ وعن احمد بن محمد بن خالد ، عن النوفلي ، عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : اذا حدثتكم بحديث فأسندوه الى الذي حدثتكم فان كان حقاً فلكم وان كان كذباً فعليه .

٨ - علي بن محمد بن عبد الله ، عن احمد بن محمد ، عن ابي ايوب المدني ، عن ابن

المنقطع ، وفيه شوب إتصال ويجوز العمل به وروايته عند كثير من المحققين عند حصول الثقة بأنه خط المذکور أو روايته وإلا قال بلغني عنه أو وجدت في كتاب أخبرني فلان أنه خط فلان أو روايته ، أو أظن أنه خطه أو روايته لوجود آثار روايته له بالبلاغ ونحوه ، يدل على جواز العمل بها خبر ابن أبي خالد ، وربما يلحق بهذا القسم ما إذا وجد كتاباً بتصحيح الشيخ وضبطه ، والأظهر جواز العمل بالكتب المشهورة المعروفة التي يعلم اتساعها الى مؤلفيها ، كالكتب الأربعة ، وسائر الكتب المشهورة ، وإن كان الاحوط تصحيح الاجازة والاسناد في جميعها .

الحديث السادس مرسل .

قوله عليه السلام فاروه عنه : اى إعطاء الكتاب لمن يعلم أنه من مروياته كاف في الرواية أو المراد أن العلم بأن الكتاب له ومن مروياته كاف للرواية عنه ، سواء أعطى الكتاب أم لا .

الحديث السابع ضعيف على المشهور و يدل على مطلوبة ترك الإرسال بل لزومه .

وقوله عليه السلام إذا حدثتكم : يحتمل ان يكون على بناء المعلوم أو المجهول ، ولا يبعد تعميم الحديث بحيث يشمل أخبار الناس ايضاً .

الحديث الثامن مجهول .

أبي عمير ، عن حسين الأحمسي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : القلب يتشكل على الكتابة .
 ٩ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن عاصم
 ابن حميد عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اكتبوا فانكم لانحفظون
 حتى تكتبوا .

١٠ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن عليّ بن فضال
 عن ابن بكير ، عن عبيد بن زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : احتفظوا بكتبكم فانكم
 سوف تحتاجون إليها .

١١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، عن بعض أصحابه ، عن أبي
 سعيد الخيري ، عن المفضل بن عمر ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : اكتب وبث علمك
 في إخوانك ، فان مت فأورث كتبك بنيك ، فانّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه
 إلّا بكتبهم .

قوله عليه السلام يتشكل على الكتابة : الإتيان بالاعتماد ، أي إذا كتبتم ما سمعتم
 إطمأنت نفوسكم لتمكنكم من الرجوع الى الكتاب إذا نسيتم ، وفيه حث على كتابة
 الحديث ، ويحتمل أن يكون المراد الترغيب على الحفظ بدون الكتابة ، فان مع
 الكتابة يتشكل القلب عليه ، ولا يسعى في حفظ الحديث والاول أظهر .

الحديث التاسع ضعيف على المشهور ويؤيد المعنى الاول للخبر السابق .

الحديث العاشر موثق كالصحيح .

قوله عليه السلام فانكم سوف تحتاجون إليها : أي في زمان غيبة الامام أو الأئمّة منه
 ومن زمان بعض الأئمّة المستورين عن أكثر شيعتهم لخوف المخالفين .

الحديث الحادي عشر ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام فأورث كتبك : أي اجعلها بحيث يصل إليهم بعدك ، ويبقى في أيديهم
 أو علمهم علمها وحملهم روايتها ، والهرج : الفتنه والاختلاف ، وهو زمان الغيبة فانّه
 يكثر فيه الفتنه ، واختلاط الحق بالباطل ، ويدل على جواز الرجوع الى الكتب في
 ذلك الزمان .

١٢ - وبهذا الإسناد ، عن محمد بن علي رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إياكم والكذب المفترع ، قيل له : وما الكذب المفترع ؟ قال : أن يحدثك الرجل بالحدث فتتركه وترويه عن الذي حدثك عنه .

الحديث الثاني عشر مرفوع أضعيف إذا ظاهر أن محمد بن علي هو أبو سميعة .
قوله عليه السلام : إياكم والكذب المفترع : قيل أي الكذب الحاجز بين الرجل وبين قبول روايته من فرع فلان بين الشيئين إذا حجز بينهما ، أو هو من فرع الشيء إرتفع وعلا ، وفرعت الجبل أي صعدته لأنه يريد أن يرفع حديثه باسقاط الوساطة ، أو المراد به الكذب الذي يزيل عن الراوي ما يوجب قبول روايته ، والعمل بها أي العدالة من افترعت البكر افترضتها وأزلت بكارتها أو الكذب الذي أزيل بكارته يعني وقع مثله من السابقين من الرواة ، أو الكذب المبتدأ أي المستحدث ، وفيه إيماء إلى أنه لم يقع مثله من السابقين أو المتعلق بذكر أحد ابتداء ، من قولهم بئس ما افترعت به أي ابتدأت به ، والمفترع على الأخيرين اسم مفعول وعلى الثلاثة الأول اسم فاعل ، وقيل : المراد أنه كذب هو فرع لكذب رجل آخر ، فإن أسنده إليه فأنكان كاذباً ايضاً فلست بكاذب بخلاف ما إذا أسقطته فإنه إن كان كاذباً فأنت ايضاً كاذب ، وقيل الاقتراع بمعنى التفريع ، فإنه فرع قوله على صدق الراوي ، فإن قال في نفسه إذا رواء الفرع عن الأصل فقد قاله الأصل ، فيجوز لي أن أسنده الى الأصل ، فأسنده إليه فأنما كان كاذباً لأنه غير جازم بصدوره عن الأصل ، ولعل الفرع قد كذب عليه أو سهى في نسبته إليه ، ولا بد له من تجويز ذلك ، فلا يحصل له الجزم به فهو كاذب في قوله ، وإن قدرنا أن الأصل قد قاله كما أن المنافقين كانوا كاذبين في شهادتهم بالرسالة لأنهم كانوا غير جازمين به ، وإنما كان كاذباً مفترعاً لأنه فرع على كذب مقدر ، ولعله لم يكن كاذباً فهو ليس بكذب صريح بل هو كذب مفترع ، كما أنه صدق مفترع ، و منهم من صحف وقرء بالقاف من الاقتراع بمعنى الاختيار .

- ١٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن جميل بن درّاج قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أعرّبوا حديثنا فإنّ قوم فصحاء .
- ١٤ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد ، عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا : سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل .
- ١٥ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك إنّ مشايخنا رَوّوا عن أبي جعفر

الحديث الثالث عشر صحيح .

قوله عليه السلام أعرّبوا حديثنا : الإعراب الإبانة والإفصاح ، والمراد إظهار الحروف وإبانة حيث لا تشبه بمقارباتها ، وإظهار حرركاتها وسكناتها ، بحيث لا يوجب اشتباهاً ويحتمل أن يراد به إعرابه عند الكتابة بأن يكتب الحروف بحيث لا يشبه بعضها ببعض ، أو يجعل عليها ما يسمّى اليوم عند الناس إعراباً ، كما كان دأب القدماء و رعاية الجمع أحوط .

الحديث الرابع عشر ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام حديث أبي : أى أحاديث كل واحد منهم مأخوذة من الآخر ومنتهية الى قول الله تعالى ، ولا مدخل فيها للآراء والظنون فلا اختلاف في أحاديثهم ، ويؤمى إلى أنّه يجوز رواية ماسمع من أحدهم عن غيره عليه السلام كما مرّ .

الحديث الخامس عشر مجهول .

وقال في الإيضاح : شينولة بفتح الشين المعجمة وإسكان الياء المنقطة تحتها نقطتين وضمّ النون وإسكان الواو ، والخبر يدلّ على صحة تحمّل الحديث الوجداء ، وعلى جواز الرجوع إلى الكتب المؤلفة قبله عليه السلام والاعتماد عليها والعمل

وأبي عبد الله عليه السلام وكانت التقيّة شديدة فكتبوا كتبهم ولم ترو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال : حدّثوا بها فإنّها حقّ.

﴿ باب التقليد ﴾

١ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عبد الله بن يحيى ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : « اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله » ^(١) فقال : أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولودعوهم

بما فيها ، ويضمّ تلك الاخبار بعضها إلى بعض ، ورعاية ما كان الشايخ بين السلف من الرجوع إليها والعمل بها ، وروايتها واجازتها والاحتجاج بها ، يحصل العلم بجواز العمل بأخبار الآحاد التي تضمّنتها الكتب المعتمدة ، و سنحقق ذلك في المجلد الآخر من كتاب بحار الأنوار إنشاء الله تعالى .

باب التقليد

الحديث الاول حسن ، اذا ظاهر أنّ عبد الله هو الكاهلي ، أو مجهول لاحتمال غيره ، وسيأتى هذا الحديث في باب الشرك راوياً عن العدّة عن البرقي عن أبيه عن عبد الله بن يحيى وهو أصوب .

قوله عليه السلام قلت له اتّخذوا أحبارهم : اى سألته عن معنى هذه الآية ، والأخبار العلماء والرهبان العبّاد ، ومعنى الحديث أنّ من أطاع أحداً فيما يأمره به مع أنّه خلاف ما أمر الله تعالى به وعلمه بذلك أو قصره في التفحص فقد اتّخذ رتّباً وعبد من حيث لا يشعر ، كما قال الله تعالى : « ان لا تعبدوا الشيطان » ^(٢) وذلك لأنّ العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وأما من قلّد عالماً أفتى بمحكمات القرآن والحديث ، و كان عدلاً موثقاً به ، فانه ليس بتقليد له ، بل تقليد لمن فرض الله طاعته ، وحكم بحكم الله عز وجل ، وانما انكر الله تعالى تقليد هؤلاء أحبارهم ورهبانهم وضمّهم على ذلك ،

ما أجابوهم ، ولكن أحلّوا لهم حراماً ، وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون .

٢ - عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ ، عن محمّد ابن عبيدة قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : يا محمّد أنتم أشدّ تقليداً أم المرجئة ؟ قال : قلت قلّدتنا وقلّدوا ، فقال : لم أسألك عن هذا ، فلم يكن عندي جواب أكثر من الجواب الأوّل فقال : أبو الحسن عليه السلام : إنّ المرجئة نصبت رجلاً لم تفرض طاعته وقلّدوه

لأنّهم إنّما قلّدوهم في الباطل بعد وضوح الحقّ و ظهور أمر النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلذا لم يكونوا معذورين في ذلك ، وقد يقال أحلّوا لهم حراماً ، ناظر إلى العلماء والأخبار ، وقوله : وحرّموا عليهم حلالاً ، ناظر إلى الرهبان .

الحديث الثاني ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام أم المرجئة : قد يطلق المرجئة في مقابل الشيعة من الارزاء بمعنى التأخير لتأخيرهم عليّاً عليه السلام عن درجته ، وكأنّه المراد هنا ، وقد يطلق في مقابلة الوعيدية إمّا من الارزاء بمعنى التأخير لأنّهم يؤخّرون العمل عن النية والقصد وإمّا بمعنى إعطاء الرجاء لأنّهم يعتقدون أنّه لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وقيل : كان الشايع في سابق الزمان التعبير بالقدرية والمرجئة عمّن يضاهاى المعترّعه في هذه الاعصار بالمعتزلة والاشاعرة في أصول الاعتقادات ، كما ورد في رواية ابن عباس أنّه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله ان أبرء من خمسة : من الناكثين وهم أصحاب الجمل ، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام ، ومن الخوارج و هم أهل النهروان ، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم ، فقالوا لا قدر ومن المرجئة الذين ضاهوا اليهودي في دينهم فقالوا : الله أعلم .

قوله عليه السلام لم تفرض طاعته : على بناء المجهول اى لم يفرض الله تعالى طاعته ، ومع ذلك لا يخالفونهم في شيء أو على بناء المعلوم اى لم يفرضوا على أنفسهم طاعتهم ، إمّا لأنّهم على الباطل فلم يجب عندهم متابعتهم ، أو لأنّهم يجوّزون الاجتهاد على

وأنتم نصبتم رجالاً وفرضتم طاعته ثم لم تقلّدوه فهم أشدّ منكم تقليداً .

٣ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي ابن عبد الله ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله جلّ وعزّ : « اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » فقال : والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم .

﴿ باب البدع والرأى والمقائيس ﴾

١ - الحسين بن محمد الأشعريّ ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء وعدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال جميعاً ، عن عاصم بن حميد ، عن محمد ابن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال : أيّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، يتولّى فيها رجال رجالاً ، فلو أنّ الباطل خلع لم يخف على ذي حجى ، ولو أنّ الحق

خلافهم ، والحاصل أنّ رسوخهم في التقليد والمتابعة أشدّ منكم ، وهذه شكايه منه عليه السلام عن بعض الشيعة .

الحديث الثالث : مجهول كالصحيح وقد مرّ الكلام فيه .

باب البدع والرأى والمقائيس

الحديث الاول موثق كالصحيح .

قوله عليه السلام إنّما بدء وقوع الفتن : و البدء الابتداء أو المبتدأ ، والفتنة : الامتحان والاختبار ، ثمّ كثر استعماله لما يختبر به من المكروه ثمّ كثر استعماله بمعنى الضلال والكفر والقتال ، والاهواء جمع الهوا وهو بالقصر الحب المفرط في الخير و الشرّ وإرادة النفس ، والحاصل أنّ أوّل الفتن أو منشأها وعلتها متابعة المشتهايات النفسانية ، وابتداع الأحكام في الدين بسببها ، وقوله عليه السلام يخالف فيها كتاب الله تعالى ، توضيح وبيان لقوله : تبتدع ، ويقال : تولّاه أي اتّخذته وليّاً أي حبيباً أو ناصراً

خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان فيجئان معاً فهناك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

٢ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور العمي يرفعه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله .

٣ - وبهذا الإسناد ، عن محمد بن جمهور رفعه قال : من أتى ذا بدعة فعظمه فإنما يسعى في هدم الإسلام .

٤ - وبهذا الإسناد عن محمد بن جمهور رفعه قال : قال رسول الله ﷺ : أُمي الله لصاحب البدعة بالتوبة ، قيل : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : إنه قد أشرب قلبه حبها .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن

أوأولى بالتصرف ، ويمكن أن يكون المراد بالتولي المتابعة ، والحجى بكسر المهملة ثم الجيم المفتوحة : العقل ، والضعف : القطعة من الحشيش المختلط طبه باليابس ، و قيل : ملاء الكف من الشجر والحشيش أو الشماريخ .

قوله ﷺ : فهناك : أى عند إمتزاج الحق بالباطل واشتباههما ، والإستحواذ الغلبة .

الحديث الثاني ضعيف .

قوله ﷺ : فليظهر : أى مع التمكن وعدم الخوف على نفسه ، أو على المؤمنين .

الحديث الثالث ضعيف .

الحديث الرابع ضعيف .

قوله ﷺ : أشرب ، على بناء المجهول أى خالط قلبه حبها ، كما قال الله تعالى : « وأشربوا في قلوبهم العجل » ^(١) ولعل المعنى أنه لا يوفق للتوبة الكاملة أو غالباً .

الحديث الخامس : صحيح .

معاوية بن وهب قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان ولياً من اهل بيتي موكلابه يذب عنه ، ينطق بالهام من الله ويعلم الحق ويفوره ، ويرد كيد الكائدين ، يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الأبصار وتوكلوا على الله .

٦ - محمد بن يحيى ، عن بعض اصحابه ؛ وعلي بن ابراهيم [عن ابيه] عن هارون ابن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن ابي عبد الله عليه السلام ؛ وعلي بن ابراهيم ، عن ابن محبوب رفعه ، عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين : رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ،

قوله عليه السلام يكاد : على بناء المجهول أى بها يمكر أو يحارب أو يراد بسوء و يمكن أن يقرأ على بناء المعلوم أى يكاد أن يذهب بها الايمان ، والاول أصوب ، والولى هنا الناصر أو الاولى بالأمر .

قوله عليه السلام يعبر عن الضعفاء : أى يتكلم من قبل الضعفاء العاجزين عن إظهار الحق وبيان حقيقته بالأدلة ودفع الشبهة عن الدين ، ويحتمل أن يكون يعبر عن الضعفاء ابتداء كلام الصادق عليه السلام أى عبر النبي ﷺ بالولى عن الائمة الذين استضعفوا في الارض والاول أظهر ، والظاهر ان قوله : فاعتبروا ، من كلام الصادق عليه السلام .

الحديث السادس : سنده الاول ضعيف والثاني مرفوع ، لكنه مذكور في نهج البلاغة وارشاد المفيد والاحتجاج وغيرها بأدنى اختلاف .

قوله عليه السلام : فهو حائر بالمهملتين ، وفي بعض النسخ باعجام الاول فقط ، وفي بعضها باعجامهما والمعانى متقاربة ، وقصد السبيل : استقامته ، أى مائل ومتجاوز أو حيران عن السبيل المستقيم المستوى ، وقوله : مشغوف ، في بعض النسخ بالغين المعجمة وفي بعضها بالمهملة ، وبهما قرء قوله تعالى « قد شغفها حباً » ^(١) وعلى الاول معناه دخل حب كلام البدعة شغاف قلبه أى حجاب به ، وقيل : سويداءه ، وعلى الثانى غلبه حبه وأحرقه ،

قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالٌّ عن هدي من كان قبله ، مضلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبعد موته ، حمالٌ خطايا غيره ، رهنٌ بخطيئته .
ورجل قمش جهلاً في جهال الناس ، عان بأغباش الفتنة ، قد سمّاه اشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً .

فانّ الشغب بالمهملة شدة الحبّ واحراقه القلب ، واللهجّ بالشّء محرّكة : الولوع فيه والحرص عليه ، أى هو حريص على الصوم والصلوة وبذلك يفتتن به الناس وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هدى من كان قبله ، اما بفتح الهاء وسكون الدال أو بضمّ الهاء وفتح الدال ، والاوّل بمعنى السيرة والطريقة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ رهن : وفي بعض النسخ رهين ، قال المطرزي هو رهن بكذا ورهين به اى مأخوذ به ، والقمش جمع الشّء من ههنا وههنا ، وكذا التقميش ، وذلك الشّء القماش ، والمراد بالجهل ما أخذ من غير المأخذ الشرعى ، بل بالالوهام والاستحسانات والقياسات أو روايات غير ثابتة عن الحجة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : عان بأغباش الفتنة : كذا في أكثر النسخ بالعين المهملة والنون من قولهم عنى فيهم اسيراً اى أقام فيهم على إسادة واحتبس ، وعناه غير تحبسه ، والعانى الاسير او من عنى بالكسر بمعنى تعب ، أو من عنى به فهو عان اى اهتمّ به واشتغل ، وفي بعض النسخ بالعين المعجمة من غنى بالمكان كرضى اى أقام به ، أو من غنى بالكسر ايضاً بمعنى عاش ، وفي أكثر نسخ النهج والارشاد وغيرهما غارّ بالعين المعجمة والراء المهملة المشدّدة ، وفي بعض نسخ النهج بالعين المهملة والدال المهملة من العدو بمعنى السعى او من العدوان ، والغشب محرّكة ظلمة آخر الليل ، والاضافة من قبيل لجين الماء أولاميّة ، والمراد بأشباه الناس : الجهال والعوام ، لخلوّهم عن معنى الانسانيّة وحققيتها .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يغن فيه : قال في النهاية في حديث علىّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ورجل سمّاه الناس عالماً ولم يغن في العلم يوماً تاماً من قولك غنيت بالمكان أغنى اذا قمت به « انتهى » .
قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ سالماً : اى من النقص بأن يكون نعتاً لليوم كما في روايات المخالفين

بكر فاستكثر، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّأ لها حشواً من رأيه.

أو من الجهل بأن يكون حالاً عن ضمير الفاعل.

قوله بكر بكر: أى خرج في طلب العلم بكرة، كناية عن شدّة طلبه واهتمامه في كلّ يوم، أو في أوّل العمر وابتداء الطلب، وقال الفاضل التستري (ره): كأن المراد أنّه بكر في العبادات فاستكثر منها، مع أن ما قلّ منه خير ممّا كثر «انتهى» و«ما» في قوله ممّا قلّ، موصولة، وهى مع صلتها صفة لمحدوف وتقديره: فاستكثر من جمع شيء قليله خير من كثيره، وكون قليله خيراً بالنسبة إلى كثيره لافي نفسه، ويحتمل أن تكون «ما» مصدرية أى قلّته خير من كثرته، وقيل قلّ مبتداء بتقديره، وخير خبره كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، وقيل: الجملة معترضة بين الكلام وفي النهج فاستكثر من جمع ما قلّ، ويروى بالتنوين بأن يكون المصدر بمعنى المفعول، فلا يحتاج إلى تقدير وبدونه يحتاج كما هنا، والمراد بذلك الشيء الشبهات المضلّة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة، أو الأعمال المبتدعة، أو زهرات الدنيا، والأول أظهر بقرينة قوله: حتّى إذا ارتوى من آجن، والآجن الماء المتغيّر استعير للآراء الباطلة والاهواء الفاسدة وقيل: في الكلام لفّ ونشر بالكور في طلب الدنيا وما قبله للعلم، والارتواء متعلق بما قبله، والاكتناز بالكور، ولا يخفى بعده.

قوله واكتنز واكتنز: في بعض النسخ فأكثر، وفي الإرشاد وغيره واستكثر، وهما ظاهران وأمّا الاكتناز فهو بمعنى الاجتماع والامتلاء وهو لازم، فالاسناد إمّا مجازى أو في الكلام تقدير أى إكتنز له العلوم الباطلة، وقال الجوهري: هذا أمر لا طائل فيه إذا لم يكن فيه غناء ومزيّة، والمعضلات على صيغة الفاعل: المشكلات.

قوله حشواً حشواً: أى كثيراً بلا فائدة.

ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أكره ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكي لا يقال له: لا يعلم، ثم جسر ففضي، فهو مفتاح عشوات، رگاب شبهات، خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثم قطع، أي جزم، وفي النهج « به » وفي غيره « عليه » .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت : اللبس بفتح اللام واصله اختلاط الظلام أو بالضم بمعنى الإلباس كذا قيل، وقال ابن ميثم : وجه هذا التمثيل أن الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حل قضية مبهمة تكثر فتلبس على ذهنه وجه الحق منها، فلا يهتدى له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوها تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيما يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل لا يقدر على التخلص من تلك الشبهات .

اقول : ويحتمل أيضاً أن يكون المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها وظهور بطلانها، لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدر على التخلص منها لجهلهم وضعف يقينهم والأول أنسب بما بعده .

قوله لا يحسب العلم : بكسر السين من الحساب أي يظن أن العلم منحصر فيما يعلم، أو بضم السين من الحساب أي لا يعد ما ينكر علماً .

قوله : لا يرى أن وراء ما بلغ مذهباً : أي أنه لو فورجهله يظن أنه بلغ غاية العلم فليس بعد ما بلغ إليه فكره لأحد مذهب، وموضع تفكر .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو مفتاح عشوات : أي يفتح على الناس ظلمات الشبهات والجهالات، ويركب الشبهات زعماً منه أنه توصله إلى الحق .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ خباط جهالات . . . الخبط : المشى على غير استواء، أي خباط في الجهالات أو بسببها .

فيسلم ولا يعض في العلم بضرر قاطع فيغنم ، يذري الروايات ذروالريح الهشيم تبكي
منه المواريث ، وتصرخ منه الدماء ، يستحل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرقم بقضائه
الفرج الحلال ، لاملئ باصدار ما عليه ورد ، ولا هوأهل لما منه فرط ، من ادعائه علم
الحق .

قوله عليه السلام بضرر قاطع : كناية عن عدم إتقانه للقوانين الشرعية وإحاطته بها
يقال لم يعض فلان على الأمر الفلاني بضرر : إذا لم يحكمه .

قوله عليه السلام يذري الروايات ذروالريح الهشيم : قال الفيروز آبادي : ذرت الريح
الشيء ذرواً وأذرته وذرتة أطارته وأذهبتة ، وقال : الهشيم : نبت يابس متكسر ، أو
يابس كل كلاء وكل شجر ، ووجه التشبيه صدور فعل بلا رويّة من غير أن يعود إلى
الفاعل نفع وفائدة ، فإن هذا الرجل المتصفح للروايات ليس له بصيرة بها ولا شعور
بوجه العمل بها ، بل هو يمر على رواية بعد أخرى ، ويمشي عليها من غير فائدة كما
أنّ الريح التي تذري الهشيم لا شعور لها بفعلها ، ولا يعود إليها من ذلك نفع ،
وإنما أتى الذر ومكان الإذراء لاتحاد معنيهما ، وفي بعض الروايات يذر الرواية
قال الجزري : يقال ذرته الريح وأذرته تذرؤه وتذريه إذا أطارته ومنه حديث علي عليه السلام
يذروا الرواية ذرو الريح الهشيم ، أي يسرد الرواية كما تنسف الريح هشيم النبت ، وأما
بكاء المواريث وصراخ الدماء فالظاهر أنّهما على الاستعارة ولطفهما ظاهر ، فيحتمل
حذف المضاف أي أهل المواريث وأهل الدماء .

قوله عليه السلام لاملئ : الملىء بالهمز : الثقة الغنى ، والإصدار الارجاع ، أي ليس
له من العلم والثقة قدر ما يمكن أن يصدر عنه انحلال ما ورد عليه من الاشكالات والشبهات
قال الجزري : الملىء بالهمزة الثقة الغنى ، وقد ملؤء فهو ملئء بين الملاءة بالمد ، وقد
أولع الناس بترك الهمزة وتشديد الياء ، ومنه حديث علي عليه السلام لاملئ والله بإصدار
ما عليه ورد .

قوله عليه السلام ولا هوأهل لما منه فرط : فرط - بالتخفيف - بمعنى سبق وتقدّم ، أي

٧ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن أبان ابن عثمان ، عن أبي شيبة الخراساني قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم تردهم من الحق إلا بعداً وإن دين الله لا يصاب بالمقائيس .

ليس هو أهل لما ادّعاء من علم الحق الذي من أجله سبق الناس ، وتقدّم عليهم بالرياسة والحكومة وربما يقرء بالتشديد أي ليس هو من أهل العلم كما يدّعيه لما فرط فيه وقصر عنه ، وفي الإرشاد : ولا يندم على ما منه فرط ، وليست هذه الفقرة في النهج أصلاً ، وقال ابن أبي الحديد : في كتاب ابن قتيبة ولأهل لما فرط به ، أي ليس بمستحق للمدح الذي مدح به ، وقال : فان قيل : تبيين الفرق بين الرجلين الذين أحدهما و كُله الله إلى نفسه والآخر رجل قمش جهلاً؟ قيل أمّا الرجل الأول فهو الضالّ في أصول العقائد كالمشبه والمجبّر ونحوهما ، ألا تراهم كيف قال : مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، وهذا يشعر بما قلناه من أن مراده به التكلم في أصول الدين وهو ضالّ عن الحق ، ولهذا قال : انه ضالّ عن هدى من كان قبله ، وأما الرجل الثاني فهو المتفقه في فروع الشرعيات وليس بأهل لذلك ، ألا تراهم كيف يقول : جلس بين الناس قاضياً « انتهى » أقول : و يمكن الفرق بأن يكون المراد بالأوّل من نصب نفسه لمناصب الإفادة والإرشاد ، وبالثاني من تعرّض للقضاء والحكم بين الناس ، ولعله أظهر ، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بالأوّل العباد المبتدعين في العمل والعبادة كالمتصوفة والمرتاضين بالرياضات الغير المشروعة ، وبالثاني علماء المخالفين ومن يحذو حذوهم حيث يفتون الناس بالقياسات الفاسدة والآراء الواهية ، وفي الإرشاد وأنّ أبغض الخلق عند الله رجل وكُله إلى نفسه ، إلى قوله رهين بخطيئته قد قمش جهلاً فالأكل صفة لصنف واحد .

الحديث السابع : ضعيف على المشهور ويشمل جميع أنواع القياس حتى منصوص

العلة والقياس بطريق الأولى ، وأكثر الأصحاب أخرجهما ، والكلام فيه موكول إلى آخر مجلدات كتابنا الكبير انشاء الله القدير .

٨ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان رفعه ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا : كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار .

٩ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : جعلت فداك فقهننا في الدين وأغننا الله بك عن الناس حتى أن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما من الله علينا بكم قريباً ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فتأخذ به ؟ فقال

الحديث الثامن : مرفوع .

قوله عليه السلام كل بدعة ضلالة : يدل على أن قسمة بعض أصحابنا البدعة إلى اقسام خمسة تبعاً للعامة باطل ، فاتها انما تطلق في الشرع على قول او فعل اورأى ، قرر في الدين ، ولم يرد فيه من الشارع شيء لخصوصاً ولاعموماً ، ومثل هذا لا يكون إلا حراماً او إفتراءً على الله ورسوله .

الحديث التاسع : حسن .

قوله عليه السلام فقهننا : على بناء المعلوم من فقه ككرم اى صار فقيهاً ، او على بناء المجهول من باب التفعيل وهو اظهر .

قوله ما يسئل . . . ما موصولة وهى مع صلتها مبتداء والعائد إليه محذوف ويحضره خبره ، والجملة مستأنفة وقيل : ما موصولة والجملة صفة للمجلس ، وقيل : الجملة حال من فاعل تكون ، وقيل : «ما» زائدة ويسئل حال من المجلس ، ويحضره حال من صاحبه ، وقيل : «ما» نافية اى لا حاجة له إلى سؤال ، فقوله : يحضره إستيناف بيانى والضميران لرجل وفي بعض نسخ المحاسن : إلا وتحضره المسئلة ، فكلمة ما نافية ، ويستقيم الكلام بلا تكلف ، وكلمة فى في قوله فيما من الله ظرفية اوسببية .

قوله عليه السلام الى أحسن ما يحضرنا : اى ما يكون اقوى سنداً وأبعد من التقيّة وأصرح في المطلوب ، وما قيل : من أنه إشارة الى القياس بطريق أولى فلا يخفى بعده

هيهات هيهات ، في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم ، قال : ثم قال : لعن الله أبا حنيفة كان يقول : قال علي ، قلت .

قال محمد بن حكيم لهشام بن الحكم : والله ما أردت إلا أن يرخص لى في القياس .

١٠ - محمد بن أبي عبد الله رفعه ، عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام : بما أوحى الله ؟ فقال : يا يونس لا تكون مبتدعاً ، من نظر

وأوفق الأشياء أى أوفق الاجوبة عن تلك المسئلة ، لما جائنا عنكم من أحسن أحاديثكم قياساً عليه أو أوفق الأحاديث للعمومات المروية عنكم ، هيهات : أى بعد عن الطريق المستقيم وإصابة الحق في ذلك ، أى في الأخذ بالقياس الذى تستأذنى فيه .

قوله عليه السلام قال عليّ وقلت : أى وقلت خلاف قوله ، أراد أنه رأى في المسئلة رأياً وأنا رأيت فيها رأياً بخلافه وقيل : أراد أنه قال على قياساً وقلت أنا أيضاً بالقياس وإن وافقه أو يخالف ما روى عن علي عليه السلام لأن من مذهبه ترجيح القياس على الخبر الواحد ، وقيل : كان يقيس حكماً على حكم روى عن أمير المؤمنين عليه السلام والأول أظهر ، وليس ببديع منه ، قال الزمخشري في ربيع الأبرار : قال يوسف بن أسباط رد أبو حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وآله أربعاً حديث وأكثر ، قيل : مثل ما اذا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : للفرس سهمان وللرجل سهم ، قال أبو حنيفة : لا أجعل سهم البهيمة أكثر من سهم المؤمن ، وأشعر رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه البدن وقال أبو حنيفة : الإيشاع مثله ، وقال : البيعان بالخيار ما لم يفترقا ، وقال أبو حنيفة : اذا وجب البيع فلا خيار ، وكان عليه السلام يقرع بين نسائه اذا أراد سفراً وأقرع اصحابه ، وقال أبو حنيفة : القرعة قمار .

الحديث العاشر : مرفوع .

قوله عليه السلام بما أوحى الله : أى بأى طريق أعبد الله بالوحدانية ، وقيل : أى بما استدلل على التوحيد كأنه يريد الدلائل الكلامية فنهاء عن غير السمع ، وقوله : ومن

برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيّه ﷺ ضلّ ، ومن ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر .

١١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن مثنى الحنّاط ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ، ولا سنة فننظر فيها ؟ فقال : لا ، أما إنك إن أصبت لم توجر ، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل .

ترك كتاب الله يمكن ان يكون تعليلاً وتبييناً للجملة السابقة ، فإن من ترك إتباع أهل بيت النبي ﷺ فقد ترك ماورد بالكتاب والسنة في وجوب متابعتهم ، وقيل : قوله : من نظر برأيه هلك ، اى من نظر في العلوم الدينية برأيه وبدعته وجعل الرأى والقياس مأخذه فقد ضلّ لأن ذلك مسبب عن ترك أهل البيت ﷺ وإنكار إمامتهم وعدم أخذ المعارف والأحكام عنهم ، فاحتاج الى القياس والرأى ، فهو تارك لأهل البيت عليهم السلام ، ومن تركهم ﷺ ولم يأخذ العلوم عنهم أولاً أو بواسطة ضلّ ، لعدم تمكنه من الوصول إلى الحق فيها ، فينتج من نظر برأيه ضلّ ، فهذا قياس على هيئة الشكل الاول وصغراه مطوى لظهوره وملخص الدليل انهم من نظر برأيه فقد ترك أهل بيت نبيّه ، ومن تركهم ضلّ فمن نظر برأيه ضلّ ، وقوله عليه السلام : من ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر ، قياس آخر وصغراه مطوى لظهوره وهوانه من ترك أهل بيت نبيّه ﷺ فقد ترك كتاب الله وقول نبيّه ، لدالتهما على إمامتهم ووجوب طاعتهم وأخذ العلوم عنهم ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر ، فمن ترك أهل بيت نبيّه كفر ، ومن كلا القياسين يتلخص قياس ثالث ينتج : من نظر برأيه كفر .

الحديث الحادي عشر : حسن .

قوله عليه السلام : فإن أصبت لم توجر : ظاهره انه مع إصابة الحكم لا يكون آنماً وهو خلاف المشهور ، ويمكن ان يكون على سبيل التزويل ، وقال بعض الافاضل : يحتمل ان يكون المراد النظر بالقياس ، والمراد بقوله : ان أصبت لم توجر ، الاصابة في

١٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن عمر بن أبان الكلبى ، عن عبد الرحمن القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

١٣ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن سماعة بن مهران ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت لأصلحك الله إنا نجتمع فننذكر ما عندنا فلا يرد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسطر وذلك مما أنعم الله به علينا بكم ، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بغضنا إلى بعض وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه ؟ فقال : وما لكم وللقياس ؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس ، ثم قال : إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به ، وإن جاءكم ما لا تعلمون فها - وأهوى بيده إلى فيه - ثم قال : لعن الله أباحيفة كان يقول : قال علي وقلت أنا ، وقالت الصحابة وقلت ، ثم قال : أكنت تجلس إليه ؟ فقلت : لا ولكن هذا كلامه ؛ فقلت : أصلحك الله أتى رسول الله ﷺ الناس بما يكتفون به في عهده ؟ قال : نعم وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة ، فقلت : فضاع من ذلك شيء ؟ فقال : لا هو عند أهله .

اصل الحكم وعلمته ، و يحتمل ان يكون المراد النظر في الكتاب والسنة ، والاستنباط من العمومات لا بطريق القياس ، فربما يكون مصيباً في الحكم والاستنباط كليهما ، ولم يكن مأجوراً لتقصيره في تبسّع الأدلة ، ونحصيل الظن ، وعدم دليل آخر والمصنّف حملها على الاول فاوردها في هذا الباب « انتهى » وفيه ما لا يخفى .

الحديث الثاني عشر : مجهول .

الحديث الثالث عشر : موثق .

قوله عليه السلام فيها : الظاهر انه اشارة الى السكوت ، و«ها» حرف تنبيه ، وقيل : هو اسم فعل بمعنى خذ ، و يحتمل ان يكون فيها للمفرد ، و يحتمل ان يكون فيها للجمع وقوله : وأهوى على الاول كهوى على الثاني للحال بتقدير «قد» والباء في بيده للتعدي ، والمعنى اذا جائكم ما لا تعلمون فخذوا من افواهنا ، والاول اظهر .

١٤ - عنه ، عن محمد ، عن يونس ، عن أبان ، عن أبي شيبة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة ، إماماء رسول الله ﷺ وخطبوا على علي عليه السلام بيده إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً ، فيها علم الحلال والحرام إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً ، إن دين الله لا يصاب بالقياس .

١٥ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن السنة لاتفاس الأثرى أن امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها ، يا أبان إن السنة إذا قيس

الحديث الرابع عشر : مجهول .

قوله عليه السلام ضلّ علم ابن شبرمة : قيل : المراد بالعلم إما المأخوذ من مأخذه من المسائل ، وإما ما يظن ويراه بأى طريق كان سواء كان مأخوذاً من المأخذ الشرعية أو من الرأى والقياس والضلال أما بمعنى الخفاء والغيوبة حتى لا يرى ، أو بمعنى الضياع والهلاك والفساد ، أو مقابل الهدى ، فإن حمل العلم على الأول ناسبه الأول من معانى الضلال ، لأنه من قلته بالنسبة إلى ما في الجامعة من جميع المسائل ممّا لا يرى ولا يكون له قدر بالنسبة إليه وفي جنبه ، وإن حمل العلم على الثانى ويشمل جميع ظنونه وآرائه ناسبه أحد الأخيرين من معانى الضلال ، فأنه ضايع هالك عندما أتى به رسول الله ﷺ لمخالفته له ، وضلّ هذا العلم أى ظهر ضلاله وخروجه عن الطريقة المستقيمة عندما ثبت من رسول الله ﷺ وهو منهاج الهدى لمخالفته إياه .

الحديث الخامس عشر : مجهول كالصحيح .

قوله عليه السلام إن السنة لاتفاس : أى لاتعرف بالقياس لما فيها من ضمّ المختلفات في الصفات الظاهرة وتفريق المتشابهات في الأحكام الواضحة ، كما في قضاء صوم الحايض وعدم قضاء صلاتها مع أن مقتضى عقول أكثر الخلق إما اشتراكهما فيه أو إختصاص الصلاة به ، والحاصل أن ما يقع فيه الخطأ غالباً لا يصلح أن يكون مدركاً للأحكام الشرعية .

محق الدين .

١٦ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عثمان بن عيسى قال : سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القياس ؟ فقال : مالكم والقياس إن الله لا يسأل كيف أحلّ وكيف حرّم .

١٧ - علي بن إبراهيم ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة قال : حدثني جعفر ، عن أبيه عليه السلام أن علياً صلوات الله عليه قال : من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في إلتباس ، ومن دان الله بالرأى لم يزل دهره في إرتماس ، قال : وقال أبو جعفر عليه السلام : من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم .

قوله : محق الدين : على بناء المجهول أى محى ، وأبطل الدين شيئاً فشيئاً بإدخال ما ليس فيه وإخراج ما يكون منه عنه حتى يؤدّى إكثار ذلك إلى تركه بالكلية .
الحديث السادس عشر موثق .

قوله عليه السلام لا يسأل : أى لم يبين لنا علل كل الأحكام وليس لنا أن نسئله عنها حتى يتبين لنا كيف يتأتى حقيقة القياس مع خفاء العلة ، وقيل : أى لا يأتي في التحليل والتحرير بما يوافق مدارك عامة العباد من المصالح والحكم ، حتى لو سئل عنه أجاب بما هو مرغوب مداركهم ومستحسن طباعهم بل في أحكامه حكم ومصالح لا يصل إليها أفهام أكثر الناس .

الحديث السابع عشر ضعيف .

قوله عليه السلام دهره : منصوب على الظرفية ورفعه بالاسناد المجازى بعيد ، والإرتماس الإغتماس في الباطل والدخول فيه ، بحيث يحيط به احاطة تامة .
قوله : برأيه ، أى بظنونه المأخوذة لامن الأدلة والمآخذ المنتهية الى الشارع بل من الاستحصانات العقلية والقياسات الفقهية .

قوله : فقد ضادّ الله : أى جعل نفسه شريكاً لله تعالى في وضع الشريعة لعباده .

١٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن علي بن يقطين ، عن الحسين بن ميثاق ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن إبليس قاس نفسه بآدم

الحديث الثامن عشر ضعيف .

قوله عليه السلام قاس نفسه ، يحتمل أن يكون المراد بالقياس هنا ما هو اعم من القياس الفقهي من الاستحسانات العقلية ، والآراء الواهية التي لم تؤخذ من الكتاب والسنة ، ويكون المراد أن طريق العقل ممّا يقع فيه الخطأ كثيراً فلا يجوز الاتكال عليه في أمور الدين ، بل يجب الرجوع في جميع ذلك الى أوصياء سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، وهذا هو الظاهر في أكثر أخبار هذا الباب فالمراد بالقياس هنا القياس اللغوي ، ويرجع قياس إبليس الى قياس منطقي مادته مغالطة ، لانه استدلال أولاً على خيريته بأنه من نار ومادة آدم من طين ، والنار خير من الطين ، فاستنتج من ذلك أن مادته خير من مادة آدم ، ثم جعل ذلك صغرى ، ورتب القياس هكذا ، مادته خير من مادة آدم ، وكل من كان مادته خيراً من مادة غيره يكون خيراً منه ، فاستنتج أنه خير من آدم ، ويرجع كلامه عليه السلام الى منع كبرى القياس الثاني ، بأنه لا يلزم من خيرية مادة احد من غيره كونه خيراً منه ، اذ لعله تكون صورة الغير في غاية الشرافة ، وبذلك يكون ذلك الغير أشرف ، كما أن آدم لشرافة نفسه الناطقة التي جعلها الله محل أنواره ومورد أسراره أشدّ نوراً وضياءً من النار ، اذ نور النار لا يظهر إلا المحسوسات ومع ذلك ينطفئ بالماء والهواء ، ويضمحل بضوء الكواكب ونور آدم نور به يظهر عليه أسرار الملك والملكوت ولا ينطفئ بهذه الاسباب والدواعي ، ويحتمل أن يكون المراد بنور آدم عقله الذي به نور الله نفسه ، وبه شرفه على غيره ، ويحتمل إرجاع كلامه الى إبطال كبرى القياس الأول بأن إبليس نظر الى النور الظاهر في النار ، وغفل عن النور الذي أودعه الله في طين آدم لتواضعه ومذلته ، فجعله لذلك محل رحمته ومورد فيضه ، وأظهر منه أنواع النباتات والرياحين والثمار والمعادن والحيوان ، وجعله قابلاً لإفاضة الروح عليه ، وجعله محلاً لعلمه وحكمته ، فنور

فقال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، ولوقاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار ، كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار .

١٩ - عليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس ، عن حريز عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال : حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة ، لا يكون غيره ولا يجيئ غيره ، وقال : قال علي عليه السلام : ما أحدٌ ابتدع بدعة إلا ترك بهاسنة .

التراب نور خفي لا يطلع عليه إلا من كان له نور ، ونور النار نور ظاهر بلا حقيقة ولا استقرار وثبات ، ولا يحصل منها إلا الرماد ، وكلّ شيطان مريد ، ويمكن حمل القياس هنا على القياس الفقهي أيضاً ، لأنّه لعنه الله استنبط أولاً علة إكرام آدم ، فجعل علة ذلك كرامة طينته ثمّ قاس بأنّ تلك العلة فيه أكثر وأقوى ، فحكم بذلك أنّه بالمسجودية أولى من الساجدية فأخطأ العلة ولم يصب ، وصار ذلك سبباً لكفره وشركه ، ويدلّ على بطلان القياس بطريق أولى على بعض معانيه .

الحديث التاسع عشر صحيح .

قوله عليه السلام ترك بهاسنة : لأنّه لما كان في كلّ مسألة بيان من الشارع وحكم فيها ، فمن قال بما لم يكن في الشرع وابتدع شيئاً ترك به سنة وحكماً من أحكام الله تعالى ، والحاصل نفى مذهب المصوّبة الذين يقولون ليس للشارع حكم معيّن في كلّ فرع بل فوّض الأحكام إلى آراء المجتهدين فحكم كلّ مجتهد في كلّ فرع هو حكم الله الواقعي في حقّه وفي حق مقلّده ، وتصويب لمذهب المخطئة القائلين بأنّ الشارع قد حكم في كلّ فرع بحكم معيّن والمجتهد بعد استفراغ الوسع قد يصيب وقد يخطئ ، والمخطئ مصاب لبذل جهده وخطأه مغتفر ، والمصيب أجران أحدهما لا صابته والآخر لاجتهاده ، وربما يقال هذه الاخبار تدلّ على نفى الاجتهاد مطلقاً وفيه : انّ للمحدّثين أيضاً نوعاً من الاجتهاد يقع منهم الخطاء والصواب ولا محيص لهم عن ذلك

٢٠ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن عبدالله العميلي ، عن عيسى بن عبدالله القرشي قال : دخل أبوحنيفة على أبي عبدالله عليه السلام فقال له : يا أباحنيفة ! بلغني أنك تقيس ؟ قال : نعم قال : لا تقس فإن أول من قاس إبليس حين قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، فقاس ما بين النار والطين ، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين ، وصفاء أحدهما على الآخر .

٢١ - علي ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن قتيبة قال : سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها ، فقال الرجل : أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها ؟ فقال له : مه ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا من : « أرأيت » في شيء .

٢٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه مرسلًا قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لا تتخذوا من دون الله وليجة ولا تكونوا مؤمنين فإن كل سبب و نسب وقراة و وليجة وبدعة وشبهة منقطع إلا ما أثبتته القرآن .

الحديث العشرون صحيح .

قوله عليه السلام أرأيت : لما كان مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن و الاجتهاد ، نهى عليه السلام عن هذا الشيء من الظن و بين له أنهم لا يقولون شيئاً إلا بالجزم واليقين وبما وصل اليهم من سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

الحديث الحادي والعشرون مرسل .

قوله عليه السلام وليجة . . . وليجة الرجل بطائته وخاصته ومن يعتمد عليه في أموره والمراد هنا المعتمد عليه في أمر الدين ، ومن يعتمد في أمر الدين وتقرير الشريعة على غير الله يكون متعبداً لغير الله فلا يكون مؤمناً بالله واليوم الآخر ، وذلك لأن كل مالم يشبه القرآن من النسب والقراة والوليجة والبدعة منقطع لا تبقى ولا ينتفع بها في الآخرة فلا يجامع الايمان بالله واليوم الآخر الاعتماد عليها في أمر الدين .

﴿باب﴾

﴿الرد الى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال و الحرام﴾

﴿وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أوسنة﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن حديد ، عن مرزم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبدٌ يقول : لو كان هذا أنزل في القرآن ؟ إلا وقد أنزله الله فيه .

باب الرد الى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال والحرام

وجميع ما يحتاج الناس اليه الا وقد جاء فيه كتاب أوسنة

الحديث الاول ضعيف .

قوله عليه السلام يقول : اى قولاً صحيحاً ، وكلمة «لو» للتمنى أو الجزاء محذوف ، أو «أنزل» جزاء لو ، وكان تامة او ناقصة ، وخبره مقدّر أى لو كان هذا الحكم حقاً لأنزله الله في القرآن وقوله : إلا وقد أنزله الله ، إسناء من قوله ما ترك الله شيئاً ، و توسيط الغاية بينهما إمارة لى لا يتصلها بذى الغاية أو يجعله مفسراً لمثله المحذوف قبل الغاية ، كذا ذكره بعض الأفاضل ؛ وقيل : جملة حتى الثانية لتأكيد الأولى أو للتعليل والاستثناء من مقدّر ، وقيل : الاستثناء من مفعول يقول ، وهو الكلام الدال على تمنى انزال ما احتيج اليه في القرآن ، وقيل : الألفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف تنبيه ، والكلام إستيناف لتأكيد ماسبق ، والأظهر كون الاستثناء متعلقاً بالكلام الاول كما ذكر أولاً ، ولا ينافي الفصل بالغاية لأنه ليس بأجنبى ، وحاصل المعنى : ما ترك الله شيئاً على حال إلا حال إنزال القرآن فيه .

- ٢- عليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن حسين بن المنذر ، عن عمر بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : إن الله تبارك و تعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه و بينه لرسوله عليه السلام و جعل لكل شيء حدّاً و جعل عليه دليلاً يدلّ عليه ، و جعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً .
- ٣- عليّ ، عن محمد ، عن يونس ، عن أبان ، عن سليمان بن هارون قال : سمعت

الحديث الثاني ضعيف .

قوله عليه السلام و جعل لكل شيء حدّاً : قيل : أى منتهى معيناً لا يجاوزه ولا يقصر عنه ، والدليل عليه النبيّ و الامام ، و جعل على من تعدّى ذلك الحدّ و لم يقل به و لم يأخذه من دليله حدّاً من العقاب و النكال ، و الأظهر أن المراد بالدليل الآية التي تدلّ على الحكم ، و المراد بالحدّ الحكم المترتب على من خالف مدلول ذلك الدليل مثال ذلك في العبادات أنه جعل للصّوم حدّاً ، و هو الكفّ عن الأكل و الشرب و المباشرة في النهار ، و جعل عليه دليلاً و هو قوله تعالى « فالآن بأشروهنّ » ، إلى قوله « ثم أنموا الصيام إلى الليل » ^(١) ثم جعل على من تعدّى ذلك الحدّ بأن أكل أو شرب أو باشر حدّاً ، و هو الكفارة و تعزير الإمام ، و مثاله في المعاملات أنه جعل سبحانه لثبوت الزنا حدّاً و هو الشهود الأربعة ، و جعل عليه دليلاً و هو قوله تعالى : « فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم » ^(٢) ثم جعل على من تعدّى ذلك الحدّ بأن شهد عليها قبل تمام العدد حدّاً و هو الثمانون جلدة لكن لا يعلم دليل جميع الأحكام من القرآن إلا الإمام عليه السلام و ربما يستدلّ به على نفي الاجتهاد ، و على أنه لا يجوز العمل إلا مع اليقين بالحكم الواقعي ، و لا يلزم التعدّي عن الحدّ ، و أوجب : بأن المراد بالتعدّي عدم أخذ الحكم من دليله و مأخذه ، أو بأن أحكام الله تعالى قسمان واقعيّة و واصليّة ، فمن تعدّاهما معاً تعدّى حدّ الله تعالى .

الحديث الثالث : مجهول .

أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما خلق الله خللاً ولا حراماً إلا وله حدٌ كحدِّ الدار ، فما كان من الطريق فهو من الطريق ، وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرض الخدش فماسواه ، والجلدة ونصف الجلدة .

٤ - عليٌّ ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن حماد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : ما من شيء إلا وفيه كتاب أوسنة .

٥ - عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عيسى ، عن يونس ، عن حماد ، عن عبد الله ابن سنان ، عن أبي الجارود قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله ، ثم قال في بعض حديثه : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن القيل والقال ، وفساد

قوله عليه السلام حتى أرض الخدش : الخدش تقشير الجلد بعود ونحوه وأرضه ما يجبر نقصه من الدابة ، والجلدة : الضربة بالسوط ، ونصفها أن يؤخذ من وسط السوط فيضرب .

الحديث الرابع : صحيح .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله عليه السلام عن القيل والقال : قيل : هما فعلان ماضيان خاليان عن الضمير ، جاربان مجرى الأسماء ، مستحقان للإعراب وإدخال حرف التعريف عليهما ، وقيل هما مصدران ، قال الفيروز آبادي : القول في الخير ، والقيل والقال والقال في الشر أو القول مصدر ، والقال والقيل إسمان له ، ثم قال : والقال : الابتداء والقيل بالكسر الجواب ، وعلى التقادير : المراد به فضول الكلام وما لا فائدة فيها ولا طائل تحتها ، وقيل : نهى عن الأقوال التي توجب الخصومة ، وقيل : من المناظرات المنتهية إلى المراء ، والتعميم كما اخترناه أولى ، والمراد بفساد المال صرفه في غير الجهات المشروعة أو ترك ضبطه وحفظه ، أو القرض من غير شهود واثمان الخائن والفاسق ، وأمثال ذلك مما يورث إفساده ، والمراد بكثرة السؤال كثرته فيما لا فائدة فيه ، إذا السؤال عن الأمور اللازمة واجب كعامر ، والنجوى : السرّيين إثنين أو أكثر ، والمعروف كلما

المال ، وكثرة السؤال فقليل له : يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله ؟ قال : إن الله عز وجل يقول : « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس »^(١) وقال : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً »^(٢) وقال : « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن »^(٣).

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن محمد بن عمار ، عن المعلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال .

٧ - محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة

يستحسنه الشرع ، وقد فسرّهنّا بالقرض وإعانة الملهوف وصدقة التطوع وغير ذلك ، وأما قوله تعالى « ولا تؤتوا السفهاء » فالمشهور أنّ الخطاب للأولياء ، فهو أن يؤتوا السفهاء الذين لا يرشد لهم أموالهم فيفسدونها ، وأضاف الأموال الى الأولياء لأنّها في تصرّفهم ، وقيل : نهى كلّ أحد أن يعمد إلى ما خوّله الله من المال ، فيعطى امرأته وأولاده ، ثمّ ينظر إلى أيديهم ، ويدلّ بعض الاخبار على أنّها تشمل ما إذا اتّمن فاسقاً وشارب خمر على ماله ، وقوله تعالى : « قياماً » أى ما تقومون وتتميشون بها ، و في الآية الثالثة الجملة الشرطية صفة للأشياء وقيل : المعنى لا تسألوا عن تكاليف شاقة عليكم ، إن كلفكم بها شقت عليكم وندمتم عن السؤال عنها ، كما روى في سؤال بنى اسرائيل عن البقرة ، وقيل : كان أحد يسأل عن أبيه فيجواب : أنّه في النار فيسوءه ، ويسأل آخر عن نسبه فيجواب أنّه لغير أبيه فيقتضح ، فنهوا عن أمثال ذلك والتعميم أولى .

الحديث السادس : مرسل .

الحديث السابع : ضعيف .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرُّسُولَ وَاللَّهُ بِكُمْ لَاحِظٌ وأُتِلَ إليهِ الكتابُ بالحقِّ وأنتم أميُّونَ عن الكتابِ و من أُنزِلَ ، وعن الرُّسُولِ ومن أُرسله ، على حين فترة من الرُّسل ، وطول هجرة من الأُممِ وانبساط من الجهل ، واعتراض من الفتنة ، وانتقاض من المطبرم ، وعمى عن الحقِّ ، واعتساف من الجور ، وامتناع من الدِّين ، وتلف [أي من الحروب] ، على حين اصفرار من رياض جنات الدُّنيا ، وبس من أغصانها ، وانتثار من ورقها ، وبأس من ثمرها ، وإغورار من

قوله عليه السلام وأنتم أميُّون : قال في النهاية فيه : إنّا أمةٌ أميّةٌ لا مکتب ولا نحسب أراد أنهم على أصل ولادة أمّتهم لم يتعلّموا الكتاب والحساب فهم على جبلتهم الأولى ، وقيل الأمّى الذى لا يكتب ، ومنه الحديث : بعثت إلى أمة أميّة ، قيل : للعرب أميُّون ، لأنّ الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة انتهى ، والمراد هنا من لا يعرف الكتابة والخط والعلوم والمعارف ، وضمّن ما يعدّى بمن كالنوم والغفلة ، والتلظى : اشتعال النار ، وإغورار الماء : ذهابه في باطن الأرض ، والظاهران هذه الاستعارات والترشيدات لبيان خلوّ الدُّنيا حينئذ عن آثار العلم والهداية ، وما يوجب السعادات الاخرية ، ويحتمل أن يكون المراد بها بيان خلوّها عن الأمن والرّفاهة والمنافع الدنيويّة ليكون ما يذكر بعدها تأسيساً ، ويحتمل التعميم ايضاً والدروس : الامحاء والردى الهلاك ، وقوله عليه السلام : متهمّة في بعض النسخ بتقديم الجيم على الهاء وهو الصواب ، يقال : فلان يتهمنى اى يلقانى بغلظة ووجه كريبه ، وفي أكثر النسخ بتقديم الهاء وهو الدخول بقتة وانهدام البيت ، ولا يخلوان من مناسبة ايضاً ، والمكفهر من الوجوه : القليل اللحم ، الغليظ الذى لا يستحيى ، والمتعبس ، والمراد بالجيفة : الميتة أو مطلق الحرام والشعار ما يلي شعر الجسد من الثياب ، والدثار ما فوق الشعار منها ومناسبة الخوف بالشعار والسيف بالدار غير خفيّة على ذوى الانظار ، والتمزيق التخريق والتقطيع والتفريق والممزق كمعظم ايضاً مصدر ، والمراد به تفرّقهم في البلدان للخوف ، أو تفرّقهم في الاديان والاهواء ، والمؤودة البنت المدفونة حيّة ، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية بيناتهم لخوف

مائها قد درست أعلام الهدى ، فظهرت أعلام الردى ، فالدنيا متهجمة في وجوه أهلها مكفهره ، مدبرة غير مقبلة ، ثمرتها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، و شعارها الخوف ، و دثارها السيف ، مزقتم كل ممزق وقد أعمت عيون أهلها ، وأظلمت عليها أيامها ، قد قطعوا أرحامهم ، وسفكوا دمائهم ، ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم ، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا ؛ لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً ؛ حيثهم أعمى نجس وميتهم في النار مبلس ، فجاءهم بنسخة ما في الصحف

الإملاق أو العار كما قال تعالى « وإذا المؤودة سللت ، بأى ذنب قتلت » ^(١) وقوله ﷺ بينهم متعلق بالدفن أو بالثود بتضمين معنى الشيوع .

قوله ﷺ يجتاز دونهم : في أكثر النسخ بالجيم والزاء المعجمة من الاجتياز بمعنى المرور ، والرفاهية : الخصب والسعة في المعاش ، والخفوض جمع الخفض وهو الدعة والراحة اى يمر طيب العيش والرفاهية التى هى خفض الدنيا ، أوفى خفوضها متجاوزاً عنهم من غير تلبث عندهم ، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والزاء المعجمة من الحيابة اى يجمع ويمسك ورائهم طيب العيش والرفاهية ، وفي بعضها : بالخاء المعجمة والراء المهملة اى كان يختار طيب العيش والرفاهية يجتنبهم ولا يجاورهم ، وقيل : يعنى أرادوا بدفن البنات طيب العيش ولا يخفى أن تذكير الضمير لا يلائمه ، وربما يقرء دونهم بالرفع اى خسيسهم بهذا المعنى ، ولا يخفى ما فيه ايضاً .

قوله ﷺ أعمى نجس ، بالنون والجيم ، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة من النحوسة ، وربما يقرء بالباء الموحدة والخاء المعجمة المكسورة من البخس بمعنى نقص الحظ وهو تصحيف ، والابلاس الغم والاينكسار والحزن ، والايناس من رحمة الله تعالى . قوله ﷺ : ما في الصحف الأولى : أى التوراة والانجيل والزبور وغيرهما مما نزل على الانبياء ﷺ وهى المراد بالذى بين يديه و كل أمر تقدم أمراً منتظراً قريباً منه يقال : انه جاء بين يديه ، وقيل : المراد بالصحف الاولى الألواح السماوية ، ويحتمل أن يكون المراد بالذى بين يديه ما يكون بعده من أحوال المعاد ، والاول

الأولى ، وتصدق الذي بين يديه ، وتفصيل الحلال من ريب الحرام .
ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم ، أخبركم عنه ، إن فيه علم ما مضى ،
وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة ، وحكم ما بينكم وبين ما أصبحتم فيه تختلفون ، فلو
سألتموني عنه لعلمتكم .

٨ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن حماد بن عثمان ،
عن عبد الأعلى بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قد ولدني رسول الله
صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق ، وما هو كائن إلى يوم القيامة
وفيه خبر السماء وخبر الأرض ، وخبر الجنة وخبر النار ، وخبر ما كان ، و [خبر] ما

أظهر ، ويؤيده قوله تعالى « ومصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل » وريب
الحرام شبهته ، أى فضلاً عن صريحه وقوله : فاستنطقوه ، أمر للتعجيز أى استعلموا
أو استنبطوا منه الأخبار والأحكام .

قوله عليه السلام : أخبركم عنه : إstinاف لبيان أنه عليه السلام هو الذى يستنطق
القرآن وينطق عنه ، ويحتمل أن يكون المخبر عنه قوله : إن فيه علم ما مضى ، ويؤيد
الاول أن في النهج ولكن أخبركم عنه ، قيل : وأشار عليه السلام بإيراد كلمة « لو » دون « إذا »
إلى فقد من يسئله عن غوامض مقاصد القرآن وأسرار علومه .

الحديث الثامن : مجهول .

قوله عليه السلام : قد ولدني : يدل على ما ذهب إليه السيد (ره) من أن ولد
البنات والد حقيقة ، وقيل : الولادة المشار إليها تشمل الولادة الجسمانية والروحانية
فإن علمه ينتهى إليه كما أن نسبه يرجع إليه فهو وارث علمه كما هو وارث ماله .

قوله عليه السلام وفيه بدء الخلق : أى أوله وكيفية إيجاده وإنشائه وكيفية خلق
الملائكة والثقلين وغيرها ، وقيل : أى ذكر فيه أول خلق بدء الله منه الخلق ، والمراد
كل ما اتصف بالوجود فيما مضى وما هو كائن أى ما يتصف بالوجود في الحال والمستقبل
إلى يوم القيامة ، وذكر فيه خبر السماء والأرض أى أحوالهما وخبر الجنة وخبر النار

هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفتي ، إن الله يقول : «فيه بيان كل شيء» .

٩ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن النعمان ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه .

١٠ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة ، عن أبي المغرا ، عن سماعة ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؟ أو تقولون فيه ؟ قال : بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وخبر ما كان وما هو كائن أي ذكر أحوالهما وهذا من التعميم بعد ذكر الخاص فذكر أولاً إشمال الكتاب على المخلوقات ، ثم ذكر إشماله على أخبارها وذكر أحوالها مبتدئاً بالعمدة الظاهر منها في الدنيويات أعنى السماء والأرض وفي الآخريات أعنى الجنة والنار ثم عمم بقوله : وخبر ما كان وما هو كائن .

الحديث التاسع : صحيح .

قوله عليه السلام نبأ ما قبلكم : قيل يحتمل أن يكون المراد نبأ ما قبلكم علم المبدء من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبخبر ما بعدكم علم المعاد من العلم باليوم الآخر وأحواله وأهواله والجنة والنار ، وبفصل ما بينكم : علم الشرايع والأحكام بأن تحمل القلبية والبعدية على الذاتيتين أو مایعتهما والزمانيتين وضمير نعلمه راجع إلى الكتاب أو الجميع .

الحديث العاشر : موثق .

قوله عليه السلام أو تقولون فيه : بصيغة الخطاب أي تحكمون فيه بأرائكم ، وقرء بعض الافاضل بصيغة الغيبة وقال : أي أو يقول الناس كل شيء في كتاب الله وليس كل شيء فيه .

﴿ باب اختلاف الحديث ﴾

١ - علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبان أبي عيش ، عن سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لأمر المؤمنين عليه السلام : إنني سمعت من سلمان و المقداد و أبي ذر شيئاً من تفسير القرآن و أحاديث عن نبي الله ﷺ غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم و رأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الأحاديث عن نبي الله ﷺ انتم تخالفونهم فيها ، و تزعمون أن ذلك كله باطل ؛ افترى الناس يكذبون على رسول الله ﷺ متعمدين ، و يفسرون القرآن بأرائهم ؛ قال : فأقبل علي فقال : قد سألت فافهم الجواب :

إن في أيدي الناس حقاً و باطلاً ، و صدقاً و كذباً ، و ناسخاً و منسوخاً ، و عاماً و خاصاً ، و محكماً و متشابهاً ، و حفظاً و وهماً ، و قد كذب على رسول الله ﷺ على عهده

باب اختلاف الحديث

الحديث الاول : ضعيف على المشهور ، معتبر عندى ، و كتاب سليم عندى موجود ، و أرى فيه ما يورث الظن القوي بصحته .

قوله ﷺ و صدقاً و كذباً ، ذكر الصدق و الكذب بعد الحق و الباطل من قبيل ذكر الخاص بعد العام لان الصدق و الكذب من خواص الخبر ، و الحق و الباطل يصدقان على الافعال أيضاً ، و قيل : الحق و الباطل هنا من خواص الرأى و الاعتقاد ، و الصدق و الكذب من خواص النقل و الرواية .

قوله ﷺ و محكماً و متشابهاً : المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن ، و يطلق في الاصطلاح على ما اتضح معناه ، و على ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما معاً ، و على ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل ، و مما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، و يقابله بكل من هذه المعاني المتشابهة .

قوله ﷺ و حفظاً أى محفوظاً عند الراوى و مستيقناً له انه سمعه كذلك او

حتى قام خطيباً فقال : ايّها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده ، وإثماً أتاكم الحديث من اربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الايمان ، متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرّج

موافقاً لما سمعه واقعاً مع علمه به ، ووهماً بفتح الهاء مصدر قولك : وهمت بالكسر اى غلطت وسهوت ، وقدروى وهماً بالتسكين مصدر وهمت بالفتح ، إذا ذهب وهك إلى شيء وأنت تريد غيره ، والمعنى متقارب ، والمراد ما شك فيه ولم يستيقن أو سهى وإن يثقنه عند الرواية .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كثرت عليّ الكذابة : بكسر الكاف وتخفيف الذال مصدر كذب يكذب أى كثرت عليّ كذبة الكذابين ، ويصح أيضاً جعل الكذاب بمعنى المكذوب ، والتاء للتأنيث أى الاحاديث المفترات ، أو بفتح الكاف وتشديد الذال بمعنى الواحد الكثير الكذب ، والتاء لزيادة المبالغة ، والمعنى كثرت عليّ أكاذيب الكذابة أو التاء للتأنيث ، والمعنى كثرة الجماعة الكذابة ولعلّ الاخير أظهر ، وعلى التقادير الظاهر أنّ الجار متعلق بالكذابة ، ويحتمل تعلقه بكثرت على تضمين أجمعت ونحوه ، وهذا الخبر على تقديرى صدقه وكذبه يدلّ على وقوع الكذب عليه وَاللَّهُ شَهِيدٌ وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فليتبوء ، صيغته الأمر ومعناه الخبر ، كقوله تعالى « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً » ^(١) .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم كذب عليه : على بناء المجهول «من بعده» بكسر الميم أو على بناء المعلوم وفتح الميم اسم موصول .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ متصنع بالاسلام : اى متكلف و متدلس به غير متصف به في نفس الامر .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يتأثم : أى لا يكف نفسه عن موجب الإثم أولاً بعد نفسه آنماً بالكذب على رسول الله وَاللَّهُ شَهِيدٌ وكذا قوله : لا يتحرّج من الحرج بمعنى الضيق ، اى

أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً ؛ فلو علم الناس أنه منافق كذاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه ؛ و أخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاشه ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم »^(١) ثم بقوا بعده ففقر بوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وانما الناس مع الملوك

لا يضيق صدره بالكذب وأراد بأئمة الضلالة الثلاثة ومن يحذو حذوهم من بنى امية وأشباههم ، وقوله بالزور ومتعلق بتقربوا ، ونقل العتائقي^(٢) في شرح نهج البلاغة انه قال في كتاب الأحداث أن معاوية لعنه الله كتب إلى عماله ان أدعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبي تراب إلا واثبوني بمناقض له في الصحابة ، فرويت اخباراً كثيرة مفتعلة لاحقيقة لها حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر وروى ابن أبي الحديد ان معاوية لعنه الله أعطى صحابياً مالا كثيراً ليصنع حديثاً في ذم علي عليه السلام ويحدث به على المنبر ففعل وروى عن ابن عرفة أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة إفتعلت في أيام بنى امية تقريباً اليهم بما يظنون انهم يرغبون بها أنف بنى هاشم « انتهى » وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا الكبير .

قوله عليه السلام وقد أخبر الله عز وجل عن المنافقين : اى كان ظاهرهم ظاهراً حسناً وكلامهم كلاماً مزيفاً مدلساً يوجب إغترار الناس بهم ، وتصديقهم فيما ينقلونه عن النبي صلى الله عليه وآله ، ويرشد إلى ذلك انه سبحانه خاطب نبيه ﷺ بقوله : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » اى بصباحتهم وحسن منظرهم ، « وإن يقولوا تسمع لقولهم » اى تصفى اليه لذاقة ألسنتهم .

قوله عليه السلام فولوهم الأعمال : اى ائمة الضلال بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء

(١) سورة المنافقون : ٤ . (٢) كذا في النسخ ، و الظاهر « ابن العتائقي »

وهو الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يوسف بن العتائقي الحلبي وقد توفي في حدود سنة ٧٩٠ ، وهو تلميذ العلامة الحلبي (ره) . على ما يظهر من كلمات شيخنا المظالم المبرور في كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة فراجع ج ١٤ ص ١٣١ .

والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا احد الأربعة .

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه و وهم فيه ، ولم يتعمد كذباً فهو في يده ، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله ﷺ فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه .

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ ، مبغض للكذب خوفاً من الله و تعظيماً لرسول الله ﷺ ، لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ [وخاص وعام] ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان : كلام عام و كلام خاص مثل القرآن وقال الله عز وجل في كتابه : وما آتاكم الرسول فخذوه ، و

المنافقين الولايات و سلطوهم على الناس ، ويحتمل العكس اي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا والين على الناس ، وصنعوا ما شاؤا وابتدعوا ما أرادوا ، ولكنّه بعيد .

قوله ﷺ ناسخ ومنسوخ : قال الشيخ البهائي (ره) خبر ثان لأنّ أوخبر مبتدئ محذوف اي بعضه ناسخ وبعضه منسوخ ، أو بدل من مثل وجره على البدلية من القرآن ممكن ، فان قيام البديل مقام المبدل منه غير لازم عند كثير من المحققين .

قوله ﷺ وقد كان يكون : إسم كان ضمير الشأن ويكون تامة وهي مع إسمها الخبر ، وله وجهان نعت للكلام لأنه في حكم النكرة ، أو حال منه ، وإن جعلت يكون نافضة فهو خبرها .

قوله ﷺ وقال الله : لعل المراد أنهم لما سمعوا هذه الآية علموا وجوب

ما نهاكم عنه فاتھوا ،^(١) فيشتبه على من لم يعرف ولم يدرك ما عنى الله به ورسوله ﷺ وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا يحبون أن يجيء الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعوا .

وقد كنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها

اتباعه ﷺ ولما اشتبه عليهم مراده عملوا بما فهموا منه ، وأخطأوا فيه ، فهذا بيان لسبب خطأ الطائفة الثانية والثالثة ، ويحتمل أن يكون ذكر الآية لبيان أن هذه الفرقة الرابعة المحقة إنما تتبعوا جميع ما صدر عنه من الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، لأن الله تعالى أمرهم باتباعه في كل ما يصدر عنه .

قوله ﷺ فيشتبه : متفرع على ما قبل الآية أي كان يشتبه كلام الرسول علي من لا يعرف ، ويحتمل أن يكون المراد أن الله تعالى إنما أمرهم بمتابعة الرسول فيما يأمرهم به من اتباع أهل بيته والرجوع اليهم ، فإنهم كانوا يعرفون كلامه و يعلمون مراده فاشتبه ذلك على من لم يعرف مراد الله تعالى وظنوا أنه يجوز لهم العمل بما سمعوا منه بعده ﷺ من غير رجوع إلى أهل بيته .

قوله ﷺ ما عنى الله به : الموصول مفعول لم يدرك ، ويحتمل أن يكون فاعل يشتبه .

قوله ﷺ ولا يستفهمه : أي إعظاماً .

قوله ﷺ والطاري : أي الغريب الذي أتاه عن قريب من غير أنس به وبكلامه وإنما كانوا يحبون قدومهما إما لاستفهامهم وعدم استعظامهم إياه أو لانه ﷺ كان يتكلم على وفق عقولهم فيوضحه حتى يفهم غيرهم .

قوله ﷺ فيخليني فيها : من الخلوة يقال استخلى الملك فأخلاه أي سئله أن يجتمع به في خلوة ففعل ، أو من التخلية أي يتركني أدور معه .

أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله ﷺ أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخواني وأقام عني نسائه . فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني ، وكنت إذا سأله أجنبي وإذا سكنت عنه وفُتيت مسألتي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامتها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها ، فمأسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي وكتبته ، منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل علي أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً ، ثم وضع يده علي صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا بني الله بأبي أنت وأُمِّي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتخوف علي النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا ، لست أفتخوف عليك النسيان والجهل .

٢ - عذة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عثمان بن عيسى ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله ﷺ لا يتهمون بالكذب ، فيجيبون منكم خلافه ؟ قال :

قوله عليه السلام أدور معه حيث مادار : أي لا أمتنع عن شيء من خلواته ادخل معه أي مدخل يدخل فيه ، وأسير معه أينما سار ، أو المراد أنني كنت محرماً لجميع أسرارهم قابلاً لعلومهم أخوض معه في كل ما يخوض فيه من العارف ، وكنت أوافقه في كل ما يتكلم فيه ، وأفهم مراده .

قوله عليه السلام تأويلها وتفسيرها : أي بطنها وظاهرها .

الحديث الثاني : موثق .

إنَّ الحديثَ ينسخ كما ينسخ القرآن .

٣ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر ، فقال : إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان ؛ قال : قلت : فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد صلى الله عليه وآله أم كذبوا ؟ قال : بل صدقوا ؟ قال : قلت : فما بالهم اختلفوا ؟ فقال : أما تعلم أنَّ الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب ، فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً .

٤ - عليُّ بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رثاب ، عن أبي عبيدة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي : يا زياد ما نقول لو أفتينا رجلاً ممن

قوله عليه السلام إنَّ الحديثَ ينسخ : لما علم عليه السلام أنه يسئل عن غير المنافقين و غير من وقع منه الخطاء لسوء فهمه أجاب بالنسخ ، ويحتمل أن يكون ذلك للتقية من المخالفين في نسبة الصحابة الى النفاق والكذب والوهم ، فاتهم يتحاشون عنها .

الحديث الثالث : حسن .

قوله عليه السلام على الزيادة ، أى على الزيادة والنقصان في الكلام على حسب تفاوت مراتب الأفهام فيقع في وهمكم الاختلاف لذلك ، وليس حقيقة بينهما اختلاف أو زيادة حكم عند التقية ونقصانه عند عدمها ، أو المعنى إنا نجيب على حسب زيادة الناس ونقصانهم في الاستعداد والايمان ، فيشمل الوجهين .

قوله عليه السلام بل صدقوا : يحتمل أن يكون مراد السائل السؤال عن اخبار جماعة من الصحابة علم عليه السلام صدقهم ، أو أراد عليه السلام صدق بعضهم ، أى ليس اختلافهم مبنياً على الكذب فقط ، بل قد يكون من النسخ ، والأظهر حمله على التقية .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور وآخره مرسل .

يتوَّلا فابشيء من التقيَّة ؟ قال : قلت له : أنت أعلم جعلت فداك ؛ قال : إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجراً . وفي رواية أخرى إن أخذ به أوجر ، وإن تركه والله أثم .

٥ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن الحسن بن علي ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن مسألة فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي ، فلما خرج الرجلان قلت : يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه ؟ فقال : يا زرارة ! إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد اصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

قال : ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنَّة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين ؛ قال : فأجابني بمثل جواب أبيه .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن نصر

قوله : فهو خير له وأعظم أجراً : أى من العمل بالحكم الواقعى في غير حال التقيَّة على ما هو المشهور من بطلان العمل بالحكم الواقعى في حال التقيَّة إن قلنا بصحته ، وعلى هذا يكون الإثم الوارد في الخبر المرسل لترك التقيَّة ، لالعدم الاتيان بمأمر به فى اصل الحكم وهو بعيد .

الحديث الخامس : موثق كالصحيح .

قوله عليه السلام لصدقكم الناس علينا : بالتشديد أى لحكموا بصدقكم فى نسبة هذا الحكم إلينا لتوافقكم أوفىما يظنون من أحوالكم وأقوالكم من ولايتنا ومتابعتنا ، وفي علل الشرايع لقصدكم الناس ولكان وهو أظهر .

قوله عليه السلام على الأسنَّة : هو جمع سنان أى على أن يمضوا مقابل الأسنَّة أوفى

النار .

الحديث السادس : ضعيف على المشهور .

الخنعمي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من عرف أننا نقول إلا حقاً فليكتف بما يعلم منا فإن سمع منا خلاف ما يعلم فليعلم أن ذلك دفاع مناعه .

٧ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عثمان بن عيسى ، والحسن بن محبوب جميعاً عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمر كلاهما يرويه : أحدهما يأمر بأخذه والآخرينهاه عنه ، كيف يصنع ؟ فقال : يرجئه حتى يلقى من يخبره ، فهو في سعة حتى يلقاه .
وفي رواية أخرى بأيتهما أخذت من باب التسليم وسعك .

قوله عليه السلام : أن ذلك دفاع : أي قولنا بخلاف ما يعلمه منادف للضرر والفتنة مناعه ، ويرض بذلك ويعمل به .

الحديث السابع : حسن أو موثق .

قوله عليه السلام : رجلان من أهل دينه : ظاهره أنه يكفي في جواز العمل بروايته كونه من أهل دينه ، والظاهر أن المراد بهما الراويين ، والحمل على المفتين كما توهم بعيد .

قوله عليه السلام يرجئه : أي يؤخر العمل والأخذ بأحدهما ، أو يؤخر الترجيح والفتيا حتى يلقى من يخبره أي من أهل القول والفتيا فيعمل حينئذ بفتياه أو من أهل الرواية فيخبره بما يرجح إحدى الروايتين على الأخرى فيقول وفتي بالراجح ، والظاهر أن المراد بمن يخبره الحجة ، وذلك في زمان ظهور الحجة ، وقوله عليه السلام في سعة : أي في العمل حتى يلقى من يعمل بقوله .

قوله عليه السلام من باب التسليم : أي الرضا والانقياد ، أي بأيتهما أخذت رضا بما ورد من الاختلاف وقبولاً له أو إنقياداً للمروى عنه من الحجج ، لامن حيث الظن بكون أحدهما حكم الله ، أو كونه بخصوصه متعيناً للعمل وسعك وجازلك ، ثم اعلم أنه يمكن رفع الاختلاف الذي يترائي بين الخبرين بوجوه قد أومأنا إلى بعضها :
الاول : أن يكون الارجاء في الحكم والفتوى ، والتخير في العمل كما يؤمى إليه

الخبر الاول .

الثاني : أن يكون الإرجاء فيما اذا أمكن الوصول الى الامام عليه السلام والتخير فيما اذا لم يمكن كهذا الزمان .

الثالث : أن يكون الإرجاء في المعاملات و التخير في العبادات إذ بعض أخبار التخير ورد في المعاملات .

الرابع : أن يخص الإرجاء بما يمكن الارجاء فيه ، بأن لا يكون مضطراً إلى العمل بأحدهما ، والتخير بما إذا لم يكن له بد من العمل بأحدهما .

ويؤيده ما رواه الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن سماعة بن مهران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام قلت : يرد علينا حديثان ، واحد يأمرنا بالأخذ به ، والآخر ينهاها عنه ، قال : لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله ، قال : قلت : لا بد من أن نعمل بأحدهما ؟ قال : خذ بما فيه خلاف العامة .

الخامس : ان يحمل الإرجاء على الاستحباب والتخير على الجواز ، وروى الصدوق (ره) في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام عن أبيه ، ومحمد بن الحسن بن الوليد عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله المسمعي عن أحمد بن الحسن الميثمي عن الرضا عليه السلام في حديث طويل ذكر في آخره : وإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافه وكراهة ، وأمر بأشياء ليس أمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان في الدين ، ثم رخص في ذلك للمعلول أو غير المعلول ، فما كان عن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى إعافه أو أمر فضل ، فذلك الذي يسع استعمال الرخص فيه اذا ورد عليكم عنافيه الخبر باتفاق يرويه من يرويه في النهي ، ولا ينكره ، وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقلة فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً ، أو بأيتهما شئت وأحببت موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله والرد إليه وإلينا وكان تارك ذلك من باب الفساد والإيثار وترك التسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله ومشاركاً بالله العظيم

٨ - على بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن عثمان بن عيسى ، عن الحسين بن المختار عن بعض اصحابنا ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : أرايتك لو حدثتك بحديث العام ثم جئتني من قابل فحدثتك بخلافه بأيتهما كنت تأخذ ؟ قال : قلت : كنت آخذ بالأخير ! فقال لي : رحمك الله

فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فأعرضوهما على كتاب الله ، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب ، وما لم يكن في الكتاب فأعرضوه على سنن رسول الله ﷺ فما كان في السنة موجوداً منها فهو حرام أو مأموراً به عن رسول الله ﷺ أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهي رسول الله وأمره ، وما كان في السنة فهو إعافه أو كراهه ، ثم كان الخبر الآخر خلافه ، فذلك رخصة فيما عافه رسول الله ﷺ وكرهه ، ولم يحرمه فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً أو بأيتهما شئت وسعت الاختيار من باب التسليم والاتباع والرد إلى رسول الله ﷺ وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا إلى ناعلمه ، فمن أولى بذلك ولا تقولوا فيه بأرائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأتم طالبون باحثون حتى يأبىكم البيان من عندنا ، ومن هذا الخبر يظهر وجه جمع آخر .

ولنذكر بعض الاخبار الدالة على التخيير :

فمنها : ما رواه الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج مراسلاً عن الحسن بن الجهم ، قال : قلت للرضا عليه السلام : نجئنا الاحاديث عنكم مختلفة ؟ قال : ما جاءك عنا فقسه على كتاب الله عز وجل وأحاديثنا ، فإن كان يشبههما فهو منا ، وإن لم يشبههما فليس منا ، قلت : يجئنا الرجالان وكلاهما ثقة بحديثين مختلفين فلا تعلم أيتهما الحق ؟ قال : إذا لم تعلم فموسع عليك بأيتهما أخذت .

ومنها : ما رواه أيضاً فيه عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلهم ثقة فموسع عليك حتى ترى القائم فترده اليه ومن أراد الإطلاع على سائر أخبار هذا الباب فعليه بالرجوع الى كتاب بحار الانوار . الحديث الثامن مرسل ويدل على وجوب العمل بالحكم المتأخر مع التعارض

٩ - وعنه ، عن أبيه ، عن اسماعيل بن مرآد ، عن يونس ، عن داود بن فرقد عن المعلّى بن خنيس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إذا جاء حديث عن أوّلكم وحديث عن آخركم بأيّهما تأخذ ؟ فقال : خذوا به حتّى يبلغكم عن الحيّ ، فإن بلغكم عن الحيّ فخذوا بقوله ، قال : ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّنا والله لاندخلكم إلّا فيما يسعكم ؛ وفي حديث آخر : خذوا بالأحدث .

١٠ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى عن دواد بن الحصين ، عن عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحلّ

الحديث التاسع مجهول ويدلّ على لزوم العمل بقول الإمام الحيّ مع تعارض قول الإمام السابق له ، بل بقول الإمام المتأخّر مطلقاً كما يدلّ عليه قوله عليه السلام : خذوا بالأحدث ، ووجه الأوّل ظاهر ، لأنّ الإمام الحيّ إنّما يحكم بما يعلمه صلاحاً في زمانه ، فيجب العمل به ، وأمّا الثانی فلأنّه بحكم الإمام الثانی علم تغيّر المصلحة الأولى ولم يعلم بعد تغيّر المصلحة المتجدّدة إلّا إذا علم تغيّرها بزوال التقيّة مع العلم بكون الحكم الثانی للتقيّة .

قوله عليه السلام فيما يسعكم : أى يجوز لكم القول والعمل به تقيّة أو لمصلحة أخرى .

الحديث العاشر : موثق تلقاه الأصحاب بالقبول .

قوله عليه السلام في دين أو ميراث ، لم يذكّرهما على سبيل التمثيل ، ويحتمل التخصيص ، والمراد بالمنازعة في الميراث إمّا في الوارثيّة أو في قدر الإرث أو في ثبوته مع عدم علم المدعى ، وفي جميع هذه الصور لا يجوز الأخذ بحكم الجائر ، ويكون المأخوذ حراماً بخلاف الأعيان ومنافعها ، مع علم المدعى فإنّ المشهور أنّه وإن حرم الأخذ بحكم الجائر لكن لا يحرم المأخوذ ، وحرمة المأخوذ في تلك الصور لا تنافي صحّة المقاصّة في الدين المعلوم ثبوته ، والمراد بحرمة المأخوذ كونه غير جائز التصرف

ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً ، وإن كان حقّاً ثابته له ؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به »^(١).

فيه بعد الأخذ ، وبحرمة الأخذ عدم جواز إزالة يد المدعى واستقرار اليد عليه ، ف قوله ﷺ : في الجواب : من تحاكم إليهم . . . يحتمل العموم والشمول للأعيان والديون والموارث وغيرها .

وقوله ﷺ : فإنما يأخذ سحتاً ، إن حمل على أنه يأخذ أخذاً سحتاً أي حراماً فعلى عمومهِ وإن حمل على أنه يأخذ مالا سحتاً فمخصص بما لا يكون المدعى به عيناً معلوم الحقيقة للمدعى ، فإن له التصرف في المأخوذ حينئذ بخلاف ما إذا كان ثابت الحقيقة عنده بحكم الحاكم ، أو مظنون الحقيقة أو مشكوكها ، أو كان المدعى به ديناً ، فلا يستحقاق في العين والتعين في الدين بحكم الطاغوت لا يوجب جواز التصرف ، كما ذكره بعض المحققين .

قوله تعالى « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » الطاغوت مشتق من الطغيان وهو الشيطان أو الأصنام ، أو كل ما عبد من دون الله أو صد من عبادة الله ، والمراد هنا من يحكم بالباطل ويتصدى للحكم ، ولا يكون أهلاً له ، سمي به لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان أولاً لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث أنه الحامل عليه والآية بتأييد الخبر تدل على عدم جواز الترافع إلى حكّام الجور مطلقاً ، وربما قيل بجواز التوسل بهم إلى أخذ الحق المعلوم اضطراراً مع عدم إمكان الترافع إلى الفقيه العدل ، وبجواز الاستعانة بهم في اجراء حكم الفقيه ، وأيد ذلك بقوله تعالى « يريدون أن يتحاكموا » فإن الترافع على وجه الاضطرار ليس تحاكماً على الإرادة والاختيار ، والمسئلة قوية الاشكال .

قلت : فكيف يصنعان ؟ قال : ينظران [إلى] من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حالنا وحرماننا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته

قوله عليه السلام ممن قد روى حديثنا : أي كلها بحسب الإمكان أو القدر الوافي منها ، أو الحديث المتعلق بتلك الواقعة ، وكذا في نظائره ، والاحوط أن لا يتصدى لذلك إلا من تتبّع ما يمكنه الوصول إليه من أخبارهم ليطلع على المعارضات و يجمع بينها بحسب الإمكان .

قوله عليه السلام فإني قد جعلته عليكم حاكماً : استدللّ به على أنّه نائب الامام في كل أمر إلا ما أحوجه الدليل ، ولا يخلو من إشكال ، بل الظاهر أنّه رخص له في الحكم فيما رفع إليه لأنّه يمكنه جبر الناس على الترافع إليه أيضاً ، نعم يجب على الناس الترافع إليه والرضا بحكمه ، وقال بعض الأفاضل : قوله عليه السلام : فإني قد جعلته عليكم حاكماً يحتمل وجهين : الاول : قد صيرته عليكم حاكماً ، والثاني : قد وصفته بكونه حاكماً عليكم ، وقد حكمت بذلك وسميته بالحاكم ، كقوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » ^(١) فعلى الاول يكون حكومة المجتهد بنصبه عليه السلام لها ، فلا يثبت له حكومة بدون النصب مالم يدل دليل آخر ، وعلى الثاني تكون المجتهد متصفاً بالحكومة ، ويكون قوله عليه السلام مبيّناً لاتصافه بها ، والثاني أولى بوجوه : منها أنّه لم يكونوا عليه السلام في تلك الأنصار ينصبون الحكام ، ومنها أنّهم لو نصبوا لأعلموا الناس بذلك ولكان هذا من المعلوم عند الامامية ، ومنها أنّه لم يعهد نصب غير المعيّن . ومنها : أنّ الضرورة ماسّة بحكومة الفقيه أمّا عند الغيبة فظاهر ، وأمّا مع ظهور الحجة فلعدم إمكان رجوع الكلّ في كلّ الاحكام الى الحجة لباواسطة ، ولو حمل على الاول فإمّا أن يحمل على نصبه عليه السلام الفقيه في عصره وفي الأنصار بعده ، أو على نصبه في عصره ، وعلى الاول فيكون الفقيه منصوباً مالم ينزل بعزله أو بعزل من يقوم مقامه ، وعلى الثاني ينقض نصبه بإقضاء أيامه

عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فائماً استخفَّ بحكم الله وعلينا ردٌّ والرَّادُّ علينا الرَّادُّ على الله وهو على حدِّ الشُّرك بالله .

قلت : فإن كان كلُّ رجلٍ اختار رجلاً من أصحابنا فرضياً أن يكونا الناظرين في حقهما ، واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم ؟

قال : الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولا

عليه السلام حيث يكون الحكم لغيره بعده ، ويحتمل الحكم بنصبه بعده مالم ينزل لاتحاد طريقتهما عليهما السلام ، واستحسان اللاحق ما حسنه السابق منهم ، وكون المتأخر خليفة للمتقدم ، فمالم يظهر منه خلاف ما جاء من المتقدم حكم بأبقائه له ، والظاهر من الحاكم القاضي وهو الذي يحكم في الوقائع الخاصة ، وينفذ الحكم لالمفتي وهو المبيِّن الحكم الشرعي عموماً « انتهى ما أفاده ربه » ولا يخفى مما تاتى ، ويمكن المناقشة في كثير منها وسنبين تحقيق هذا المطلب في رسالة مفردة إنشاء الله تعالى .

قوله عليه السلام : فائماً استخفَّ بحكم الله : لأنَّه لم يرض بحكم أمر الله به « وعلينا ردٌّ » حيث ردَّ قضاء من وصفناه بالحكومة « وهو على حدِّ الشُّرك بالله » أى دخل في الشُّرك بأحد معانيه حيث أشرك في حكمه تعالى غيره ، أو المعنى أنَّه في مرتبة من الضلالة لا مرتبة فيها أشدَّ منها ، والمرتبة المتجاوزة منها مرتبة الشُّرك .

قوله عليه السلام : فيما حكما : ظاهره أنَّ اختلافهما بحسب اختلاف الرواية لا الفتوى .

قوله عليه السلام أعدلهما وأفقههما : في الجواب إشعار بأنَّه لا بدَّ من كونهما عاذلين فقيهين صادقين ورعين ، والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية كما هو الظاهر ، وهل يعتبر كونه أفقه في خصوص تلك الواقعة أو في مسائل المرافعة والحكم أو في مطلق المسائل؟ الأوسط أظهر معنى ، وإنَّ كان الأخير أظهر لفظاً ، والظاهر أنَّ مناط الترجيح الفضل في جميع تلك الخصال ، ويحتمل أن تكون كلمة الواو بمعنى أو ، فعلى الأول لا يظهر الحكم فيما إذا كان الفضل في بعضها ، وعلى الثاني فيما إذا كان أحدهما فاضلاً في أحدهما

يلتفت إلى ما يحكم به الآخر ؛ قال :

قلت : فإنّهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر ؟
قال : فقال : ينظر إلى ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من
أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإنّ
المجمع عليه لا ريب فيه ؛ وإنّما الأمور ثلاثة : أمرٌ يسنّ رصده فيتبع ، وأمرٌ يسنّ غيّه
فيجتنب ، وأمرٌ مشكل يردّ علمه إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : حلالٌ
يسنّ وحرامٌ يسنّ وشبهات بين ذلك ، فمن ترك الشبهات نجّس المحرّمات ومن أخذ
بالشبهات ارتكب المحرّمات وهلك من حيث لا يعلم .

قلت : فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟

قال : ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به و

والآخر في الأخرى ، والرجحان بالترتيب الذكرى ضعيف ، وفي سؤال السائل إشعار
بفهم المعنى الثاني .

قوله ﷺ المجمع عليه : استدلّ به على حجّة الاجماع ، وظاهر السياق أنّ
المراد الاتفاق في النقل لا الفتوى ويدلّ على أنّ شهرة الخبرين الاصحاح و تكرّره
في الأصول من المرجّحات وعليه كان عمل قدماء الاصحاح رضوان الله عليهم .

قوله ﷺ وشبهات بين ذلك : المراد الأمور التي اشبه الحكم فيها ، ويحتمل
شموله لما كان فيه احتمال الحرمة وإن كان حلالاً بظاهر الشريعة .

قوله ﷺ ارتكب المحرّمات : أي الحرام واقعاً ، فيكون محمولاً على الأولوية
والفضل ، ويحتمل أن يكون المراد الحكم في المشتبهات ، ويكون الهلاك من حيث
الحكم بغير علم ، ويدلّ على رجحان الاحتياط بل وجوبه .

قوله ﷺ عنكما : أي الباقر والصادق ﷺ ، وفي الفقيه عنكم وهو أظهر .

قوله ﷺ فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة : قيل المراد بالموافقة احتمال

يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة .
قلت : جعلت فداك أرايت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة
ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم بأيّ الخبرين يؤخذ ؟
قال : ما خالف العامة ففيه الرّشاد .
فقلت : جعلت فداك فإن وافقهما الخبر جميعاً .
قال : ينظر إلى ما هم إليه أميل ؛ حكمهم وقضائهم فيترك ويؤخذ بالآخر .
قلت : فإن وافق حكمهم الخبرين جميعاً ؟
قال : إذا كان ذلك فارجه حتى تلقى إمامك فإن الوقوف عند الشبهات خير

دخوله في المراد من الكتاب والسنة الثابتة والكون من محاملهما فتأمل .
قوله قد رواهما الثقات عنكم : استدلّ به على جواز العمل بالخبر الموثق
وفيه نظر ، لانضمام قيد الشهرة ، ولعلّ تقريره عليه السلام لمجموع القيدتين على أنّه
يمكن أن يقال : الكافر لا يوثق بقوله شرعاً لكفره ، وإن كان عادلاً بمذهبه .
قوله والسنة : أي السنة المتواترة .

قوله عليه السلام فارجه : بكسر الجيم والهاء من أرجيت الامر بالياء أو من أرجأت
الامر بالهمزة ، وكلاهما بمعنى أخرته فعلى الاول حذف الياء في الامر وعلى الثاني
أبدلت الهمزة ياء ، ثم حذف ، والهاء ضمير راجع الى الأخذ بأحد الخبرين أو
بسكون الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل ، أو من أرجه الامر أي أخره عن وقته ، كما ذكره
الفيروز آبادي لكنه تفرّد به ولم أجد في كلام غيره .

و ورد في خبر آخر في الجمع بين الاخبار ، رواه ابن جمهور في كتاب غوالي اللثالي
عن العلامة مرفوعاً إلى زرارة بن أعين قال : سألت الباقر عليه السلام فقلت : جعلت فداك يأتي
عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيّهما آخذ؟ فقال عليه السلام : يا زرارة خذ بما اشتهر
[به] بين أصحابك ، ودع الشاذّ النادر ، فقلت : يا سيدي إنهما معاً مشهوران مرويان
مأثوران عنكم ؟ فقال عليه السلام : خذ بقول أعدلهما عندك وأوقفهما في نفسك ، فقلت : إنهما

من الاقتحام في الهلكات .

﴿ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ﴾

١ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ على كلِّ حقٍّ حقيقة ، وعلى كلِّ صواب

معاً عدلان مرضيان موثقان ؟ فقال : انظرما وافق منهما مذهب العامة فاتركه ، وخذ بما خالفهم ، قلت : ربما كانا موافقين لهم أو مخالفين فكيف أصنع ؟ فقال ﷺ : « إذن فخذ بما فيه العاطئة لدينك واترك ما خالف الاحتياط ، فقلت : إنهما معاً موافقان للاحتياط أو مخالفان له فكيف أصنع ؟ فقال ﷺ : « إذن فتخير أحدهما فتأخذ به وتدع الآخر ، وبدل عليّ أن المراد بالمجمع عليه المشهور في النقل والرواية ، وعلى أن موافقة الاحتياط أيضاً من مرجحات الخبر ، وبدل عليّ التخيير أيضاً .

باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب

أي السنة المتواترة المعلومة ودلائل الكتاب والمراد الاستناد اليهما أو إلى أحدهما بواسطة أئديونها ، والعمل بأخبار الأئمة ؑ متواترة وآحاداً داخلية فيها ، إذا الكتاب والسنة دلاً على وجوب الأخذ بقولهم والرجوع اليهم ، وعلى جواز العمل بأخبار الآحاد وجواز العمل بها هو المشهور بيننا وبين من خالفنا ، ومنعه المرتضى وابن زهرة وابن البرآج وابن إدريس وجماعة ، والأول أقوى لتواتر العمل بها معنى في أعصار أئمتنا ؑ ، وعدم إنكارهم بل تجويزهم ؑ ، وهذا مما لا يخفى على المستأنس بالأخبار .

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

قوله ﷺ : « إنَّ على كلِّ حقٍّ حقيقة : أي على كلِّ أمر ثابت في نفس الامر من الامور الدينية وغيرها أو الدينية فقط حقيقة ، أي ما يكون مصيره إليه ، و به يثبت ويتبين حقيقته » وعلى كلِّ صواب » أي كلِّ اعتقاد مطابق لما في نفس الامر « نوراً » أي

نوراً ، فموافق كتاب الله فخذوه وماخالف كتاب الله فدعوه .

٢ - محمد بن يحيى ، عن عبدالله بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن أبان بن عثمان عن عبدالله بن أبي يعفور ، قال : وحدّثني حسين بن أبي العلاء أنّه حضرا بن أبي يعفور في هذا المجلس قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من ثقب به ومنهم من لا ثقب به ؟ قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب

موضحاً ومبيناً يهدي إليه ، وموافق كتاب الله أي ينتهي في البيان والاستدلال إليه أو إلى ما يوافقه فخذوه وما خالف كتاب الله أي ينتهي بيانه إلى ما يخالف كتاب الله ولا ينتهي إليه ولا إلى ما يوافقه فدعوه .

الحديث الثاني : مجهول .

قوله وحدّثني حسين بن أبي العلاء : هذا الكلام يحتمل وجوهاً : « الأول » أن يكون كلام علي بن الحكم يقول حدّثني حسين بن أبي العلاء أنّه اى الحسين حضر ابن أبي يعفور في المجلس الذي سمع منه أبان « الثاني » أن يكون كلام أبان ، بأن يكون الحسين حدّثه أنّه كان حاضراً في مجلس سؤال ابن أبي يعفور عنه عليه السلام الثالث : أن يكون أيضاً من كلام أبان وحدّثه الحسين أن ابن أبي يعفور حضر مجلس السؤال عنه عليه السلام ، وكان السائل غيره ، ولعل الأوسط أظهر .

قوله ومنهم من لا ثقب به : ظاهره جواز العمل بخبر من لا يوثق به ، إذا كان له شاهد من الكتاب ، ويحتمل أن يكون المراد أنّه يرد علينا الخبر من جهة من ثقب به ومن جهة من لا ثقب به ، فأما الثاني فلا يشكل علينا الأمر فيه لأننا لا نعمل به ، وأما الاول فكيف صنع فيه ؟ أو المعنى : إذا وقع الاختلاف والتعارض في مضمون حديث بسبب اختلاف نقل الراوى ، بأن ينقله أحد الراويين بنحو والآخر بنحو آخر ، ويكونا عدلين ويكون من جملة رواة أحد الطرفين غير الثقة أيضاً يصلح هذا الترجيح أحد الطرفين ؟ فأجاب عليه السلام بأن هذا لا يصلح للترجيح ، بل الترجيح بموافقة الكتاب والسنة المتواترة وهما بعيدان .

قوله عليه السلام إذا ورد عليكم : جزاء الشرط محذوف أي فاقبلوه ، وقوله : فالذى

الله أو من قول رسول الله ﷺ وإلا فالذي جاءكم به أولى به .

٣ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أيوب بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف .

٥ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم وغيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خطب النبي ﷺ بمنى فقال : أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأناقلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقبله .

٦ - وبهذا الاسناد ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه قال : سمعت أبا عبد الله

جاءكم أولى به أي ردّوه عليه ولا تقبلوا منه ، فانه أولى بروايته ، وأن يكون عنده . لا يتجاوز .

الحديث الثالث صحيح .

قوله عليه السلام كل شيء : أي من الأمور الدينية مردود إلى الكتاب والسنة ، وأن يكون مأخوذاً منهما بواسطة أو بدونها ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله أي لا بواسطة ولا بدونها ، وما وافق السنة فهو موافق للكتاب ايضاً ، فانه يدل على حقيقتها مع أن جميع الأحكام مأخوذ من الكتاب كما يدل عليه الاخبار ، والزخرف : المموه المزور والكذب المحسن المزين .

الحديث الرابع مجهول .

الحديث الخامس . مجهول كالصحيح .

الحديث السادس : مجهول كالصحيح .

عليه السلام يقول : من خالف كتاب الله وسنة محمد ﷺ فقد كفر .

٧ - علي بن إبراهيم ؛ عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس رفعه قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل .

٨ - عذرة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران عن أبي سعيد القمطاط وصالح بن سعيد ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن مسألة فأجاب فيها ، قال : فقال الرجل : إن الفقهاء لا يقولون هذا ، فقال : يا ويحك وهل رأيت فقيهاً قط ؟ ! إن الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب

قوله عليه السلام من خالف : أى في القول والاعتقاد ، عالماً عامداً فهو حينئذ كافر ، وأما إذا خالف في العمل أو في القول والاعتقاد خطأ فليس بكافر ، أوهو محمول على مخالفة ما علم من الدين ضرورة ، كالصلاة والامامة والمعاد وأمثالها ، ويمكن حمله على ما إذا قصر في تحصيل الحكم أو أخذه من غير المأخذ الشرعى ، أو أفتى بخلاف معتقده للأغراض الدنيوية ، فيكون الكفر بالمعنى الذى يطلق على أصحاب الكبائر .

الحديث السابع : مرفوع .

قوله عليه السلام ما عمل بالسنة : أى العمل بما جاء في السنة عالماً بذلك ، لمجيئه فيها بأن تكون كلمة ماصدرية أو ما عمل فيه بالسنة ، والمراد الأعمال التى عملت وعلته أظهر .

قوله عليه السلام وإن قل : أى وإن كان ذلك العمل قليلاً كما ورد : قليل في سنة خير من كثير في بدعة ، أو وإن كان العمل بالسنة قليلاً بين الناس .

الحديث الثامن : صحيح .

قوله : ويحك : كلمة ترحم ، ونصبه بتقدير أى ألزمتك الله ويحاً ، وقد يطلق ويح مكان ويل في العذاب « وهل رأيت فقيهاً » أى من العامة أو مطلقاً ، لندور الفقيه الكامل ، وحق الفقيه منصوب على أنه بدل الكل من الفقيه ، وحاصل الحديث أن

في الآخرة ، المتمسك بسنة النبي ﷺ .

٩ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن أبي إسماعيل إبراهيم بن إسحاق الأزدي ، عن أبي عثمان العبدى ، عن جعفر ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ لا قول إلا بعمل ، ولا قول ولا عمل إلا بنية ، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة .

١٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : ما من أحد إلا وله شرعة وفترة ، فمن

من استقر العلم في قلبه كان عاملاً بمقتضى علمه ، والعلم يقضى الزهد في الدنيا و الرغبة في الآخرة ، والمتمسك بسنة النبي ﷺ ، سواء كان بلا واسطة أو بها .

الحديث التاسع : مجهول .

قوله ﷺ لا قول إلا بعمل : أى لا يجدى القول والقرار والاعتقاد في العمليات او مطلقاً إلا بعمل ولا يجدى القول والعمل إلا بنية خالصة لله تعالى ، غير مشوبة بالرياء وغير ذلك ، ولا ينفع القول والعمل والنية جميعاً إلا بإصابة السنة ، أى بالأخذ من السنة ، والائتيان بما يوافقها .

الحديث العاشر : ضعيف .

قوله ﷺ إلا وله شرعة ، قال في النهاية : فيه ان لهذا القرآن شرعة ، ثم ان للناس عنه فترة ، الشرعة النشاط والرغبة ، ومنه الحديث الآخر : ان بكل عابدة شرعة « انتهى » وقيل فيه وجوه : « الاول » أنه ما من أحد إلا وله نشاط يتحرك بسببه إلى جوانب مختلفة وفترة وسكون إلى ما يستقر عنده ويسكن إليه فبنشاطه يتوجه إلى كل جانب ، ويتحرك إليه في أخذ دينه وينظر في كل ما يجوز كونه مأخذاً ، ثم يستقر عند ما يعتقد صلوحه للمأخذية دون غيره فيقتربه ويسكن إليه فمن كان سكونه إلى السنة وما ينتهي إليها ويجعلها مأخذاً ومنتهياً في الامور الدينية فقد اهتدى ، ومن كان سكونه إلى ما لا يوافق السنة بل يخالفها من البدع فقد غوى « الثاني » أن المراد به

كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى بدعة فقد غوى .

١١ - علي بن محمد ، عن أحمد بن محمد البرقي . عن علي بن حسان و محمد بن يحيى ، عن سلمة بن الخطاب ، عن علي بن حسان ، عن موسى بن بكر ، عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال : كل من تعدى السنة رد إلى السنة .

١٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : السنة سنتان : سنة في فريضة

أن كل واحد من أفراد الناس له قوة وصوله وحركة ونشاط وحرص على تحصيل كماله اللائق به في وقت من أوقات عمره كما يكون للأكثرين في أيام شبابهم ، وله فتور وضعف وسكون وتقاعد عن ذلك في وقت آخر كما يكون للأكثرين في أوان مشيهم ، فمن كان فتوره وقراره وسكونه وختام أمره في عبادته إلى سنة فقد اهتدى ، وهذا وجه ظاهر ، وربما يقرأ شره بالتحريك والتخفيف والهاء فيؤول الى هذا المعنى ، «الثالث» أن يكون الشره إشارة إلى زمان التكليف ، والفترة إلى ما قبله ، والمعنى : من كانت فترته إلى السنة واستعد للتمسك به عند البلوغ فقد اهتدى «الرابع» أن من كانت فترته وضعفه لأجل تحمّل المشاق الدينية والطاعات الشرعية فقد اهتدى ، ولا يخفى بعد الوجهين الآخرين .

الحديث الحادي عشر : ضعيف .

قوله عليه السلام رد إلى السنة ، أى يجب على العلماء إظهار بدعته ونهيهم عن تلك البدعة لينتهى عنها ، ويعمل بما يوافق السنة أو يعمل به ماورد في السنة من الحدود والتعزيرات والتأديبات كما قيل .

الحديث الثاني عشر : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام سنة في فريضة : السنة الطريقة المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وآله أو الحديث المروى عنه عليه السلام وعلى الأول كونها في فريضة كون العام في خاص من خواصها ، أى سنة تكون فريضة ، وعلى الثاني فكونها فريضة كونها في بيائها ، وقوله : الأخذ بها

الأخذ بها هدى ، وتركها ضلالة ، وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير خطيئة .

تم كتاب فضل العلم والحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين



أى العمل على وفقها ، والقول بوجوبها أو مفادها هدى ، وتركها قولاً وفعلاً ضلالة ، وقوله وسنة في غير فريضة ، يحتمل المعنيين الأولين ، وقوله إلى غير خطيئة أى ينتهى إلى غير خطيئة أو هو من غير خطيئة أو هو غير خطيئة لأنه ترك ما جوز الشارع تركه ، ولم يوجب فعله ، وأما عدم القول به لعدم الاطلاع عليه فليس بخطيئة ، وأما عدم القول للإنكار بعد ما اطلع على السنة فهو على حدّ الشرك بالله ، كذا ذكره بعض الافاضل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب التوحيد

كتاب التوحيد

إعلم ان التوحيد يطلق على معان أحدها نفى الشريك في الالهية اي إستحقاق العبادة وهي أقصى غاية التذلل والخضوع ولذلك لا يستعمل إلا في التذلل لله تعالى ، لأنه المولى لأعظم النعم بل جميعها ولو بواسطة و وسائط فهو المستحق لأقصى الخضوع وغايته ، وأكثر الآيات والأخبار تدل على ذلك ، والمخالف في ذلك مشركوا العرب وأضرابهم فأنهم بعد علمهم بان صانع العالم واحد كانوا يشركون الاصنام في عبادته كما قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله » ^(١) و ثانيها : نفى الشريك في صانعية العالم كما قال تعالى « رب العالمين » وقال تعالى : « ولم يكن له شريك في الملك » ^(٢) وأمثالها وخالف في ذلك الثنوية وأضرابهم ، وثالثها : ما يشمل المعنيين المتقدمين وتنزيهه عما لا يليق بذاته وصفاته تعالى ، من النقص والعجز والجهل والترتب والاحتياج والمكان وغير ذلك من الصفات السلبية وتوصيفه بالصفات الثبوتية الكمالية ، ورابعها : ما يشمل تلك المعاني وتنزيهه سبحانه عما يوجب النقص في أفعاله ايضاً من الظلم وترك اللطف وغيرهما ، وبالجملة كل ما يتعلق به سبحانه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً إثباتاً ونفياً ، والظاهر ان المراد هنا هذا المعنى .

(١) سورة لقمان : ٢٥ .

(٢) سورة الاسراء : ١١١ .

﴿باب﴾

حدوث العالم وإثبات المحدث

١ - أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال : حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن علي بن منصور

باب حدوث العالم وإثبات المحدث

أقول : أراد بالعالم ماسوى الله تعالى ، والمراد بحدوثه كونه مسبوقاً بالعدم وكون زمان وجوده متناهياً في جانب الأول ، وقد اختلف الناس فيه فذهب جميع المليّين من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس الى أنها حادثة بذواتها وصفاتها وأشخاصها وأنواعها ، وذهب أكثر الفلاسفة الى قدم العقول والنفوس والافلاك بموادها وصورها وقدم هيولى العناصر ، وإليه ذهب الدهرية والناسخية ولمّا لم يكن في صدر الاسلام مذاهب الفلاسفة شائعة بين المسلمين ، وكان معارضة المسلمين في ذلك مع الملاحدة المنكرين للصانع كانوا يكتفون غالباً في إثبات هذا المدعى بإثبات الصانع ، مع أنه كان مقرراً عندهم أنّ التأثير لا يعقل في القديم ، ويحتمل أن يكون غرضه من عقد هذا الباب حدوث العالم ذاتاً ، وإحتياجه بجميع أجزائه إلى المؤثر لكن هذا لا يدلّ على عدم قولهم بالحدوث الزماني ، بمعنى نفى عدم تناهى وجود العالم من طرف الأزل ، ولا على عدم ثبوته بالدلائل ، فإنّ ذلك مما أطبق عليه المليّون ودلت عليه الآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة الصريحة في ذلك ، وعدم القول بذلك مستلزم لانتكار ماورد في الآيات والاختبار من فناء الأشياء وخرق السماوات وإنتشار الكواكب بل المعاد الجسماني ، وقد فضّلنا الكلام في ذلك في كتاب السماء والعالم من كتاب بحار الأنوار ، وسنشير في ضمن الاخبار الدالة على هذا المطلوب عند شرحها الى ذلك .

الحديث الاول مجهول .

قال : قال لي هشام بن الحكم : كان بمصر زنديق تبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام أشياء فخرج إلى المدينة لينظره فلم يصادفه بها وقيل له إنه خارج بمكة فخرج إلى مكة ونحن مع أبي عبدالله فصادفنا ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام في الطواف وكان اسمه عبد الملك وكنيته أبو عبدالله ف ضرب كتفه كتف أبي عبدالله عليه السلام ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام ما اسمك ؟ فقال : اسمي عبد الملك ، قال : فما كنتك ؟ قال : كنتي أبو عبدالله ؛ فقال له أبو عبدالله عليه السلام : فمن هذا الملك الذي أت عبده ؟ أمن ملوك الأرض أم من ملوك

قوله : كان بمصر زنديق : قال في القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرّب زن دين ، أي دين المرتدة « انتهى » وقيل : أنه معرّب زنده لأنهم يقولون بدوام الدهر ، وقيل : معرّب زنديّ منسوب إلى زند كتاب زردشت ، والظاهر أن المراد به هنا من لا يقرّ بالصانع تعالى .

قوله : أشياء : أي مما يدلّ على كمال علمه واحتجاجه على الزنادقة وغيرهم وعجزهم عن مقاومته .

قوله : بمكة : أي مقيماً بها ، أو الباء بمعنى « إلى » وقوله عليه السلام كتفه ، منصوب بمنزوع الخافض ، أي بكتفه .

قوله عليه السلام فمن هذا الملك : لعله عليه السلام سلك في الاحتجاج عليه أولاً مسلك الجدال ، لكسر سورة إنكاره ، ثم تركه عن الإنكار إلى الشك ، ثم أقام البرهان له عملاً بما أمر الله تعالى به نبيّه ﷺ في قوله : « وجادلهم بالتي هي أحسن » ^(١) فهذا هو الجدال لا مبتناؤه على ما هو المشهور عند الناس من أن الاسم مطابق للمسمّى ، ويحتمل أن يكون على سبيل المطابقة والمزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات ، و قصوره عن ردّ أوهن الشبهات ، ويمكن أن يكون منبهاً على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع وإن أنكروه ظاهراً للمعاندة والأغراض الفاسدة ، لأن كل

السماء؟ وأخبرني عن ابنك عبدإله السماء أم عبدإله الأرض؟ قل ما شئت تخصم قال هشام بن الحكم: فقلت للزنديق أما تردُّ عليه؟ قال: فقبِّح قولي فقال أبو عبد الله:

أحد إذا خلى نفسه عن الأغراض الفاسدة والوساوس الشيطانية عرف أنَّ له من يفرع إليه ويتكل عليه في الشدائد والمضايق ويرجو منه النجاة في المحن والمصائب، وذلك إلهه وعلته الأولى، وموجده وصانع السماوات والأرضين ومافيهنَّ، إلاَّ أنَّه لضعف علمه لا يعلمه إلاَّ بانيته على سبيل الإجمال، ولا يعرف ماله من صفات الكمال، كما نبه الله سبحانه عباده بذلك حيث قال «إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا» (١) وبه الصادق عليه السلام زنديقاً ثمَّ شرع عليه السلام في إزالة إنكار الخصم وإخراجه منه إلى الشك لتستعدَّ نفسه لقبول الحقِّ فأزال إنكاره بانه غير عالم بما في تحت الأرض، وليس له سبيل إلى الجزم بأنَّ ليس تحتها شيء ثمَّ زاده بياناً بأنَّ السَّماءَ التي لم يصعد بها كيف تكون له المعرفة بما فيها وما ليس فيها، وكذا المشرق والمغرب، فلما عرف قبح إنكاره وتنزَّل عنه وأقرَّ بالشكِّ بقوله: ولعلَّ ذلك، أخذ عليه السلام في هدايته وقال: ليس للشاكِّ دليل، ولا للجاهل حجة، فليس لك إلاَّ طلب الدليل فأقام له الدليل والبرهان، وبين الحقَّ له بأوضح البيان والمراد بملوك السَّماءِ الملائكة أو من كان خارجاً عن السَّماءِ والأرض مدبراً لهما، والاتيان بصيغة الجمع لأنَّه ليس المقام مقام إثبات التوحيد بل إثبات الصانع، أو الغرض ردَّ الاحتمالات المحتملة في بادى النظر، ولا يلزم تحقق كلِّها، قوله عليه السلام تخصم: على بناء المفعول أي ان تقل ما شئت تصير مخصوصاً مغلوباً بقولك وقرائته على بناء الفاعل أي تخصم نفسك لأن في نفسك ليس شيء من الشقيين كما قيل بعيد.

قوله فقبِّح قولي: على بناء المجزَّء أي كان كلامي حضوره عليه السلام بغير إذنه قبيحاً أو على بناء التفعيل أي عدَّ الزنديق قولي قبيحاً، ويحتمل حينئذ إرجاع ضمير

إذا فرغت من الطواف فأتنا ، فلما فرغ أبو عبد الله أنه الزنديق فقع بين يدي أبي عبد الله ونحن مجتمعون عنده ، فقال أبو عبد الله ﷺ للزنديق : أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً ؟ قال : نعم ؛ قال فدخلت تحتها ؟ قال : لا ، قال : فما يدريك ما تحتها ؟ قال : لأدري إلا أنني أظن أن ليس تحتها شيء ؛ فقال أبو عبد الله ﷺ : فالطن عجر ، لما لاستيقن ؟ ثم قال أبو عبد الله : أفصعدت السماء ؟ قال : لا ، قال : أفتردي ما فيها ؟ قال : لا ؛ قال : عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل الأرض ولم تصعد السماء ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد بما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ قال الزنديق : ما كلمني بهذا أحد غيرك ، فقال أبو عبد الله ﷺ : فأنت من ذلك في شك فلعلمه هو ولعلمه ليس هو ؟ فقال الزنديق : ولعل ذلك ؛ فقال أبو عبد الله ﷺ :

الفاعل اليه ﷺ .

قوله ﷺ لما لاستيقن : كذا في بعض النسخ بصيغة الخطاب وفي بعضها بصيغة الغيبة ، وفي بعضها لمن لا يستيقن ، وفي توحيد الصدوق مالم تستيقن بصيغة الخطاب فعلى الأول نسبة العجز الى الموصول على المجاز ، وعلى الثاني إمّا على بناء الفاعل بارجاع الضمير إلى الظان المعلوم بقرينة المقام والاسناد كما تقدم ، أو على بناء المفعول وهو أظهر ، وعلى الثالث قيل : يعنى من إستيقن شيئاً فيقول أظنه لمصلحة تقتضى ذلك فليس بعاجز في معرفته ، انما العجز اذ غير المتيقن ولا يخفى عدم الحاجة إلى هذا التكلف . قوله ﷺ عجباً لك . . . نصبه على المصدر أى عجبت عجباً لك ، أو على النداء أى يا عجباً لك .

قوله ﷺ ولم تجز هناك : أى لم تجز السماوات فتعرف الذى خلقهن ، و ما قيل . من انه اشارة إلى مكة أى هى غاية سفرك أو المعمور من الارض فلا يخفى بعدهما .

قوله ﷺ لعل ذلك : تصديق للشك على سبيل الشك للمصلحة ، أو المراد انه لعله لا يكون الصانع أى الشك لا يرفعكم توهماً منه انه ﷺ يكتفى بذلك

أيتها الرجل ! ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل بأخا أهل مصر !
نفهم عنّي فإنا لا نشك في الله أبداً ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان

لأنبات الصانع تعالى .

قوله ﷺ أما ترى الشمس والقمر ؟ استدل ﷺ على إنبات الصانع المجرد
المنزّه عن مشابهة المصنوعات بوجود ثلاثة : هذا أولها ، وهو بيان إبطال مازعموه من
استناد الحوادث السفلية الى الدورات الفلكية وعدم احتياجها الى علة أخرى سوى
ذواتها .

قوله ﷺ والليل والنهار : الظاهر أن الواو في قوله والليل للعطف ، والولوج
والرجوع متملقان بالشمس والقمر والليل والنهار جميعاً ، أما على البدلية أو بأخذ
الأولين واحداً والثانيين واحداً ، ويلجان ثاني مفعولي ترى ، أحوال وقد اضطرّ
مفعول وعلى الاول قد اضطرّ حال ، ويحتمل الحالية فيهما بأن يكون الرؤية بمعنى
النظر ، ويحتمل أن يكون الواو في قوله : والليل ، للحال فيكون قد اضطرّ مفعولاً
ثانياً والمراد بولوج الشمس والقمر غروبهما أو دخولهما بالحركات الخاصة في
بروجهما ، وبولوج الليل والنهار دخول تمام كل منهما في الآخر ، أو دخول بعض من
كل منهما في الآخر بحسب الفصول ، وقوله فلا يشتهان أى لا يشتهيه قدرهما بالدخول
والخلط بل محفوظ على نسق واحد حتى يعودا مثل ما كانا عليه ، وحاصل الاستدلال
أن لهذه الحركات اضطباطاً وتساقواً واختلافاً وتركيباً ، فالاضطباط يدل على عدم كونها
إرادية كما هو المشاهد من أحوال ذوى الإرادات من الممكنات ، والاختلاف يدل
على عدم كونها طبيعية فإن الطبيعة العادية للشعور لا تختلف مقتضياتها ، كما نشاهد
من حركات العناصر ، كما قالوا إن الطبيعة الواحدة لا تقتضى التوجه الى جهة
والانصراف عنها ، ويمكن ان يقال حاصل الدليل راجع الى ما يحكم به الوجدان من
ان مثل تلك الافعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يمكن صدورهما
عن الدهر والطبايع العادية للشعور والارادة ، وهذا أظهر معنى ، وإن كان الأول

فلا يشتبهان ويرجمان قد اضطرّا ليس لهما مكان إلا مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجمان ؟ وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار

أظهر لفظاً ، وحاصل الاستدلال على الأول على ما ذكره بعض المحققين أنه لاشك في حركات المتحرّكات من العلويات حركات ليست طبيعية للمتحرّك بها^(١) للانصراف عما يتحرّك إليه ، ولا إرادية للمتحرّك لانضباطها ودوامها وإنخفاضها الدالة على عدم اختلاف أحوال المتحرّك بالحركة من النشاط والكلال ، وحدوث ميل وغيرها التي يتحدّس منها بكونها غير إرادية للمتحرّك ، وكلّما وجدت الحركة كان المحرّك لها موجوداً لأن ما يخرج من العدم الى الوجود لا يمكن أن يخرج بنفسه ، بل يحتاج إلى موجد موجود مباين له ، لأن ما لا يكون موجوداً فيصير موجوداً لا يمكن أن يحصل له الوجود إلا بمحصل وسبب لا تصافه به ولا يجوز ان يكون ذلك المحصل للوجود ما هيته الخالية عن الوجود ، لأن إعطاء الوجود لا يتصور من غير الموجود ، واذ ليست طبيعية ، او إرادية للمتحرّك فلهما محرّك يضطرّه إلى الحركة ، والقاهر الذي يضطرّه إلى الحركة أقوى منه وأحكم ، لأن الضعيف لا يمكنه فهب القوى فلا يكون حالاً في المتحرّك محتاجاً إليه أو أكبر من أن يحاط بالمتحرّك أو يحصر فيه ، أو أن يتصف بمثل صفته الاضطرارية ولا بد أن ينتهي إلى محرّك لا يكون جسماً ، لأن الجسم لا يحرك الجسم إلا بالمجاورة والحركة ، أو إحداث محرّك في المتحرّك ، وإذ قد عرفت أن المحرّك ليس في المتحرّك

(١) توضيحه ان للحركة الطبيعية هرب عن حالة منافرة وطلب لحالة ملائمة ، وكل من الطلب والهرب في الحركة المستديرة محال امانه لا يمكن ان يكون تلك الحركة هرباً فلان ترك كل نقطة او وضع في الحركة المستديرة و هربه عن كل منهما عين التوجه الى تلك النقطة او الى مثل ذلك الوضع و الهرب عن الشيء بالطبع استحال ان يكون توجهاً اليه و اما انه لا يكون طلباً لحالة ملائمة فلان طلب كل نقطة او وضع في الحركة المستديرة و التوجه الى كل منهما عين تركه و هربه عن تلك النقطة او عن مثل ذلك الوضع و التوجه الى الشيء بالطبع استحال ان يكون هرباً عنه ولان الطبيعة اذا وصلت الجسم بالحركة الى الحالة المطلوبة سكنته وحينئذ يلزم دوام الليل اودوام النهار وصوره احدهما ... (كذا) (منه)

ليلاً؟ اضطرأ والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرأهما أحكم منهما وأكبر؛ فقال الزنديق: صدقت، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام:

فيكون التحريك بالحركة، والكلام في حركته كالكلام في حركة الأول، وينتهي لضرورة إنتهاء الاجسام المتحركة، ولكون جميعها محتاجة إلى خارج، لما تقرّر من أنّ الموجودات التي يحتاج كل واحد منها إلى موجد مباين له، يحتاج مجموعها إلى الموجد المباين له، وحكم الواحد والجملة لا يختلف فيه، لأن مجموعها مهيأت يصحّ عليها جملة أن تكون خالية عن الوجود، فانه كما يصحّ تحليل واحد منها إلى مهية وجود منتزع منها وإمتيازهما عند العقل في ملاحظتهما إمتيازاً لا يكون معه، وفي مرتبته خلط بينهما، ولذلك يحكم بكونه محتاجاً إلى سبب مباين له موجود كذلك، يصحّ على الجملة والمجموع منها متناهية ما كان يصحّ على كل واحد، وكذلك يصحّ على الجملة، والمجموع الغير المؤلفة من تلك الآحاد ما يصحّ على كل واحد منها، فإنّ العقل لا يفرّق في هذا الحكم بين الجملة المتناهية والجملة الغير المتناهية، كما لا يفرّق فيه بين الجملة المتناهية وكل واحد، فلا بدّ من محرّك لا يكون جسماً قاهر للمتحرك في حركته، فإن لم يكن له مبدء فهو المبدء الأول، وإن كان له مبدء فلا بدّ من مبدء أول، لما قرّرنا آنفاً، وإنما استدللّ من الحركة لضرورة احتياجها الى المحرّك لضرورة خروجها من العدم الى الوجود دون الاجسام، ولم يستدلّ من الكائنات الفاسدات لأنّ ما يتوهم أن لا مبدءاً له هي العلويات دون السفليات، ولأنّ الغالب القاهر على العلويات أحقّ بالغلبة على السفليات الظاهر تأثرها من العلويات، دون العكس « انتهى كلامه » ره .

قوله عليه السلام أحكم منهما: أمّا من الحكم بمعنى القضاء أى أشدّ قضاءً و أتمّ حكماً، وامن الأحكام بمعنى الاتقان على خلاف القياس كأفلس من الإفلاس، ولزوم كونه أحكم و أكبر لما يحكم به الوجدان من كون الفاعل أشرف وأرفع من المصنوع ذاتاً وصفة، وإيضاً القاسر لا بدّ من أن يكون أقوى من المقسور، وإيضاً لا بدّ من خلوّ

يا أخا أهل مصر إن الذي تذهبون اليه وتظنون أنه الدهر إن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردّهم وإن كان يردّهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون.

الصانع من الصفات التي بها احتاج المصنوع اليه من الترتيب والاحتياج والإمكان وغير ذلك كما سيأتي مفصلاً في الاخبار، فالمراد بالأكبر: الأكبر من أن يتصف بصفة المضطر، وقال بعض المحققين: أشار بكونه أحكم إلى عدم جواز احتياجه في وجوده إلى محلّ وموضوع، فلا يكون من أحوال المضطر وعوارضه بكونه أكبر إلى عدم جواز كونه محاطاً بما ألباه ومحصوراً فيه، فلا يكون قائماً بمحلّ ولا محاطاً للمضطرّ ومحصوراً فيه، أو المراد بالأكبر أكبر من أن يوصف بمثل صفة المضطرّ.

قوله عليه السلام يا أخا أهل مصر: هذا هو الوجه الثاني، وهو مشتمل على إبطال مذهب الخصم القائل بمبدئية الدهر للكائنات الفاسدات كقولهم: ان يهلكنا إلا الدهر.

قوله عليه السلام ان كان الدهر يذهب بهم: يحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى نوى العقول، إشارة إلى التناسخ الذي ذهبوا اليه، أو إلى الأعمّ تغليباً، والمراد بذهابهم وردّهم إعدامهم وإيجادهم، والمراد بالدهر الطبيعة كما هو ظاهر كلام أكثر الدهرية أي نسبة الوجود والعدم إلى الطبايع الإمكانية على السواء، فإن كان الشيء يوجد بطبعه، فلم لا يعدم بدله، فترجح أحدهما ترجيح بلا مرجح، تحكم بديهية العقل باستحالته أو المراد بذهابهم وردّهم تقلب أحوالهم وشؤونهم وحركاتهم، فالمنعنى لم يقتضى طبعه ذهاب شيء ولا يقتضى ردّه وبالعكس، بناء على أن مقتضيات الطبايع تابعة لتأثير الفاعل القادر القاهر، وعلى احتمال الثاني الذي أشرنا إليه في صدر الحديث يحتمل أن يكون المراد به أن الدهر العادم للشعور والارادة والعلم بالمصلحة كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة، ولا يصدر عنه بدله الرجوع المخالف لها وبالعكس وقوله عليه السلام القوم مضطرون أي الملاحدة والدهرية يلزمهم قبول ذلك بمقتضى عقولهم التي منحها الله تعالى لهم، ولا يمكنهم ردّه، أو المراد بالقوم جميع الممكنات تغليباً، والمراد به اضطرابهم في الوجود وما يتبعه من الصفات ولوازم المهيئات، قال بعض المحققين:

يا اخا اهل مصر لِمَ السماء مرفوعة والأرض موضوعة لِمَ لا يسقط السماء على الأرض، لِمَ لا تنحدر الأرض فوق طباقها ولا يتماسكان ولا يتماسك من عليها؟ قال الزنديق: أمسكهما الله ربهما وسيدهما، قال: فأمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام، فقال له حمزان: جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على

هذا استدلال باختلاف الأفعال الدالة باختلافها على كونها اختيارية غير طبيعية لفاعلها على أن الفاعل لها مختار، وبه على أنه لا يمكن أن الفاعل المختار لها هو الموصوف بالذهاب والرجوع، وبقوله: القوم مضطرون، أي في الذهاب والخروج من الوجود والرجوع والدخول فيه، فيجب أن يكون مستنداً إلى الفاعل القاهر للذاهبين والراجعين على الذهاب والرجوع، والدهر لا شعور له فضلاً عن الاختيار.

قوله عليه السلام: لِمَ السماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ هذا هو الوجه الثالث، وهو مبني على الاستدلال بأحوال جميع أجزاء العالم من العلويات والسفليات وارتباط بعضها ببعض وتلازمها، وكون جميعها على غاية الأحكام والإتقان اشتمالها على الحكم التي لا تنتهي أي لِمَ صارت السماء مرفوعة فوق الناس والأرض موضوعة تحتهم ولم يكن بالعكس؟ ولم لم تكونا ملتصقين، فلم يمكن تغيث الخلق على التقديرين، ولم لا تسقط السماء على الأرض بأن يتحرك بالحركة المستقيمة حتى تلتصق بالأرض؟ واما قوله لِمَ لا تنحدر الأرض فوق طباقها؟ فيحتمل إرجاع ضمير طباقها إلى السماء، فالمعنى لم لا تتحرك الأرض من تحتها بالحركة المستقيمة حتى تقع على السماء؟ ويحتمل إرجاعه إلى الأرض، فالمراد بالانحدار الحركة المستديرة أي لِمَ لا تتحرك الأرض كالسما فيغرقنا في الماء فالمراد بطباق الأرض أعلاها أي تنحدر بحيث تصير ما تحتها الآن فوق ما أعلاها منها الآن وقيل فيه احتمالات بعيدة لا طائل في التعرض لها.

قوله عليه السلام: فلا يتماسكان: أي في صورتى السقوط والانحدار، والمراد أنه ظهر أنه لا يمكنهما التماسك بل لابد من ماسك يمسكهما.

يدك فقد آمن الكفار على يدي ابيك ، فقال المؤمن الذي آمن على يدي ابي عبدالله عليه السلام : اجعلني من تلامذتك ؟ فقال أبو عبدالله : ياهشام بن الحكم خذه إليك وعلمه ، فعلمه هشام فكان معلم أهل الشام وأهل مصر الإيمان وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبدالله .

٢ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مَحْسَنِ الْمِيثَمِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي مَنْصُورِ الْمُتَطَبِّبِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ - وَأَوَّمَا يَدَهُ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ - مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أَوْجِبَ لَهُ اسْمُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ - يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ ابْنَ مُحَمَّدَ عليه السلام - فَأَمَّا الْبَاقُونَ فِرْعَاعٌ وَبَهَائِمٌ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ : وَكَيْفَ أَوْجِبَتْ هَذَا الْاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ : لَا بَدَّ مِنْ اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : لَا تَفْعَلْ

قوله على يدي ابيك : اى الرسول ﷺ او أمير المؤمنين عليه السلام فان الكفار آمنوا بسيفه.

قوله و كان معلم أهل الشام : الظاهر رجوع الضمير الى هشام ، ويحتمل إرجاعه الى المؤمن ، اى صار كاملاً بحيث صار بعد ذلك معلم أهل الشام وأهل المصر .

الحديث الثاني : ضعيف .

وميشم قد يصحح بكسر الميم وقد يصحح بفتحها .

قوله أوجب : على صيغة المتكلم او الماضى المجهول والاول أنسب بما

بعده .

قوله فرعاع : قال الجزري : رعا ع الناس اى غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاطهم

الواحد رعاعة .

فأبى أخاف أن يفسد عليك ما في يدك ، فقال : ليس ذا رأيك ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت ؛ فقال ابن المقفع : أما إذا توهمت علي هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ولا تنثنى عنائك إلى استرسال فيسلمك إلى عقاب وسمه مالك أو عليك ؟ قال : فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا و ابن المقفع

قوله عَلَيْكَ إحلالك : بالحاء المهملة ، وفي بعض النسخ بالجيم وهو تصحيف .

قوله : أما إذا توهمت : أما للشرط وفعله محذوف ومجموع الشرط الذي بعدها مع الجزاء جواب لذلك الشرط ، ويمكن أن يقرأ أما بالتخفيف حرف تنبيه ، ويسمى حرف استفتاح أيضاً ، وتعدية التوهم بعلی لتضمين معنى الكذب والافتراء .

قوله عَلَيْكَ ولا تنثنى : نفى في معنى النهي ، وفي التوحيد لا تنثن بصيغة النهي ، و هو أظهر ، وعلى التقديرين مشتق من الثنى وهو العطف والميل ، أى لا ترخ عنائك إليه بأن يميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه بعض ما يلقي إليك فيسلمك من التسليم أو الاسلام ، إلى عقاب وهي ككتاب ما يشد به يد البعير أى يعقلك بتلك المقدّمات التي تسلمت منه بحيث لا يبقى لك مفر كالبعير المعقول .

قوله عَلَيْكَ وسمه مالك وعليك : نقل عن الشيخ البهائي (قدّه) أنّه السوم من سام البايع السلعة يسوم سوماً إذا عرضها على المشتري ، وسامها المشتري بمعنى استامها ، والضمير راجع الى الشيخ على طريق الحذف والايصال ، والموصول مفعوله ، ويروى عن الفاضل التستري نور الله ضريحه ، انه كان يقرأ سمّه بضم السين وفتح الميم المشدّدة ، امرأ من سمّ الامر يسمّه إذا سيره ونظر الى غوره ، والضمير راجع الى ما يجرى بينهما ، والموصول بدل عنه ، وقيل : هو من سممت سمك أى قصدت قصدك ، والهاء للسكت أى قصد مالك وما عليك ، ويروى عن بعض الافاضل انه أمر من شمّ يشمّ بالشين المعجمة ، يقال شامت فلاناً اذا قاربته تعلم ما عنده بالكشف والاختبار ، والضمير عائد الى الشيخ و « ما » إستفهامية أى قاربه لتعرف مالك وما عليك وقد يقال : الواء للعطف على عقاب والسمّة : العلامة و « ما » في قوله : مالك ، نافية أى يسلمك

جالسين فلمّا رجع إلينا ابن أبي العوجاء قال : ويلك يا ابن المقفّع ما هذا يبشر و إن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا ؛ فقال له : وكيف ذلك ؟ قال : جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء - وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم وإن يكن الأمر على ما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استوتيتهم وهم ؛ فقلت له : يرحمك الله وأي شيء تقول وأي شيء يقولون ؟ ما قولي وقولهم إلا واحداً ؟ فقال : وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون : إن لهم معاداً وثواباً ودينون بأن في السماء إلهاً

إلى علامة ليست لك بل عليك ، أو موصولة والسمة مضافة إليها ، أي يسلمك إلى عارشي هولك بزعمك وفي الواقع عليك ويضرك ، ولا يخفى بعده ، والأظهر أنه أمر من رسم يسم سمة بمعنى الكي ، والضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلم به أي يجعل على ما تريد أن تتكلم به علامة لتعلم أي شيء لك وأي شيء عليك ، فالوصول بدل من الضمير أو مفعول فعل محذوف .

قوله : روحاني : قال في النهاية الروحانيون يروى بضم الراء وفتحها كأنه نسب إلى الروح أو الروح وهو نسيم الريح ، والألف والنون من زيادات النسب ، يريد أنهم أجسام لطيفة لا يدركهم البصر .

قوله يتجسّد : أي يصير ذا جسد وبدن يبصر به ويرى إذا شاء أن يظهر ، ويتروّح أي يصير روحاً صرفاً ويبطن ويخفى عن الأبصار .

وقوله باطناً إما بمعنى المصدر كقولك قمت قائماً ، أو تميز من يترّوح ، أي كونه روحاً صرفاً ، من جهة أنه باطن مخفي ، ويحتمل أن يكون مفعول المشية ، و يحتمل تقدير الكون أي إذا شاء أن يكون باطناً ، ويحتمل الحالية ولعله أظهر ، وفي التوحيد يتجسّد إذا شاء ظاهراً ، وهو أظهر للمقابلة ، وتأتي فيه الاحتمالات السابقة .
قوله ﷺ وهو على ما يقولون إعرض ﷺ الجملة الحالية بين الشرط والجزاء للإشارة إلى ما هو الحق ، ولئلا يتوهم أنه ﷺ في شك من ذلك ، وقوله يعني ،

وأتمّ تزعّمون أنّ السّماء خراب ليس فيها أحد ؛ قال : فاغتتمتها منه فقلت له : مامنعه إن كان إلاّ أمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وأرسل اليهم الرّسل ؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به ؟ فقال لي : ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك : نشؤك ولم تكن و كبرك بعد صغرك وقوّتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوّتك وسقمك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك ، وحزنك بعد فرحك و فرحك بعد

كلام ابن أبي العوجاء والكاف في كما زيادة أو اكتفى فيه بالمغايرة الاعتبارية ، والعطب: الهلاك .

قوله ﷺ ليس فيها أحد : أى لها أو عليها ، أو بالظرفيّة المجازية لجريان حكمه وحصول تقديره تعالى فيها .

قوله : مامنعه ... كلامه إمامبنى على القول بالجسم فأعرض ﷺ في الجواب عن التّعرّض لابطاله لعدم قابليته لفهم ذلك ، وقال : الظهور الذى يمكن له قد وجد منه لأنّ ظهور المجرّد إنّما يكون بآثاره أو المعنى مامنعه أن يظهر لخلقه غاية الظهور بنصب الدلائل الواضحة على وجوده قبل ارسال الرسل ، ويدعوهم إلى عبادته بعد ظهوره بنفسه ، أو بالرسل ، وكان هذا الزعمه أن أهل الاسلام إنّما استندوا في اثبات الصّانع تعالى بقول الرسل ، وحاصل الجواب على هذا أنّه تعالى لم يحل دليل وجوده على بيان الرسل ، بل أظهر للناس قبل بعثة الرسل من آثار صنعه ودلائل وجوده عمله وقدرته وحكمته واستحقاقه للعبادة ما أغناهم عن بيان الرسل في ذلك ، وإنّما الاحتياج إلى الرسل لبيان خصوصيات الأمور الشرعيّة وسائر الأمور العقليّة التي لا يمكن للعقل الوصول إليها إلاّ ببيانهم ﷺ .

قوله ﷺ نشؤك : هو مصدر نشأ نشأً ونشوءاً على فعل وفعلول اذا أخرج و ابتدأ وهو منصوب على أنّه بدل من قدرته أو مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف يعود إليها .

حز لك وحبك بعد بفضك وبفضك بعد حبك وعزمك بعد أفاك وأفاك بعد عزمك و
شهوتك بعد كراحتك وكراحتك بعد شهوتك ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك
ورجاءك بعد يأسك ويأسك بعد رجائك ، وخطرك بما لم يكن في وهمك وعزوب ما
أنت معتقده عن ذهنك وما زال يعدد على قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى

قوله ﷺ بعد أفاك : الأناة على وزن القناة إسم من تأنى في الأمر إذا تفرق
وتنظر ، وأتاد فيه ، وأصل الهمزة الواو من الونى وهو الضعف والفتور ، وضبطه بعض
المحققين بالباء الموحدة التحتانية والهمزة بعد الألف ، والإباء : الامتناع والاستنكاف
كما في توحيد الصدوق ، وربما يقرأ بالنون والهمزة بمعنى الفتور والتأخر والابطاء.
قوله ﷺ وخطرك : الخطر من الخطور وهو حصول الشيء مشعوراً به في
الذهن ، والخطر في الأصل المشعور به الحاصل في الذهن ، ثم شاع استعماله في المشعر
المدرَك له من حيث هو شاعر به ، واستعمل هاهنا في الإدراك والشعور ، أو استعمل
بمعنى المصدر كما في قمت قائماً ، ويكون المعنى خطورك بما لم يكن في وهمك من
باب القلب ، كذا قيل ، والعزوب بالعين المهملة والزأى المعجمة : الغيبة والذهاب ،
وحاصل استدلاله ﷺ أنك لما وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من
مقدوراتك ضرورة علمت أن لها بارءاً قادراً ، وكيف يكون غائباً عن الشخص من
لا يخلو الشخص ساعة عن آثار كثيرة ، يصل منه إليه ، وقال بعض الأفاضل : وتقرير
الاستدلال أنه لما وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من مقدوراتك ضرورة ،
علمت أن لها بارءاً قادراً ، أما كونها من آثار القدرة فلكونها حادثة محكمة متقنة غاية
الإحكام والإتقان ، فإن حصول الشخص الانساني بحياته ولوازمها لا بد له من فاعل
مباين له ، ويدل ذلك على وحدته تلائم ما فيه من الأحوال والأفعال وتغيير أحواله بعد
إتقانها ، وعدم ثباته على حال واحدة تدل على كون الفاعل لها قادراً مختاراً يفعل
بحكمته ومشيته ، وهذه الأحوال المتغيرة كثيرة وقعد ﷺ كثيراً منها لاشبهة في

ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه .

٣ - عن بعض أصحابنا رفعه وزاد في حديث ابن أبي العوجاء حين سأله أبو عبد الله عليه السلام قال : عاد ابن أبي العوجاء في اليوم الثاني إلى مجلس أبي عبد الله عليه السلام فجلس وهو ساكت لا ينطق فقال أبو عبد الله عليه السلام : كأنك جئت تعيد بعض ما كنا فيه ؟ فقال : أردت ذلك يا ابن رسول الله فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنني ابن رسول الله ! فقال : العادة تحملني على ذلك ؛ فقال له العالم عليه السلام فما يمنعك من الكلام ؟ قال : إجلالاً لك ومهابة ما ينطلق لساني بين يديك فأنني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبة قط مثل ما تداخلني من هيبتك ، قال : يكون ذلك ولكن أفتح عليك سؤال وأقبل عليه فقال له : أمصنوع أنت أو غير مصنوع ؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء : بل أنا غير مصنوع فقال له العالم عليه السلام : صف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فبقي عبد الكريم ملياً لا يحير جواباً و ولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول طويل عريض عميق قصير متحرّك ساكن كل ذلك صفة خلقه ، فقال

إنها ليست من فعل النفس الإنسانية وأنها من فاعل مبين قادر على إحداثها بعد مالم يكن .

الحديث الثالث مرفوع ، وليس هذا الحديث في أكثر النسخ لكنه موجود في توحيد الصدوق ورواه عن الكايني ويدل على أنه كان في نسخته ولذا شرحناه مجملًا .

قوله : لا يحير جواباً : بالمهملة أي لا ينطق به ولا يقدر عليه ، والولوع بالشئ الحرص عليه والمبالغة في تناوله .

قوله : كل ذلك صفة خلقه : أي خلق الخالق والصانع ويمكن أن يقرء بالتاء أي صفة المخلوقة ، والحاصل أنه لما سئله الإمام عليه السلام عنه أنك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات التي أنت عليها الآن أم لا ؟ أقبل يتفكر في ذلك فتنبّه أن صفاته كلها صفات المخلوقين ، وكانت معاندته مانعة عن الإذعان بالصانع تعالى ،

له العالم : فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور ، فقال له عبد الكريم : سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنك لا تسأل فيما بعد ، على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك لا أنك تزعم أن الأشياء من الأول سواء فكيف قدّمت وأخّرت ؛ ثم قال : يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً أرايت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل : هل في الكيس دينار ؟ فنفيت كون الدينار في الكيس ، فقال لك صف لي الدينار و كنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لا تعلم ؟ قال : لا ، فقال : أبو عبد الله عليه السلام فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس ، فلعل في العالم صنعة

فبقى متحيراً فقال عليه السلام : إذا رجعت إلى نفسك و وجدت في نفسك صفة المخلوقين ، فلم لاتذعن بالصانع ؟ فاعترف بالعجز عن الجواب وقال : سألتنى عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ، ولا يسألني أحد بعدك .

قوله هبك : أى افرض نفسك أنك علمت ماضى وسلّمنا ذلك لك ، قال الفيروز آبادى : هبنى فعلت أى احسبني فعلت وأعددتى ، كلمة للامر فقط وحاصل جوابه عليه السلام أولاً : أنك بنيت أمورك كلها على الظن والوهم لأنك تقطع بأنك لا تسأل بعد ذلك عن مثلها ، مع أنه لا سبيل لك إلى القطع به ، وأما قوله عليه السلام على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك ... يحتمل وجوهاً :

الأول : أن يكون المراد أن نفيك للصانع مبنى على أنك تزعم أن لعلية بين الأشياء ونسبة الوجود والعدم إليها على السواء ، والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنما يكون بالعلية والمعلولية فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل ؟ فيكون المراد بالتقدّم والتأخر العلية والمعلولية أو ما يساوتهما .

الثاني : أن يكون مبنياً على ما علمهم كانوا قائلين به ، وربما أمكن إلزامهم بذلك بناء على نفي الصانع من أن الأشياء متساوية غير متفاوتة في الكمال والنقص ، فالمراد

من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة ، فانقطع عبدالكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض .

فعاد في اليوم الثالث فقال : ألقب السؤال فقال له أبو عبد الله عليه السلام : سل عما شئت فقال : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال : إنني ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضمَّ إليه مثله صار أكبر وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ولو كان قديماً ما زال ولا حال لأنَّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد و يبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأزل دخوله في العدم ولن تجتمع صفة الأزل والعدم و الحدوث والقدم في شيء واحد ، فقال عبدالكريم : هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت بذلك على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثهن ؟ فقال العالم عليه السلام : إنما تتكلم على هذا العالم الموضوع فلورفعناه ووضعناه عالماً آخر كان لشيء أدل على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره ولكن أجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا فنقول : إن الأشياء

أنك كيف حكمت بتفضيلي على غيري وهو مناف للمقدمة المذكورة ، فالمراد بالتقدم والتأخر ما هو بحسب الشرف .

الثالث : أن يكون مبنياً على ما ينسب الى أكثر الملاحظة من القول بالكمون والبروز ، اى مع قولك بكون كل حقيقة حاصلة في كل شيء كيف يمكنك الحكم بتقدم بعض الاشياء على بعض في الفضل والشرف .

قوله عليه السلام وفي ذلك زوال وانتقال : حاصل استدلاله عليه السلام إنما راجع إلى دليل المتكلمين من ان عدم الإفساك عن الحوادث يستلزم الحدوث ، أو إلى أنه لا يخلو إما أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيرة قديماً أم لا ، بل يكون كلها حوادث وكل منهما محال ، أما الاول فلما تقرّ رعد الحكماء من أن ما ثبت قدمه إمتنع عدمه ، وأما الثاني فللزوم التسلسل بناءً على جريان دلائل إبطاله في الامور المتعاقبة ، ويمكن أن يكون مبنياً على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من ان كل قديم

لودامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضم شيء إلى مثله كان أكبر و في جواز التغير عليه خروجه من القدم كما أن في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراء شيء يا عبد الكريم فانقطع وخزي .

فلما كان من العام القابل إلتقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته : إن ابن أبي العوجاء قد أسلم فقال العالم عليه السلام : هو أعمى من ذلك لا يسلم ، فلما بصر بالعالم قال : سيدي ومولاي ، فقال له العالم عليه السلام : ما جاء بك إلى هذا الموضع ؟ فقال : عادة الجسد وسنة البلد ولننظر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة ؟ فقال له العالم عليه السلام : أت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم فذهب يتكلم فقال له عليه السلام : لا جدال في الحج ونفض ردائه من يده وقال : إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا و نجوت وإن يكن الأمر كما تقول - وهو كما تقول - نجونا وهلك ، فأقبل عبد الكريم على من معه فقال : وجدت في قلبي حزازة فردوني فردوني فمات لارحمه الله .

يكون واجبا بالذات ولا يكون المعلول إلا حادثا ، ووجوب الوجود ينافي بالتغير ولا يكون الواجب محلا للحوادث كما برهن عليه ، ثم قال ابن أبي العوجاء : لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغير ؟ فأجاب عليه السلام : أولا على سبيل الجدل بأن كلامنا كان في هذا العالم الذي نشاهد فيه التغيرات ، فلو فرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعترضه التغير ، فزال هذا العالم دل على كونه حادثا ، والا لما زال ، وحدث العالم الثاني أظهر ، ثم قال : ولكن أجيبك من حيث قدرت بتشديد الدال ، اى فرضت لان تلزمتنا ، أو بالتخفيف اى زعمت انك تقدر أن تلزمتنا ، وهو بأن تفرض في الاول مكان هذا العالم عالما لا يكون فيه التغير ، فنقول بحكم العقل بأن الاجسام يجوز عليها ضم شيء إليها ، وقطع شيء منها ، وجواز التغير عليه يكفي لحدوثها بنحو ما مر من التقرير .

٤ - حدثني محمد بن جعفر الأسدي ، عن محمد بن إسماعيل البرمكي الرّازي عن الحسين بن الحسن بن برد الدينوري ، عن محمد بن علي عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال : دخل رجل من الرّفاقة على أبي الحسن عليه السلام وعنده جماعة فقال أبو الحسن عليه السلام : أيّها الرّجل أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون - ألسنا وإياكم شرعاً سواء ، لا يضرنا ما صليتنا وصمنا وزكينا وأقرنا ؟ فسكت الرّجل ثم قال أبو الحسن عليه السلام : وإن كان القول قولنا - وهو قولنا - ألسنتم قد هلكتم ونجونا ؟ فقال رحمك الله أوجدني كيف هو وأين هو ؟ فقال : وبلك إن الذي ذهبت إليه غلط ، هو أين الأين بلاين وكيف بالكيف فلا يعرف بالكيفيّة ولا باینویّة ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء .

الحديث الرابع : ضعيف .

إذا الظاهر أن محمد بن علي هو أبو سميعة كما صرح به في التوحيد .
قوله أوجدني : يقال أوجده الله مطلوبه أي أظفّره به ، أي أفدني كيفيته ومكانه وأظفّرني بمطلبي الذي هو العلم بالكيفيّة .

قوله عليه السلام هو أين الأين : أي جمل الأين أيناً بناء على معموليّة الماهيات أو أوجد حقيقة الأين فيصدق عليها بعد الایجاد الأين ، وكذا الكيف ، والكيفيّة والأينونية : الاتصاف بالكيف والأين ، وفي التوحيد بكيفيّة من غير أداة التعريف كنظيرتها ، وقيل : المعنى أنّه لما أوجد حقيقة الأين وحقيقة الكيف ، فكان متقدماً على وجودهما ، فلا يعرف بالاتّصاف بهما ، وبكونه ذاكيف وأين ، وذلك بأنّه هو مبدء قبل وجود الكيف والأين ، ولا يعرف المبدء بكونه ذاكيفية أو أين ، ولأنّ الخالق الموجد لشيء متعال عن الاتّصاف به لأنّ الاتّصاف خروج من القابليّة الى الفعلية ، والقابل خال عن الوصف قبل الاتّصاف عادم له ، والعادم لشيء وللاكمل والأتمّ منه لا يكون معطياً له ، فالفاعل الخالق لا يكون معطياً نفسه ما يستكمل به ، ولأنّ المبدء الأوّل لمّالم يجر عليه الخلو من الوجود ، فلو كان فيه قابليّة الصفة لكان له جهتان ، ولا يجوز

فقال الرجل : فإذاً أنه لاشيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : وملك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ١٩ ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقننا أنه ربنا بخلاف شيء من الأشياء .

قال الرجل : فأخبرني متى كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن

إستنادهما فيه إلى ثالث ، إذلا ثالث في تلك المرتبة ، ولاإستناد أحدهما إلى الآخر إذ لا يوجب القابلية فعلية الوجود لذاته ، ولا فعلية الخلو عن كماله ، والاستعداد لما هو نقص له ، ولأنّ الأين لا يكون إلاّ لمقدّر ، ولا يجوز عليه التقدير بالمقدار كما سببته ، ولا يدرك بحاسة إذلا كيفية له ولا إحساس إلاّ بأدراك الكيفية ، ولا يقاس بشيء أى لا يعرف قدره بمقياس إذلا أين ولا مقداره ، فقال الرجل : فإذاً أنه لاشيء يعنى أردت بيان شأن ربك فإذاً الذى ذكرته يوجب نفيه ، لأنّ ما لا يمكن إحساسه لا يكون موجوداً ، أو المراد أنه فإذا هو ضعيف الوجود ضعفاً يستحقّ أن يقال له لاشيء .

وقوله عليه السلام لما عجزت حواسك عن إدراكه أى جعلت تعاليم عن أن يدرك بالحواس وعجزها عن إدراكه دليلاً على عدمه أو ضعف وجوده ، فأنكرت ربوبيته ونحن إذا عرفناه بتعاليه عن أن يدرك بالحواس أيقننا أنه ربنا ، بخلاف شيء من الأشياء ، أى ليس شيء من الأشياء المحسوسة ربنا لأنّ كلّ محسوس نودضع ، وكلّ ذى وضع بالذات منقسم بالقوة إلى أجزاء مقدارية لا إلى نهاية ، لاستحالة الجوهر الفرد ، وكلّ منقسم إلى أجزاء مقدارية يكون له أجزاء متشاركة في المهية ، ومشاركة للكل فيها ، وكلما يكون كذلك يكون محتاجاً إلى مبدء مغاير له ، فلا يكون مبدء أوّل بل يكون مخلوقاً ذامبدء ، فماهو مبدء أوّل لا يصحّ عليه الإحساس ، فالتعالى عن الإحساس الذى جعلته مانعاً للربوبية وباعثاً على إنكاره مصحّح للربوبية ودلالة على اختصاصه بصحة الربوبية بالنسبة إلى الأشياء التى يصحّ عليها أن يحس .

قوله : فأخبرني متى كان ؟ الظاهر أنه سئل عن ابتداء كونه [وتكوّنه] ووجوده

فاخبرك متى كان ، قال الرجل : فما الدليل عليه ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : أتني لما نظرت الى جسدي ولم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكروه عنه وجر المنفعة اليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السحاب وتصرف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم و

فأجاب عليه السلام بأن ابتداء الزمان إنما يكون لحادث كان معدوماً ثم صار موجوداً ، وهو سبحانه يستحيل عليه العدم ، وجواب هذا السؤال سقط من قلم نسّاخ الكليني ، وفي توحيد الصدوق (ره) هكذا : قال الرجل : فأخبرني متى كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان ، قال الرجل : فما الدليل عليه ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أتني لما نظرت « الى آخر الخبر » ويحتمل أن يكون مراد السائل السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى ، فعلى هذا يكون حاصل الجواب أن الكائن في الزمان إنما يكون فيه بتغير وتبدل في ذاته أو صفاته الذاتية لأن الزمان نسبة المتغير الى المتغير ، فيكون بحال في زمان آخر ، والمتعالى عن التغير في الذات والصفات الذاتية لا يصح عليه « لم يكن فكان » ، وإنما يصح متى كان لما يصح أن يقال متى لم يكن ، لعدم انفكاك الزماني عن التغير في ذاته أو صفاته الذاتية ، وقيل : تحقيق الجواب ما تحقق في الحكمة الإلهية أنه لا يكون لوجود شيء متى إلا إذا كان لعدمه متى ، وبالجمله لا يدخل الشيء في مقولة متى بوجوده فقط ، بل بوجوده وعدمه جميعاً ، فإذا لم يصح أن يقال لشيء متى لم يكن وجوده لم يصح أن يقال متى كان وجوده .

قوله عليه السلام : أتني لما نظرت : هذا استدلال بما يجده في بدنه من أحواله وانتظام تركيبه وإشتماله على ما به صلاحه ونظامه ، وعدم استنادها اليه بكونها من آثار القدرة وعدم قدرته عليها ، وبالعلويّات وحركاتها المنسقة المنتظمة المشتملة على اختلاف لا يمكن أن يكون طبيعياً لها ، ولا إرادياً لها ، وبما يحدث بينها وبين الأرض وانتظام الجميع نظاماً دالاً على وحدة ناظمها ومدبرها وخالقها ، على أن لهذا العالم المنتظم

غير ذلك من الآيات العجيبات المبيّنات علمت أن لهذا مقدراً و منشأ .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن إسحاق الخفاف أو عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق قال : إن عبد الله الديصاني سأل هشام بن الحكم فقال له : ألك رب ؟ فقال : بلى ، قال : أقدر هو ؟ قال : نعم قادرٌ قاهرٌ قال : يقدر أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا ؟ قال هشام : النظرة فقال له : قد أنظرتك حولاً ، ثم خرج عنه فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فقال : يا ابن رسول الله أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس الموعول فيها إلا على الله وعليك ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : عما تسألك ؟ فقال : قال لي : كيت وكيت ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام كم حواسك ؟ قال خمس قال : أيها أصغر ؟ قال الناظر قال : وكم قدر الناظر ؟ قال : مثل العدسة أو أقل منها فقال له : يا هشام ! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى ، فقال : أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وأنهاراً فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادرٌ أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر

المشاهد من السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما مقدراً ينتظم بتقديره ومنشأ يوجد بإشائه .

الحديث الخامس : مجهول ، والديصاني بالتحريك من داص يديص ديصاناً إذا زاغ ومال ، ومعناه الملهود .

النظرة : أي أسألك النظرة ، وهي التأخير في المطالبة للجواب ، وفي القاموس : كيت وكيت ويكسر آخرها أي كذا وكذا والتاء فيهما هاء في الأصل .

قوله عليه السلام : إن الذي قدر أن يدخل ، أي على أن يدخل ، وحذف حرف الجر عن أن وأن قياسي ، يمكن أن يؤل بوجوه : الأول : أن يكون غرض السائل أنه هل يجوز أن يحصل كبير في صغير بنحو من أنحاء التحقق ؟ فأجاب عليه السلام بأن له نحواً من التحقق ، وهو دخول الصورة المحسوسة المتقدرة بالمقدار ، الكبير بنحو الوجود الظلي في الحاسة أي مادتها الموصوفة بالمقدار الصغير ، والقرينة على أنه كان مراده

البيضة ، فأكب هشام عليه وقبل يديه ورأسه ورجليه وقال : حسبي يا ابن رسول الله
و انصرف إلى منزله ؛ وغدا عليه الديباني فقال له : يا هشام إنني جئتكم مسلماً ولم أجئكم

المعنى الاعم أنه قنع بالجواب ولم يراجع فيه باعتراض .

الثاني : أن يكون المعنى أن الذي يقدر على أن يدخل ما تراها العدسة لا يصح أن
ينسب إلى العجز ، ولا يتوهم فيه أنه غير قادر على شيء أصلاً ، وعدم قدرته على ما ذكرت
ليس من تلقاء قدرته لقصور فيها ، بل إنما ذلك من نقصان ما فرضته حيث أنه محال
ليس له حظ من الشيئية والامكان ، فالغرض من ذكر ذلك بيان كمال قدرته تعالى
حتى لا يتوهم فيه عجز .

الثالث : أن المعنى أن ما ذكرت محال وما يتصور من ذلك إنما هو بحسب
الوجود الانطباعي ، وقد فعله فما كان من السؤال له محمل ممكن فهو تعالى قادر عليه ،
وما أردت من ظاهره فهو محال لا يصلح لتعلق القدرة به .

الرابع : وهو الاظهر أن السائل لما كان قاصراً من فهم ما هو الحق ، معانداً
فلو أجاب عليه صريحاً بعدم تعلق القدرة به له لتشبث بذلك ولج وعاند فأجاب عليه
بجواب متشابه له وجهان ، لعلمه عليه السلام بأنه لا يفرق بين الوجود العيني والانطباعي ،
ولذا قنع بذلك ورجع .

ولذا أجابوا عليه غيره من السائلين بالحق الصريح ، كما رواه الصدوق في التوحيد
بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان ابليس قال لعيسى بن مريم عليه السلام أيقدر ربك
على أن يدخل الارض بيضة لا تصغر الارض ولا تكبر البيضة ؟ فقال عيسى عليه السلام : وملك
ان الله لا يوصف بعجز ، ومن أقدر ممن يلطف الارض ويعظم البيضة ، وروى بسند آخر
عنه عليه السلام انه قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في
بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى
العجز ، والذي سئلتني لا يكون ، وروى أيضاً بسند آخر عنه عليه السلام انه قال : جاء رجل
إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا متقاضياً

للجواب ، فقال له هشام : إن كنت جئت متقاضياً فهناك الجواب ، فخرج الديبصاني عنه حتى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فلما قعد قال له : يا جعفر بن محمد ! دلني على معبودي ؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما اسمك ؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ قال : لو كنت قلت له : عبد الله ، كان يقول : من هذا الذي أنت له عبد ، فقالوا له : عُد إليه وقل له يدلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك ، فرجع إليه فقال له : يا جعفر بن محمد دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي ؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : اجلس وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال له أبو عبد الله عليه السلام : فاولني يا غلام البيضة فناوله إياها فقال له أبو عبد الله عليه السلام : يا ديبصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة

تصغر الارض ولا تكبر البيضة ؟ فقال له : ويلك إن الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر ممن يلطّف الارض ويعظم البيضة ، فقله عليه السلام : من أقدر ممن يلطّف الارض ، إشارة إلى أن المتصور المحصل المعنى من دخول الكبير في الصغير صيرورة الكبير صغيراً وبالعكس ، وهذا المتصور مقدور له سبحانه وهو قادر على كل ما لا يستحيل ، والحاصل أنه قادر على كل شيء يدرك له معنى ومهيّة ، والمستحيل لامهيّة ولا معنى له كما قيل .

ثم أعلم أنه على التقادير كلها يدل على أن الإبصار بالانطباع وإن كان فيما سوى الثاني أظهر ، وعلى الرابع يحتمل أيضاً أن يكون إقناعياً مبنياً على المقدمة المشهورة لدى الجمهور أن الرؤية بدخول المرئيات في العضو البصري ، فلا ينفي كون الإبصار حقيقة بخروج الشعاع .

قوله فهناك الجواب : «ها» بالقصر والمدّ وهاك كلّها اسم فعل بمعنى خذ .

قوله عليه السلام هذا حصن مكنون : الحصن كل موضع حصين محكم ، والكن : وقاء كل شيء وستره ، ولعلّ المعنى أنه مستور من جميع الجهات ليس له باب أصلاً لئلا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء ، له جلد غليظ لئلا ينكسر بأدنى شيء ولا ينفذ

مائعة وفضة ذائبة فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل

فيه الهواء ليفسده ، و ليست غلظته بحيث لا يتمكن الدجاجة من كسره حين الانفلاق ، ولا تؤثر حرارتها المعدة لتكوين الفرخ فيه ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق مناسب للملائمة ، لما فيه برزخ بينه وبين الجلد الغليظ لئلا يفسد ما فيه بمماسة الجلد الغليظ الصلب ، وتحت الجلد الرقيق ذبابة مائعة اى تحته جسم شبيه بالذهب المائعة ، وجسم شبيه بالفضة الذائبة ، والذوب ضد الجمود ويقاربه الميعان ، لكن الذوب يستعمل فيما من طبعه الجمود ، والميعان يستعمل فيه وفي غيره ، ولما كان الجمود في طبع الفضة أكثر ، فلذا خص الذوب بها ، ولعله لأنه شبيهه بالحصون المعروفة كما يظهر من الترشيدات المذكورة .

وفي كتاب الاحتجاج عن إصلاحها وعن إفسادها على بناء الافعال فيهما ، وحاصل الاستدلال أن ما في البيضة من الاحكام والايقان والاستتمال على ما به صلاحها وعدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيئتين ، والحال انه ليس فيها مصلح حافظ لها من الأجسام ، فيخرج مخبراً عن صلاحها ولا يدخلها جسماني من خارج فيفسدها فيخبر بعد خروجه عن فسادها ، وهي تنفلق عن مثل الوان الطواويس مع عدم علمنا بكيفية خلق أعضائها وأجزائها وكونها ذكراً أو أنثى ، فهذا كله دليل على أن ذلك ليس من فعل أمثالنا لعدم دخولنا فيها وخر وجنابها ، وإصلاحنا لها وإفسادنا لها وجهلنا بما هي مستعدة له من الصلاح والفساد ، وبما هي صالحة له من الذكر والانثى .

والحاصل أن أمثال هذه الأمور اذا صدرت من أمثالنا فلا بد فيها من مباشرة ومزاولة وعلم وخبر ، ولا يجوز أيضاً أن تتأني بأنفسها أو من طبائعها العديمة للشعور ، فلا بد من فاعل حكيم وصانع مدبر عليم ، ولا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها والإفساد إلى ما يدخل فيها ، لأن هذا شأن أهل الحصن الحافظين له ، وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة .

فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا يدري للذكر خلقت أم لا أنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبراً ؟ قال : فأطرق ملياً ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنتك إمام وحقّة من الله على خلقه وأنائب ممّا كنت فيه .

عـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك ، إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويتين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما

قوله عليه السلام تنفلق : لعلّه ضمن معنى الكشف .

قوله عليه السلام أترى^(١) له مدبراً : إستفهام تقرير أو إنكار ، أي لا ترى لها مدبراً من أمثالنا ، فلا بدّ لها من مدبر غير مرئي ولا جسم ولا جسماني لا يحتاج علمه بالاشياء إلى الدخول فيها والدنو منه مطلقاً .

قوله عليه السلام فأطرق ملياً : أي سكت ناظراً الى الأرض زماناً طويلاً .

الحديث السادس : مجهول .

قوله عليه السلام لا يخلو قولك : أقول يمكن تقرير الاستدلال المذكور في هذا الخبر بوجوه ، ولنشرها هنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ، ثم لنذكر ما يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الذي هو من غوامض الاخبار ، فأما البراهين .
فالأوّل : أنّه لما ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدّد لكان إمتياز كلّ منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخيصهما إلى أمر خارج ، وكلّ محتاج ممكن .

الثاني : أنّه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود الآحاد ، سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين أو أمراً زائداً عليه ، ولكن هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الاجزاء ، والمحتاج الى الغير ممكن محتاج الى المؤثر والمؤثر في الشيء يجب أن يكون مؤثراً في واحد من أجزائه ، وإلّا لم يكن

(١) كذا في النسخ لكن في المتن « أترى لها . . » بتأنيث الضمير .

من الأجزاء لكون كل من الجزئين واجباً فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير فيه ، أو إمكان ما فرض وجوبه الى غير ذلك من المفاسد .

الثالث : برهان التمانع ، وأظهر تقريراته ان وجوب الوجود يستلزم القدرة والقوة على جميع الممكنات قوة كاملة بحيث يقدر على إيجادها ودفع ما يصادف مطلقاً ، وعدم القدرة على هذا الوجه نقص ، والنقص عليه تعالى محال ضرورة ، بدليل إجماع العقلاء عليه ، ومن المحال عادة إجماعهم على نظرى ، ولئن لم يكن ضرورياً فنظرى ظاهر متسق الطريق ، واضح الدليل واستحالة إجماعهم على نظرى لا يكون كذلك أظهر ، فنقول حينئذ لو كان في الوجود واجباً لكانا قويتين وقوتهما يستلزم عدم قوتهما لأن قوة كل منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريد نفسه من الممكنات ، والمدفوع غير قوى بهذا المعنى الذى زعمنا انه لازم لسلب النقص .

فان قلت : هذا انما يتم لو كان إرادة كل منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لصدّه ممكناً وبالعكس ، وليس كذلك بل إرادة كل منهما له بشرط إرادة الآخر لصدّه ممتنع ، ونظير ذلك ان إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضدّه محال ، ولا يلزم منه نقص ؟

قلت : إمتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير ، وامتناعه بالغير يحقق النقص والعجز ، تعالى عن ذلك ، وأما امتناع إرادة الشيء بشرط وجود ضدّه فمن باب إمتناع إرادة المحال الذاتى وإن كان إمتناع الإرادة امتناعاً بالغير ، ومثله غير ملزوم للنقص ، بخلاف ما نحن فيه ، فان المراد ممتنع بالغير .

فان قلت : وجود الشيء كما يمتنع بشرط ضدّه ونقيضه ، كذلك يمتنع بشرط ملزوم ضدّه ونقيضه ، والاول إمتناع بالذات ، والثانى إمتناع بالغير ، وكما أن إرادة

الاول منه تعالى محال ولا نقص فيه ، كذلك إرادة الثاني ، وظاهر ان إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبيل الثاني ، فينبغي أن لا يكون فيه نقص ؟ قلت : فرق بين الأمرين ، فان وجود الممكن اذا قيد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعاً ولو بالغير ، ولم يتعلق به إرادة ضرورة ، وأما إذا لم يقيد الوجود به بل أطلق ، فغير ممتنع ، فيمكن تعلق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم النقيض بأن يدفع الملزوم وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أو من دافع آخر ، بخلاف إرادة الآخر له ، فإنه لو لم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلق به الإرادة ضرورة ، فهو مدفوع ، وإلا فالآخر مدفوع ، فصار حاصل الفرق حينئذ ان الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدين في زمان الضد الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى وهو أى الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لا ينافي الاستقلال والقدرة كما لا ينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتي ، بخلاف ما نحن فيه ، فإنه إحتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات .

لا يقال : لعل إفتاء إرادة الآخر واجب بنفسه ، ولا نسلم منافات توسط الواجب بالذات بين الفاعل وفعله ، لا استقلاله وإستلزامه النقص ؟ لاننا نقول : الأول بين البطلان فان تحقق إرادة الآخر وانتفاؤها ممكن في نفسه لكنه ينتفى فيما نحن فيه من قبل ذي الإرادة لو انتفى ، فيكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل ولا مستندة إليه ، وأما الثاني فربما تدعى البداهة في استلزامه النقص وهو غير بعيد ، وبهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه .

الرابع : تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدواني وهو انه لا يخلو أن يكون قدرة كل واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم ، ولا شيء منهما كاف أو أحدهما كاف فقط ، وعلى الأول يلزم اجتماع المؤثرين التامتين على معلول واحد ، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنهما لا يمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر ، وعلى الثالث

لا يخلو قولك انهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون احدهما

لا يكون الآخر خالفاً فلا يكون إلهاً « أفمن يخلق كمن لا يخلق » .

لا يقال : إنما يلزم العجز اذا اتفت القدرة على الإيجار بالاستقلال ، أما اذا كان كل منهما قادراً على الإيجاد بالاستقلال ، ولكن اتفقا على الإيجاد بالاشتراك فلا يلزم العجز ، كما ان القادرين على حمل خشبة بالانفراد قديشتركان في حملها ، و ذلك لا يستلزم عجزهما ، لأن إرادتهما تعلقت بالاشتراك ، وإنما يلزم العجز لو أراد الاستقلال ولم يحصل .

لأننا نقول : تعلق إرادة كل منهما إنكان كافياً لزم المحذور الأول وإن لم يكن كافياً لزم المحذور الثاني ، والملازمتان يثبتان لا تقبلان المنع ، وما أوردت من المثال في سند المنع لا يصلح للسندية إذ في هذه الصورة ينقص ميل كل واحد منهما من الميل الذي يستقل في الحمل ، قدر ما يتم الميل الصادر من الآخر حتى ينقل الخشبة بمجموع الميلين ، وليس كل واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلاً مستقلاً ، وفي مبحثنا هذا ليس المؤثر إلا تعلق القدرة والإرادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في شيء منهما .

الخامس : ان كل من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة انما ادعى الاستناد إلى واحد إستند إليه الآخر ، ولو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه ، وإحتمال أن يكون في الوجود واجباً لا يرسل إلى هذا العالم أولاً يؤثر ولا يدبر ايضاً فيه مع تديره وجود خيره في عالم آخر أو عدمه مما لا يذهب إليه وهم واهم ، فان الوجوب يقتضى العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ، ومع هذه الصفات الكمالية يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده ، وأما ما زعمت الثنوية من الإله الثاني فليس بهذه المثابة ، ومما يرسل ويحكم فيهم أن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه ، فهو باطل بحكم العقل ، وقد أثبتنا في كتاب الروضة من كتاب بحار الانوار فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يؤمى الى هذا الدليل ، حيث قال عليه السلام : واعلم انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ،

قويّاً والآخر ضعيفاً ، فإن كانا قويتين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرّد

ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، وعرفت صفته وفعاله ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لايراده في ذلك أحد ، ولايحاجّه ، والله خالق كل شيء .

السادس : الأدلة السمعية من الكتاب والسنة وهي أكثر من أن تحصى وقدمر بعضها ولامحذور في التمسك بالأدلة السمعية في باب التوحيد ، وهذه هي المعتمد عليها عندي وبسط الكلام في تلك الأدلة وماسواها مما لم نشر اليها موكول إلى مظانها .

ولنرجع الى حلّ الخبر وشرحه وقد قيل فيه وجوه : «الاول» ان المراد بالقوى القوى على فعل الكل بالارادة مع إرادة استبداده به ، والمراد بالضعيف الذى لايقوى على فعل الكل ولايستبدّ به ولا يقاوم القوى «فإن كانا قويتين فلم لا يدفع كل منهما صاحبه ويتفرّد به» اى يلزم من قوتها افراد كل بالتدبير ويلزم منه عدم وقوع الفعل ، وإن زعمت ان أحدهما قوى والآخر ضعيف ، ثبت انه واحد الى المبدء للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة ، وثبت إحتياج الضعيف إلى العلة الموجودة ، لأن القوى أقوى وجوداً من الضعيف ، وضعف الوجود لا تصور إلا بجواز خلو المهية عن الوجود ، ويلزم منه الإحتياج إلى المبدء المبين الموجود له ، وإن قلت أنهما اثنان اى المبدء اثنان ، فهذا هو الشق الثانى ، اى كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كل منهما على بعض أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة ، وإن كان يقدر على الكل ، وفي هذا الشق لا يخلو من أن يكونا متفقين أى في الحقيقة من كل جهة ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعيين للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيينين المختلفين ، وإستحالة إستنادهما إلى الحقيقة وإستحالة إستنادهما الى الغير ، فيكون لهما مبدء أو مختلفين مفترقين من كل جهة ، وذلك معلوم إلا تنفّاء فإنّا لما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر ، دلّ صحة الامر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبّر واحد لإثتان مختلفان من كل جهة ، ثم ذلك المدبّر الواحد لايجوز أن يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة أخرى ، فيكون المدبّر

بالتدبير وإن زعمت أن أحدهما قويٌّ والآخر ضعيفٌ ثبت أنه واحدٌ كما نقول ،

اثنين ويلزمك إن ادّعت اثنين فرجة ما بينهما ، لأنّ لهما وحدة فلا يتمايزان إلّا بمميّز فاصل بينهما حتى يكونا اثنين ، لا امتناع الإثنيّة بلا مميّز بينهما ، وعبر عن الفاصل المميّز بالفرجة ، حيث أنّ الفاصل بين الاجسام يعبر عنه بالفرجة وإولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنّكم لا تستحقّون أن تخاطبوا إلّا بما يليق استعماله في المحسوسات ، وذلك المميّز لا بدّ أن يكون وجوديّاً داخلاً ، في حقيقة أحدهما إذ لا يجوز التعدّد مع الاتفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا ، ولا يجوز أن يكون ذلك المميّز ذا حقيقة يصحّ انفكاكها عن الوجود وخلوها عنه ولو عقلاً وإلّا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدء فلا يكون مبدءً ولا داخلاً فيه ، فيكون المميّز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتفق فيه ، فيكون الواحد المشتمل على المميّز الوجوديّ إثنين لا واحداً ، ويكون الاثنان اللذان ادّعتيهما ثلاثة ، فإن قلت به وادّعت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقّق المميّز بين الثلاثة ، ولا بدّ من مميّزين وجوديين حتى يكون بين الثلاثة فرجتان ، ولا بدّ من كونها قديمين كما مرّ فيكونوا خمسة وهكذا . ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة ، أي يتناهى الكلام في التعدّد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة ، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية ، أو المراد أنّه يلزمك أن يتناهى المعداد المنتهي ضرورة بمعرض ما ينتهي إليه العدد أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلا واحد وكثرة بلا وحدة ، وعلى هذا يكون الكلام برهانياً لا يحتاج إلى ضميعة ، وعلى الأولين يصير بضمّ ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانياً . الثاني : أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين ، وتقرير الأول - بعد ما تقرّر أن ما لا يكون قوياً على إيجاد أيّ ممكن كان ، لا يكون واجباً بالذات - أن يقال لا يصحّ أن يكون الواجب بالذات اثنين ، وإلّا كان كلّ منهما قوياً على إيجاد أيّ ممكن كان ، وكلّ ممكن بحيث يكون إستناده إلى أيّ منهما كافياً في تصحيح خروجه من القوة إلى الفعل ، وحيثئذ لم يكن محيىص إمّا من لزوم إستناد كلّ معلول شخصيّ إلى علّتين

للمعجز الظاهر في الثاني ، فإن قلت : إنهما اثنان . لم يخل من أن يكونا متفقين من

مستبدّتين بالإفاضة ، وذلك محال ، أو من لزوم الترجّح بلامرّجّح وهو فطري الاستحالة
أو من كون أحدهما غير واجب بالذات وهو خلاف المفروض ، وهذا البرهان يتمّ عند
قوله ﷺ للمعجز الظاهر في الثاني .

وقوله ﷺ : وإن قلت : إلى قوله : على أن المدبر واحد ، إشارة إلى برهان ثان
وهو أحد الوجوه البرهانية في قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » ^(١).

و تلخيص تقريره ان التلازم بين أجزاء النظام الجملى المنتظم المتسق كما
بين السماء والارض مثلاً على ما قد أحقته القوانين الحكيمية لا يستتب إلا بالا ستناد
إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته ، إذ التلازم بين الشئيين لا يتصحّح
إلا بعلية أحدهما للآخر أو بمعلوليتهما لعلّة واحدة موجبة ، فلو تعدّد إختلّ
الأمر وفسد النظام ، وتقرير الثالث هو أنك لو ادّعت إثنين كان لامحالة بينهما
إنفصال في الوجود ، واقتراق في الهوية ويكون هناك موجود ثالث هو المركّب من
مجموع الاثنين ، وهو المراد بالفرجة لأنّه منفصل الذات والهوية ، وهذا المركب
لتركّبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل ، موجود لامن تلقاء الضائع اذ
إفتقار المركب إلى الجاعل بحسب إفتقار أجزائه فاذا لم نفتقر أجزائه لم نفتقر هو بالضرورة
فاذا قد لزمتك أن يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً فيلزمك ثلاثة وقد ادّعت اثنين
وهكذا ، ويرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى انه يلزم في الفرق الثاني سبعة
لاخسة .

الثالث : أن يكون إشارة إلى حجّتين إحداهما عامية مشهورة ، والأخرى خاصية
برهانية ، أما الأولى فقوله : لا يخلو قولك - إلى قوله - في الثاني ، ومعناه أنّه لو فرض
قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قوياً والآخر ضعيفاً والثلاثة بأسرها باطلة ، أمّا
الأول فلأنّه إذا كانا قويتين وكلّ منهما في غاية القوة من غير ضعف وعجز كما هو

كلّ جهة أو مفترقين من كلّ جهة فلما رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، والتدبير

المفروض ، والقوة يقتضى الغلبة والقهر على كل شيء سواء ، فما السبب المانع لأن يدفع كل واحد منهما صاحبه حتى ينفر دبال تدبير والقهر على غيره ، اذ إقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كلّ ذى قوة على قدر قوّته ، والمفروض أنّ كلا منهما في غاية القوّة وأمّا فساد الشقّ الثانی فهو ظاهر عند جمهور الناس لما حكموا بالفطرة من أنّ الضعف يناقض الإلهية ولظهوره لم يذكره (عليه السلام) ، وأيضاً يعلم فساده بفساد الشقّ الثالث وهو قوله : وان زعمت أنّ أحدهما قوى والآخر ضعيف ثبت أنّه اى الإله واحد كما نحن نقول للعجز الظاهر في المفروض ثانياً ، لأنّ الضعف منشأ العجز والعاجز لا يكون إلهاً بل مخلوقاً محتاجاً لأنّه محتاج إلى من يعطيه القوّة والكمال والخيريّة وأمّا الحجّة البرهانية فأشار إليها بقوله : وان قلت أنّهما اثنان ، وبيانه : أنّه لو فرض موجودان قديمان فإمّا أن يتفقاً من كلّ جهة أو يختلفا من كلّ جهة ، أو يتفقا بجهة ويختلفا بأخرى ، والكلّ محال أمّا بطلان الاول فلان الإثنيّة لا تتحقق إلّا بامتياز أحد الاثنين عن صاحبه ، ولو بوجه من الوجوه ، وأمّا بطلان الثانی فلما نبّه عليه بقوله : فلما رأينا الخلق منتظماً .

وتقريره أنّ العالم كلّ شخص واحد كثير الاجزاء والاعضاء ، مثل الانسان ، فإنّا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصة وتباين صفاتها وأفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض ويفتقر بعضها الى بعض ، وكلّ منهما يعين بطبعه صاحبه ، وهكذا نشاهد الأجرام العالية وما ارتكز فيها من الكواكب المنيرة ^(١) في حركاتها الدورية وأضوائها الواقعة منها نافعة للسفليات محصلة لأمزجة المركبات التي يتوقف عليها صور الأنواع ونفوسها ، و حياة الكائنات ونشوا الحيوان والنبات ، فاذا تحقق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام وإتصال التدبير دلّ أنّ الله واحد ، وإليه أشار بقوله : دلّ صحة الامر والتدبير وإتلاف الأمر على أن المدبّر واحد ، وأمّا بطلان الشقّ

واحداً والليل والنهار والشمس والقمر، دلّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبّر واحد ثم يلزمك إن ادّعت اثنتين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنتين فصارت

الثالث وهو انهما متفقان من وجه ومختلفان من وجه آخر، فبأن يقال كما أشار إليه عليه السلام بقوله: ثم يلزمك، أنه لا بدّ فيهما من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه وصاحبه عنه، وذلك الشيء يجب أن يكون أمراً وجودياً يوجد في أحدهما ولم يوجد في الآخر، أو أمران وجوديان يختص كل منهما بواحد فقط، وأما كون الفارق المميز لكل منهما عن صاحبه أمراً عديماً فهو ممتنع بالضرورة، إذ الأعدام بما هي أعدام لا تمايز بينها، ولا تميز بها فإذا فرض قديمان فلا أقلّ من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما ويسلب عن الآخر، وهو المراد بالفرجة إذ به يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما، لوجوده في أحدهما وعدمه في الآخر وهو أيضاً لا محالة قديم موجود معهما، وإلا لم يكونا اثنتين قديمين، فيلزم أن يكون القدماء ثلاثة وقد فرض إثنان وهذا خلف، ثم يلزم من كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى ما لا نهاية له وهو محال. اقول: الأظهر على هذا التقرير أن يحمل الوحدة في قوله عليه السلام على أن المدبّر واحد، على الأعم من الوحدة النوعية والشخصية، ولو حملت على الشخصية يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج لهذا التقرير ولا يخفى توجيهاها.

الرابع: أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر وتقرير الاول: أنه لو كان اثنتين فإمّا أن يكونا قويتين أي مستقلتين بالقدرة على ممكن في نفسه، سواء كان موافقاً للمصلحة أو مخالفاً، وهو إمّا يتصور بكونهما قديمين، وإمّا أن يكونا ضعيفين أي غير مستقلين بالقدرة على ممكن ما في نفسه، وإمّا أن يكون أحدهما قوياً على دفع الآخر من أن يصدر عنه مراد الاول بعينه أو مثله أو ضده في محله، لأن عدم المنافي شرط في صدور كل ممكن، وعدم القوة على الشرط ينافي القوة على المشروط، ولا شك أن المدفوع كذلك ضعيف مسخر فقوة كل منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه، وضعف ذلك الآخر، وفي فعل تركه حتى فعل الآخر ضده يستلزم

الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة ، فإن ادّعت ثلاثة لزمك ماقلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثم ينتهي في العدد إلى ما لانهاية له

تمكينه الآخر في فعله ، وهذا تفرّد بالديبر فالاستفهام في لِمَ لا يدفع انكارى أى معلوم ضرورة أنه يدفع كل منهما الآخر ويتفرّد بالتدبير ، وبطلان الشق الثالث لكونه مستلزماً لعجز أحدهما أى ضعفه وعدم كونه ممن ينتهى إليه شيء من تدبير العالم يستلزم بطلان الشق الثاني بطريق أولى ، وتقرير الثاني هو أنه لو كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول اليهما إما متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما ما يختص به ويرجح صدورهما عنه على صدورهما عن الآخر من الداعي والمصلحة و نحوهما ، وإما غير متساوية من جميع الوجوه ، وكلاهما باطل ، أمّا الأول فلا أنه إما أن يكون ترك كل منهما لذلك المعلول مستلزماً لفعل الآخر إياه لحكمة كل منهما أم لا ، فعلى الأول إحداث أحدهما ذلك المعلول يستلزم الترجيح بلامرجح لان إحداث كل منهما ذلك المعلول ليس أولى بوجه من تركه إياه مع إحداث الآخر إياه ، وعلى الثاني إما أن يكون ترك التارك له مع تجويزه الترك على الآخر قبيحاً وخلاف الحكمة أم لا والأول يستلزم النقص ، والثاني يستلزم عدم امكان رعاية المصالح التى لا تحصى في خلق العالم ، لأنه إتفاقي حينئذ ومعلوم بديهية أن الاتفاقى لا يكون منتظماً في أمر سهل كصدور مثل قصيدة من قضايد البلغاء المشهورين عمن لم يمارس البلاغة ، وإن كان يمكن أن يصدر عنه إتفاقاً مصراع بليغ أو مصراعان ، فضلاً عما نحن فيه ، وأمّا بطلان الثاني فلا أنه يستلزم أن يكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لا يكون أحدهما قادراً عليه أصلاً ، لأن اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصي إنما يتصور فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصلح وأنفع من صدوره عن الآخر ، وهذا إنما يتصور فيما كان نفع فعله راجعاً إليه كالعباد ، وأمّا إذا كان القادران بريئين من الاتفّاع كما فيما نحن فيه فلا يتصور ذلك فيه بديهية ، وينبّه عليه ان الغنى المطلق إنما يفعل ما هو الخير في نفسه من غير أن يكون له فيه نفع ، سواء كان لغيره فيه نفع

في الكثرة ؛ قال هشام : فكان من سؤال الزنديق أن قال :

كما في ثواب المطيع أولم يكن ، ومثاله عقاب الكافر إن لم يكن للمطيعين فيه نفع ،
وتقرير الثالث : أنه إن كان المدبر اثنين فنسبة معلول اليهما إما متساوية من جميع
الوجوه أولاً ، وكلاهما باطل ، أما الأول فلأن صدور بعض المعلولات عن أحدهما وبعض
آخر منها عن الآخر منهما حينئذ يحتاج إلى ثالث هو الفرقة بينهما ، أي ما يميز
وبيعن كل معلول معلول لواحد معين منهما حتى يكون المدبران اثنين ، لامتناع
الترجيح من جهة الفاعلين بالمرجح ، أي بلا داع أصلاً كما هو المفروض ، فيلزم خلاف
الفرض ، وهو أن يكون المدبر ثلاثة ثم نقل الكلام إلى الثلاثة وهكذا إلى ما لا نهاية
له في الكثرة ، ويلزم التسلسل ، وإنما لم يكتف بالتسلسل بعد نقل الكلام إلى الثلاثة
بالاحتياج إلى فرقة واحدة للتمييز بين حتى يكون المجموع أربعة لخمسة ، وإن كان
المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلًا به أيضاً ، لأن هناك ثلاثة تميزات وتخصيص واحد
منهما بمميز كما هو المفروض ، واشتراك اثنين منهما بواحد مع إتحاد النسبة تحكّم
وأما بطلان الثاني فلما مرّ في بيان بطلان الشق الثاني من الدليل الثاني .

اقول : لا يخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام وإحتياجه إلى تقدير كثير من
المقدّمات في الكلام .

الخامس : أن يكون الأول إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة
والثاني إلى التلازم كما مرّ والثالث يكون إلزاماً على المجسّمة المشتركة القائلين بالهين
مجسّمين متباعيين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله ويكون الفرقة
محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما البطلان الخلاء ، أو سطح فاصل
بينهما لتحقيق الاثنينية .

السادس : أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين على وجه قريب من بعض الوجوه
السابقة ، وتقرير الأول أنه لو كان المبدء الأول الإله الحقّ الصانع للعالم اثنين
فلايخلو من أن يكون كل واحد منهما قديماً بالذات قوياً قادراً على إيجاد كل
ممكّن بحيث تكون قدرة كل واحد منهما وحكمته وإرادته مع تعلق إرادته كافية

في وجود جميع العالم على الوجه الاصلح المشتمل على الحكم والمصالح التي لاتعد ولا تحصى كما هو واقع كذلك أولاً لا يكون كل واحد منهما كذلك وحينئذ إما أن يكون كل منهما ضعيفاً عن ايجاد جميع العالم بانفراده كذلك أو يكون أحدهما قوياً على ذلك والآخر ضعيفاً عنه ، فإما على الاول فلم لا يدفع كل منهما صاحبه عن ايجاد العالم وينفرد بالتدبير والايجاد ، حتى يلزم منه عدم العالم بالكلية لاستحالة توارد العلتين المستقلتين على معلول واحد شخصي أي على مجموع العالم لأنه بمنزلة واحد شخصي ، بل على كل واحد من أجزائه ايضاً وإيجاد هذا مانع عن إيجاد ذلك وبالعكس فيتحقق التمانع بينهما ، ويلزم على تقدير إيجادهما العالم عدم إيجادهما له ، فيلزم من تعدد الصانع تعالى عدم العالم رأساً كما نزل عليه قوله سبحانه «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا» وعلى الثاني وهو أن لا يكون كل منهما كافياً في وجود جميع العالم على الوجه الواقع عليه سواء كاي عدم كفايته فيه باعتبار عدم شمول قدرته أو حكمته أو إرادته أو عدم شمول تعلق إرادته عليه، يلزم أن يكونا ضعيفين ناقصين عاجزين باعتبار أي صفة كانت بالضرورة، وما يكون كذلك لا يكون مبدءاً أو لا وصانعاً للعالم صالِحاً للإلهية وهذا خلف، وتوضيح ذلك ان عدم تفرّد كل منهما بخلق جميع العالم على الوجه الاصلح الذي لا يمكن أن يكون أصلح منه وشركتهما في خلقه إما أن يكون على وجه الاضطرار لعدم تمكن كل منهما على الانفراد عن ذلك أو على وجه الإرادة والاختيار ، وعلى الاول العجز والضعف والنقص ظاهر ، لان جميع العالم على هذا الوجه ممكن ، فكل منهما لا يقدر على كل ممكن ، وعلى الثاني فإما يكون في شركتهما حكمة ومصلحة لا تكون تلك الحكمة والمصلحة في الانفراد أم لا ، وعلى الاول يلزم أن يكون كل واحد منهما بانفراده قائماً لتلك الحكمة والمصلحة وهذا ايضاً ضعف وعجز ونقص في كل واحد منهما بالضرورة، بل هذا القسم ايضاً راجع إلى الشق الاول كما لا يخفى ، وعلى الثاني يلزم أن تكون شركتهما سفهاً وعبثاً فيلزم خلوهما عن الحكمة وهو ضعف وعجز عن رعاية الحكمة

وعلى الثالث وهو ان يكون أحدهما قديماً بالذات قوياً قادراً على إيجاد جميع العالم كافيّاً فيه يلزم المطلوب وهو وحدة صانع العالم للعجز الظاهر في الضعيف ، وكلّ عاجز وناقص ممكن لا يصلح أن يكون مبدءاً ولا صانعاً للعالم صالحاً للإلوهيّة ، ولما كان فساد القسم الثاني يظهر من بيان فساد القسم الثالث لم يتعرض عليه السلام للتصريح به .

وتقرير الثاني أنك إن قلت أن الإله الحقّ الصانع المدبّر له إثنان ، لم يخل من أن يكونا متفقين من جميع الوجوه أى الذات والصفات بحيث لاتمايز بينهما أصلاً ، فيلزم وحدة الاثنين وارتفاع الاثنينية من البين ، وهو بديهي البطلان ، ولظهور فساد له لم يتعرض عليه السلام له ، أو يكونان مفترقين من جهة سواء كان في ذاتهما أو في صفاتهما أوفيها معاً ، اى لا يكونا متفقين من جميع الجهات ليكون الحصر حاصراً فهو باطل لانه يلزم من تعدده فساد العالم وخروجه عن النظام الذي هو عليه وبطل الارتباط الذي بين أجزاء العالم ، واختلّ إنتظامها وإتساقها فلم يكن بينهما هذا النظام كما تشهد به الفطرة السليمة ، ونطق به الآية الكريمة ، وإليه أشار بقوله عليه السلام لانا لما رأينا الخلق منتظماً ... الى آخره .

وتقرير الثالث أنه لو كان الواجب بالذات إثنين يلزمك أن يكون بينهما فرجة اى مايز يمتاز به أحدهما عن الآخر بوجوده ، والآخر بعدمه ، لأقلّ من ذلك حتى يتحقّق بينهما الاثنينية لاشتراكهما في حقيقة وجوب الوجود ، ولا يجوز أن يكون ذلك المميّز ذا حقيقة يصحّ إنفكاكها عن الوجود وخلوها عنه ولو عقلاً وبحسب التصور وإلا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدء ، فلا يكون مبدءاً أو لا ولا دخلاً فيه ، فيكون المميّز أيضاً موجوداً قديماً بذاته كما به الاشتراك ، فيكون ما فرضت إثنين ثلاثة وتنقل الكلام الى الثلاثة وتحتاج الى مائزين وجوديين ليمتاز الثالث عنهما بعدمهما ، فتكون الثلاثة خمسة ، وتنقل الكلام الى المايزين وهكذا إلى آخر ما مرّ من التقرير في الوجه الاول .

السابع ان يوجّه الثالث بأنه لو كان الصانع سبحانه إثنين يلزم منه أن يكون

العالم إثنين ، لأنه يجب أن يوجد كل واحد منهما عالماً تاماً مشتملاً على جميع ما في هذا العالم من الحكم والمصالح وإلا فيكون كلاهما أو أحدهما ناقصاً بوجه من الوجوه بالضرورة والنقص فيه محال ، ومن ذلك يلزم أن يكون العالم الجسماني اثنين ، ومن اثنينيته يلزم اثنينية الفلك الأعلى ، ويحيط كل واحد منه بجميع أجسام عالمة وهما كرتان ، بالضرورة يتحقق بينهما بعد وفرجة واحدة ، لولم تكن الكرتان متماسكتين أو فرجتان لو كانتا متماسكتين بنقطة واحدة ، ولاستحالة الخلا يجب أن يكون الشاغل لتلك الفرجة جسماً آخر ولوجوب إستناد الجسم الى مجرد منته إليه يجب أن تكون علته وصانعه واجباً ويجب أن يكون ثالث الصانعين المفروضين ، لأن ذلك الجسم خارج عن جميع مخلوقات كل واحد منهما ، لأن عالمة عبارة عن جميع مخلوقاته ، وعلى هذا فيلزم أن يكون ذلك الجسم المالم لتلك الفرجة عالماً جسمانياً آخر ، مثل هذا العالم وإلا يلزم النقص في صانعه الذي هو واجب بالذات بوجه من الوجوه ، والنقص في الواجب محال فمن إثنينية الصانع يلزم الفرجة بين العالمين الجسمانيين وهي مستلزمة لوجود صانع واجب آخر موجد لعالم جسماني آخر شاغل لها ، ومن وجود العالم الجسماني الثالث تلزم فرجتان أخريان مستلزمتان لصانعين آخرين وهكذا الى غير النهاية ، وذلك باطل من وجهين أما أولاً فلاستلزامه وجود البعد الغير المتناهي وهو محال ، وأما ثانياً فللزوم التسلسل لتحقيق اللزوم بين العالمين وبين العالم الثالث ، وكذا بينه وبين العالمين الآخرين وهكذا ، وذلك كاف في تحقيق التسلسل المحال ، وعلى هذا فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فرجة ما بينهما أي فرجة ما بين عالميهما الجسمانيين . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديماً معهما ، أي فصارت علة شاغل الفرجة ثالثاً بين الصانعين قديماً بالذات معهما ، فيلزمك أن يكون الصانع القديم ثلاثة ، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : حتى يكون بينهم فرجتان أي حتى يكون بين مصنوعيهما فرجتان شاغلتان لعالمين جسمانيين آخرين ، فيكون الصانع خمسة ، وهكذا يزيد عدده بازاء الفرج الحاصلة بين الكرات ولا يخفى عليك ما فيه من التكاليف .

فما الدليل عليه ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً صنعها ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بائياً وإن كنت لم تر البائي ولم تشاهده ، قال : فما هو ؟ قال : شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي

قوله: فما الدليل عليه: يعني بما ذكرت قد ثبتت وحدة المبدأ الأول للعالم على تقدير وجوده ، فما الدليل على وجوده ؟ فأجاب عليه السلام بأن الأفاعيل وهي جمع أفعولة وهو الفعل العجيب الذي روعي فيه الحكمة ، كخلق الانسان وعروقه وأحشائه وعضلاته وآلات القبض والبسط ونحو ذلك ، مما لا يتأتى إلا من قادر حكيم ، وبته عليه بأنك إذا نظرت إلى بناء مشيد . . . اى مطول ومستحکم، ولما كان البناء قد يستعمل لغير المبنى كالمعنى المقابل للهدم وغيره أرفده بقوله: مبني ، أو المعنى مبني لا انسان لا الأبنية التي تكون في الجبال ، لا يعلم كونه مبنياً لا لسان «علمت أن له بائياً» فإذا كنت تحكم في البناء التي يتأتى من الانسان بأن له بائياً البتة من نوع الانسان ، ولا يجوز حصوله بغير بان ، فلم لا تحكم في البناء الذي تعلم أن بائيه أرفع وأقدر وأحكم من الانسان بوجود البائي ، وتجاوز وجوده من غير بان وموجد وخالق ، وقوله : فما هو؟ إماسؤال عن حقيقته بالكنه ، ففي الجواب إشارة إلى أنه لا يمكن معرفته بالكنه وإنما يعرف بوجه يمتاز به عن جميع ماعداه ، أو سؤال عن حقيقته بالوجه الذي يمتاز به عن جميع ماعداه ، وعلى التقديرين فالجواب بيان الوجه الذي به يمتاز ماعداه ، وهو أنه شيء بخلاف الأشياء ، أى لا يمكن تعقل ذاته إلا بهذا الوجه ، وهو أنه موجود بخلاف سائر الموجودات في الذات والصفات ، وفي نحو الانصاف بها ، وقوله : ارجع على صيغة الأمر أو المتكلم وحده بقولي : وهو أنه شيء بخلاف الأشياء إلى إثبات معنى للذات أو إلى إثبات موجود في الخارج ، ومقصود باللفظ فيه ، وإلى أنه شيء بحقيقة الشيئية أعلم أن الشيء مسأل للموجود إذا أخذ الوجود أعم من الذهني والخارجي ، والمخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء وشيئته كونه مهية قابلة له ، وقيل : إن الوجود عين الشيئية فالمراد بقوله بحقيقة الشيئية أى بالشيئية الحقّة الثابتة له في حد ذاته لأنه

إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس

تعالى هو الذي يحق أن يقال أنه شيء أو موجود، لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه، وغيره تعالى في معرض الفناء والعدم، وليس وجودهم إلا من غيرهم، أو المراد أنه تجب معرفته بمحض أنه شيء إلا أن يثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدى لمعرفتها، فانه يمتنع معرفة كنه ذاته وصفاته تعالى.

وقيل: إشارة إلى أن الشيئية أى الوجود أو ما يساوقه عين ذاته تعالى فهي شيئية قائمة بذاتها كما أن حقيقة الوجود المجهول الكنه المعلوم بالوجه بديهية عينه تعالى، وهو وجود قائم بنفسه، فهو تعالى شيء بحقيقة الشيئية التي هي عينه كما انه موجود بحقيقة الوجود الذي هو عينه، بخلاف ما عداه من الممكنات المعلولة، فانه شيء بالانتساب إلى الشيئية الحقيقية كما انه موجود بالانتساب الى حضرة الوجود، لا موجود بنفس الوجود، وإن لم يكن حقيقة ذلك الانتساب معلوماً لنا، أو معناه أن الشيئية لا يمكن انتزاعها منه تعالى انتزاعاً بتجرّد ذاته عن الشيئية ولو في اللحاظ العقلي، بل ذاته بذاته حيثيته. انتزاع الشيئية منه، كما إن ذاته بذاته حيثيته انتزاع الوجود منه، فهو كما انه موجود بذاته شيء بذاته، وهذا معنى عينية الشيئية والوجود لذاته تعالى عند جماعة من المحققين بخلاف المهيئات المسكنة فانها كما نصير في اللحاظ العقلي مجردة عن الوجود وبقل غير مخلوطة به ولا تكون بذاتها حيثيته انتزاع الوجود، بل انما جعلها الجاعل بحيث يصح انتزاعه منها كذلك نصير في اللحاظ العقلي مجردة عن الشيئية وتقل غير مخلوط بها ولا تكون بذاتها حيثيته انتزاع الشيئية بل انما جعلها الجاعل بحيث يصح انتزاعها منها فهي كما أنها موجود بغيرها شيء بغيرها، ثم لما بين عَلَيْهِ السَّلَام انه شيء بحقيقة الشيئية نفى عنه جميع ما عداه من ذوات الممكنات المعلولة كالجسم والصورة وأمثالها، وصفاتها كالأحاساس والاجساس ونحو ذلك لأن الممكن لا يكون شيئاً بحقيقة الشيئية، بل انما يكون شيئاً بالانتساب إلى الشيئية أو بالانتساب بها بجعل الجاعل لا بذاته، فظهر أن نفى الجسم والصورة ونفى

ولايجسّ ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدُّهور ولا تغيرُه الأَزمان .

٧- محمد بن يعقوب قال : حدّثني عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقيّ ، عن أبيه ، عن عليّ بن النعمان ، عن ابن مسكان عن داود بن فرقد ، عن أبي سعيد الزّهري ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كفى لأولي الألباب بخلق الربّ المسخّر ،

بعض صفات الممكنات عنه تعالى هاهنا على سبيل التمثيل ، ولايجسّ أى ليس من شأنه ان يدرك بحاسة البصر كما ذكره بعض أهل اللغة ، أو أعمّ منه ، ولايجسّ أى لايمكن مسّه باليد ، قال في القاموس : الجسّ المسّ باليد كالاجساس ولا يدرك بالحواس الخمس أى الظاهرة ، لتجرّده وخلّوه عن الكيفيّات مطلقاً لاسيّما المحسوسة ، فهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص .

ثم نفى كونه محسوساً بالحواسّ الباطنة بقوله لا تدركه الاوهام ، لأنّ الوهم رئيس الحواس الباطنة ، يدرك بعض الجزئيات بواسطة بعض الحواس كالضوء الجزئية بواسطة الحسّ المشترك ويدرك المعاني الجزئية المادية بلا واسطة فنفى كونه مدركاً بالوهم يستلزم كونه غير مدرك بشيء من الحواسّ الباطنة مع أنّه في اللغة يطلق الوهم على جميع الحواسّ الباطنة ، بل على ما يعمّ العقل أيضاً أحياناً .

ولا تنقصه الدهور : أى بالهرم وضعف القوى ، ونحو ذلك ، ولا تغيرُه الأَزمان بحصول الاوصاف الخالية عنها فيه أو بزوال الأوصاف الحاصلة فيه عنه ، وقيل : المراد نفى الدهر عنه وهو ظرف الثابت بالنسبة إلى المتغيّر ، ونفى الزمان عنه ، وهو ظرف نسبة المتغيّر الى المتغيّر .

الحديث السابع مجهول .

«كفى لأولي الألباب» أى لأرباب العقول ، والمراد بالخلق إما الانشاء والإبداع أو المخلوق ، وقيل : المراد به التقدير من خلقت الأديم اذا قدرته ، وعلى الاول والثالث فالمسخّر اسم فاعل صفة للخلق أو الربّ ، وعلى الثاني اسم مفعول صفة للخلق ، ويحتمل

وملك الربّ القاهر، وجلال الربّ الظاهر، ونور الربّ الباهر وبرهان الربّ

على الأوّل والثالث أيضاً ذلك بأن يكون مفعولاً للمخلق لكنّه بعيد جداً ولا ريب في أن كل مخلوق مقهور مذكّل تحت قدرة خالقه وقاهره لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر والغلبة فهو مسخّر له ، فهذا استدلال بالآثار مطلقاً على المؤثر ، ويحتمل أن يكون مراده ﷺ الاستدلال بالمخلق المسخّر المتحرّك بالاضطرار كالشمس والقمر ونحوهما على وجود قاهر يقهره بالغلبة والعزّ والسلطنة ، فهو إليه ومستحقّ لأن يعبد ، والمملك بالضمّ السلطنة والعزّ والغلبة ، والقاهر صفة للملك أو الربّ ، وهذا استدلال بملكوّات السماوات والأرض ، وإنّه لا تبدّل حكمته الوسائل ، ويعجز عن معارضته من سواه ، على وجود الربّ القادر على كل شيء ، والجلال : العظمة والرفعة والعلوّ والظاهر بمعنى البين والغالب ، أو بمعنى العالم بالأمور ، وعلى الأوّل صفة للجلال ، وعلى الآخرين صفة للربّ فهو استدلال بعظمته في مخلوقاته ، أي خلقه أموراً عظيمة على وجوده تعالى .

وقيل : يعني جلاله وعظمته وتعالىّه عن أن يشارك غيره في الألوهية يدلّ على وحدته . والنور مابه يظهر ويبصر الخفيات المحجوبات عن الأبصار ، كنور الشمس والقمر ونحوهما ، والبحر : الإضاءة أو الغلبة يقال : بهر القمر إذا أضاء حتى غلب ضوؤه ضوء الكواكب ، وبهر فلان أثرابه : غلبهم حسناً ، فالباهر على الأوّل صفة النور ، وعلى الثاني يحتمل أن يكون صفة الربّ أيضاً ، والنور هنا يحتمل الأنوار الظاهرة المخلوقة له تعالى أو الوجود والكمالات التي ظهر آثارها في المخلوقات فإنّ كلّاً منهما في ظهور الأشياء على العقل كالنور الظاهر عند الحسّ بل هي في ذلك أقوى وأشدّ ، والبرهان : الحجّة ، والصادق صفته ، فالمراد بالبرهان الصادق إمّا حججه على خلقه من الأنبياء والأئمة الصادقين ﷺ في جميع أحكامهم فحينئذ الاستدلال به على وجوده تعالى بوجهين أحدهما إخبارهم بوجوده تعالى مع قطعنا بصدقهم بسبب ظهور خوارق العادات على أيديهم ، فإنّ المعجزة في نفسها يفيد القطع بصدق صاحبها ، ولا حاجة إلى الدليل على

• • • • •

انها تجري في يد كاذب، ولا يتوقف تصديق صاحبها على إثبات الواجب كما صرح به جماعة، وثانيهما أن أصل خلقتهم من عظم شأنهم وإتصافهم بالكمالات الوهية الجليلة والأوصاف القدسية العظيمة، وخروج خلقهم عن مجرى أفعال الطبيعة من أعظم الدلائل على صانع العالم البريء من كل نقص، والمراد به كل مخلوق من المخلوقات عظيمها وحقيرها وكبيرها وصغيرها، فإن كلاً منها برهان صادق وحجة فاطقة على وجوده تعالى أوالبراهين التي أترلها في كتبه وأجراها على ألسنة أنبيائه ورسله وحججه عليه السلام «وما أنطق به ألسن العباد» يحتمل وجوهاً، الأول: اتفاقهم وطوا طوهم بحكم بداهة عقولهم على وجود صانع العالم المتوحد بالصانعية ولا يجوز العقل اجتماع هذا الخلق من أهل الأديان المختلفة والأديان المشتتة على باطل، فهو إما بديهي أو نظري واضح المقدمات لا يتطرق إليه شك ولا شبهة.

قال بعض المحققين: إن العلم يحصل بالتواتر وهو إخبار جمع كثير عن أمر محسوس، وما ذلك إلا لأن العقل يحيل اجتماعهم على الكذب، أو على غلط الحس فنقول أجمع جميع الأنبياء والأوصياء والعلماء والحكماء بل كافة العقلاء على وجود الصانع فيحصل العلم الضروري بوجوده، لأن العقل يحيل اجتماعهم على الكذب والغلط في هذا المعقول، فكما يعلم أمن الحس الكثير عن الغلط في رؤية بصرية يعلم أمن أمثال تلك العقول على كثرتها من الاجتماع على غلط في البصيرة، وأما العلم باجتماعهم على ذلك فإتما يحصل بأخبارهم، والعلم بأخبارهم حاصل بالتواتر، والله يهديك السبيل «انتهى».

الثاني: دعائهم وقضائهم وإلتجائهم إلى الله تعالى في الشدائد والمحن بمقتضى فطرة عقولهم، وهذا يدل على أن عقولهم بصرافتها تشهد بخالقهم ومفرغهم في شدائدهم، حتى أنه قد يشاهد ذلك من الحيوانات كما قيل أنها في سنى الجذب ترفع رؤسها إلى

الصادق ، وما أنطق به ألسن العباد ، وما أرسل به الرُّسل .

السماء ، تطلب الغيث ، وقال الرازي في المطالب العالية : رأيت في بعض الكتب أن في بعض الأوقات اشتدَّ القحط وعظم حرّ الصيف ، والناس خرجوا للاستسقاء فما أفلحوا قال : فخرجت الى بعض الجبال فرأيت ظبية جاءت إلى موضع كان في الماضي من الزمان مملوًّا من الماء ، ولعلَّ تلك الظبية كانت تشرب منه ، فلما وصلت الظبية إليه ما وجدت فيه شيئاً من الماء ، وكان أثر العطش الشديد ظاهراً عليها ، فوقفت ورفعت رأسها إلى السماء مراراً فأطبق الغيم ونزلت الأمطار الغزيرة حتى ملأت الغدير ، فشربت الماء وذهبت .

الثالث: ان يكون المراد به إختلاف الأصوات أو اللغات واللهجات المختلفة كما قال سبحانه « ومن آياته إختلاف ألسنتكم وألوانكم »^(١).

الرابع : ان يكون المراد به الدلائل و البراهين التي يجريها الله تعالى على ألسن العباد .

قوله ﷺ وما أرسل به الرسل : هذا يحتمل وجهين : الأول : أن يكون المراد به الشرايع الحقّة المشتملة على الحكم والمصالح التي لا تحصى ، وبها تنظم أمور الدين والدنيا ، فان من تأمّل في خصوصيات الشرع وقوانينه في العبادات والمعاملات والحدود والمواثيق والأحكام والآداب والأخلاق ، ومعاشرة أأناف الناس بعضهم بعضاً وغير ذلك ، علم بديهة أن مثل هذا خارج عن طوق البشر ، والحكماء السالفة في الأزمنة المتطاولة بذلوا أفكارهم في ذلك بجهدهم ، و لم يأتوا بشيء يمكن به سياسة فرية ، و إنما ذكروا أحكاماً كليّة من حسن العدل وقبح الجور والفساد وأمثال ذلك ممّا يحكم به عقل جميع الناس ، والحقّ أنّه كما انّ عالم الوجود وإنتظامه يدلّ على وجود الصانع و وحدته فكذا انتظام أحوال النشأين بتلك الشرايع الحقّة والنواميس الالهية أدلّ

(١) سورة الروم : ٢٢ ، والاية هكذا : « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف

وما أنزل على العباد دليلاً على الرب .

﴿ باب اطلاق القول بأنه شيء ﴾

١- محمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن عبد الرحمن ابن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد فقلت :

دليل على وجود الصانع ومدبر العالم و وحدته وحقية أنبيائه ورسله ، « الثاني » أن يكون المراد به الآيات والمعجزات وخوارق العادات كإفلاق البحر لموسى وإفلاق العصا حية وسائر آياته ، وإحياء الموتى وإبراء الأكهم والابرص وغيرها لعيسى عليه السلام وشق القمر وتسبيح الحصا وجريان الماء من بين الأصابع ، وسائر المعجزات التي لا تحصى لنبينا عليه السلام فإن العقل يحكم بديهة أنها خارجة عن الطاقة البشرية ، وليست إلا من مدبر قاهر قادر حكيم عليم .

قوله عليه السلام : « وما أنزل على العباد : أى البلى والمصائب التى أنزلها على العباد عند طغيانهم وعدوانهم من الأمور الخارقة للعادات كالطوفان والرياح والصواعق بعد دعاء الأنبياء وإستحقاقهم للعذاب فإنه معلوم أنها لم تكن بقدرة الأنبياء عليهم السلام أو المراد به ما أنزل على العباد من الكتاب والحكمة تأكيداً أو بحمل مأمور على غيرها ، فكل هذا دليل على الرب القديم والصانع الحكيم .

باب اطلاق القول بأنه شيء

المراد بالاطلاق هنا التجويز والاباحة كما ورد في الخبر : كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى ، وقيل : معناه أنه لا يحتاج إطلاق لفظ شيء فيه إلى قرينة كإحتياج الألفاظ المشتركة والمجازية إليها ، فهو مشترك معنوى كالموجود والوجود وما ذكرنا أنظهر .

الحديث الاول : صحيح .

قوله عن التوحيد : المراد به هنا ما يتعلق بمعرفة سبحانه أى مسألة كانت من المسائل الالهية كما هو الشائع في لسان أهل الشرع وغيرهم ، وقيل : أى عن معرفته

أثوهم شيئاً؟ فقال : نعم ، غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل ، وخلاف ما يُتصور في الأوهام؟! إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود .

تعالى متوحداً بحقيقته وصفاته متنزهاً عن غيره .

قوله أثوهم شيئاً : الظاهر أنه استفهام بحذف أداته أي أنصوره شيئاً وأثبت له الشيئية وقيل : الهمزة للاستفهام والفعل ماض مجهول أو مضارع معلوم بصيغة الخطاب بحذف إحدى التائين ، وقيل : على صيغة التكلم خبر وما ذكرنا أظهر ، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ نعم غير معقول ، أي تصورّه وتفقّله شيئاً غير معقول بالكنه ، ولا محدود بالحدود العقلية ولا بالحدود الحسية الظاهرية والباطنية من السطوح والخطوط والنقاط والأشكال والنهايات ، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فما وقع وهمك عليه ، تفريع على قوله : ولا محدود ، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا يشبهه شيء : استيناف بياني ، وجملة القول في ذلك أن من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شيء من الأشياء لأذهناً ولا عيناً كمفهوم الشيء والموجود والمخبر عنه ، وهذه معانٍ اعتبارية يعتبرها العقل لكل شيء ، إذا تقرر هذا فاعلم أن جماعة من المتكلمين بالغوا في التنزيه حتى إمتنعوا من إطلاق إسم الشيء بل العالم والقادر وغيرهما على الله سبحانه ، محتجّين بأثـه لو كان شيئاً شارك الأشياء في مفهوم الشيئية ، وكذا الموجود وغيره ، وذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا ، فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب والممكن ، وبأثـه لا يمكن تعقل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه ، ويكذب جميع الأحكام الإيجابية عليه تعالى ، ويرد قولهم هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة ، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر و ما صدق عليه ، وبين الحمل الذاتي والحمل العرضي وبين المفهومات الاعتبارية والحقايق الموجودة ، فأجاب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن ذاته تعالى وإن لم يكن معقولاً لغيره ولا محدوداً بحدٍ إلا أنه مما يصدق عليه مفهوم شيء ، لكن كل ما يتصور من الأشياء فهو بخلافه ، لأن كل ما يقع في الأوهام والعقول فصورها الإدراكية كصفات نفسانية وأعراض

٢ - محمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن إسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسين بن سعيد قال : سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام : يجوز أن يقال لله : إنه شيء ؟ قال : نعم ، يخرج من الحديثين : حدّ التعطيل وحدّ التشبيه .

٣ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المقرئ ، رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : إن الله خلّو من خلقه ، وخلق خلقه منه ، وكلما وقع عليه

قائمة بالذهن ، ومعانيها مهيآت كلية قابلة للاشتراك والاتقسام ، فهو بخلاف الأشياء ، وقوله عليه السلام انما يتعقل ^(١) شيء إعادة للمدعى بعنوان الحصر ، ونتيجة للدليل .
الحديث الثاني : ضعيف .

قوله : حدّ التعطيل : هو عدم إثبات الوجود والصفات الكمالية والفعلية والاضافية له تعالى ، وحدّ التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات .

الحديث الثالث : مرفوع .

قوله عليه السلام : خلّو من خلقه ، والخلو بكسر الخاء وسكون اللام الخالي ، فقوله : خلّو من خلقه أي من صفات خلقه ، أو من مخلوقاته ، فيدلّ على نفى ما ذهبت إليه الاشاعة من الصفات الموجودة الزائدة لأنها لا بد أن يكون مخلوقة لله تعالى ، باضماء المقدمتين الأخيرتين المبنيّتين على التوحيد ، واتصافه بمخلوقه مستحيل ، لما تقرّر من أن الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد ، وإيضاً الفاقدة للشيء لا يكون معطياً له ، وكذا يدلّ على نفى ما ذهبت إليه الكرامية من إقصافه سبحانه بالصفات الموجودة الحادثة ، وعلى نفى ما ذهب إليه بعض الصوفية من عروض الهيئات الممكنة للوجود القائم بالذات تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

قوله : وخلق خلقه منه : أي من صفاته أو المراد أنّه لا يحل في شيء بوجه من الوجوه ، فينفى كونه عارضاً لشيء أحياناً فيه أو متمكناً فيه ، إنعاماً من شيء إلا وهو مخلوق له بحكم المقدمتين الأخيرتين ، فيدلّ على نفى قول النصارى القائلين بأنّه

(١) وفي المتن «انما يتوهم شيء . . . » كما هو بعينك ، ولعله من باب النقل بالمعنى .

اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله .

سبحانه جوهر واحد ثلاثة أقانيم هي الوجود والعلم والحياة المعبر عنها عندهم بالأب والابن وروح القدس ، ويقولون : الجوهر : القائم بنفسه ، والأقنوم : الصفة ، وجعل الواحد ثلاثة إما جهالة محضة ، أو ميل إلى أن الصفات عين الذات ، لكنه لا يستقيم ذلك مع سائر كلماتهم واقتصارهم على العلم والحياة دون القدرة وغير هاجمالة أخرى وكأنهم يجعلون القدرة راجعة إلى الحياة ، والسمع والبصر إلى العلم ، ثم قالوا : الكلمة وهي أقنوم العلم إتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكائبة ، و بطريق الاشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور عند النسطورية و بطريق الانقلاب لحماً ودماً بحيث صار الإله هو المسيح عند اليعقوبية ، ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت كما يظهر الملك في صورة البشر ، وقيل : ترگبت اللاهوت والناسوت كالنفس مع البدن ، وقيل : إن الكلمة قد تدخل الجسد فيصدر عنه خوارق العادات ، وقد تفارقه فتحله الآلام والآفات إلى غير ذلك من الهذيان ، وينفي أيضاً مذهب بعض الغلات القائلين بأنه لا يمتنع ظهور الروحاني بالجسماني كجبرئيل في صورة دحية الكلبي ، وكبعض الجن والشياطين في صورة الاناسي ، فلا يبعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين ، وأولى الناس بذلك أمير المؤمنين وأولاده المخصوصون الذين هم خير البرية في العلم والکالات العلمية والعملية فلهذا كان يصدر عنهم العلوم والاعمال ما هو فوق الطاقة البشرية ، وينفي أيضاً مذاهب أكثر الصوفية فإن بعضهم يقال : بأن السالك إذا أتمعن في السلوك وخاض لجة الوصول فرما يحل الله - سبحانه وتعالى عما يقولون - فيه كالنار في المجمر ، بحيث لا تمايز أو يتحد به بحيث لا إثنين ولا تغاير وصح أن يقول ، هو أنا وأنا هو ، وحينئذ ترفع الأمر والنهي ، ويظهر منه من الغرائب والمعائب ما لا يتصور من البشر ، ويظهر من كلام بعضهم أن الواجب تعالى هو الموجود المطلق ، وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً ، وإنما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب ، إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على المظاهر ، لا بطريق

٤- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله خلو من خلقه وخلقه خلومنه ، وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء ، تبارك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٥- علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن علي بن عطية ، عن خزيمة عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله خلو من خلقه وخلقه خلومنه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء .

٦- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام

المخالطة ويتكرر في النواظر لا بطريق الإقسام ، فأمره دائر بين القول باتحاد جميع الموجودات مع الواجب تعالى ، أو القول بعدم تحقق موجود آخر غير الواجب في الواقع ، وكل منهما سفسطة تحكم بديهية العقل بطلانه ، وضرورة الدين بفساده وطفغائه .

الحديث الرابع : صحيح ، والبركة : الزيادة من الخير والثبات عليه والطهارة من العيب .

قوله عليه السلام ليس كمثله : أي ليس له ما يشبه أن يكون مثله فكيف مثله ، أو ليس مثل مثله ، فيدلّ على نفي مثله بالكناية الأبلغ لأنّ على تقدير وجود المثل يكون هو مثل مثله ، والمشهور أن الكاف زائدة وأردفه بقوله «وهو السميع البصير» لئلا يتوهم أنّ نفي المثل يستلزم نفي الصفات كما توهم .

الحديث الخامس : حسن .

قوله عليه السلام : وكل ما وقع . . . هذا كالتعليل للسابق وتمتة له وبإضمامه يدلّ على عينية صفاته تعالى وعدم تركبه فتدبر ، وإنّما أورد هذا الخبر والذي قبله في هذا الباب لتضمنها استثناءه سبحانه من قوله : كلما وقع عليه اسم شيء .

الحديث السادس : مجهول ، وقد مرّ صدر الخبر وتكلّمنا عليه .

بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال للزنديق حين سأله : ماهو ؟ قال : هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى اثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان ، فقال له السائل : فتقول : إنه سميعٌ بصيرٌ ؟ قال : هو سميعٌ بصيرٌ : سميعٌ بغير جارحة و بصيرٌ بغير آلة ، بل يسمع بنفسه ويصير بنفسه ؛ ليس قولي : إنه سميعٌ يسمع بنفسه وبصيرٌ يبصر بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكن

قوله : فتقول انه سميع : ايراد على قوله عليه السلام لا جسم يعنى ان له سمعاً وبصراً فكيف لا يكون جسماً ، أو قلت انه لا بد من العلم به بمحض الشيئية وقلت لا تدركه الأوهام فهل ثبت له من الصفات شيئاً أم لا فأجاب عليه السلام : بأننا ثبت الصفات على وجه لا يشابه بها المخلوقات ولا يوجب له الاشتراك مع غيره لافي حقيقة الصفات ، لأن غيره سميع بجارحة بصير بآلة وهو تعالى يسمع ويبصر ، اى يعلم المسموعات والمبصرات لا بجارحة ولا بآلة ولا بصفة زائدة على ذاته ، يلزم علينا أن يكون له مجانس أو مشابه بل هو سميع بنفسه وبصير بنفسه ثم أشار عليه السلام إلى رفع توهم آخر وهو أن يقال : قولكم يسمع بنفسه يستدعى المغايرة بين الشيء ونفسه ، لمكان بقاء السببية أو الآلية أو يقال حمل شيء على شيء أو صدقه عليه مما يستدعى مغايرة ما بين الموضوع والمحمول ، فاذا قلنا انه سميع بنفسه يتوهم أن المشار اليه بأنه شيء والسميع بنفسه شيء آخر ، فقال : ليس قولى سميع بنفسه « الخ » والمراد أن الضرورة دعت إلى إطلاق مثل هذه العبارات للتعبير عن نفى الكثرة عن ذاته حين كون الإنسان مسؤولاً يريد إفهام السائل في المعارف الإلهية فانه يضطر إلى إطلاق الالفاظ الطبيعية والمنطقية التى تواطأ عليها الناس وهو المراد بقوله عليه السلام : ولكنى أردت عبارة عن نفسى إذ كنت مسؤولاً أى أردت التعبير عما فى نفسى من الاعتقاد فى هذه المسئلة بهذه العبارة الموهمة للكثرة لضرورة التعبير عما فى نفسى اذ كنت مسؤولاً ، ولضرورة افهام

أردت عبارة عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً ، وإفهاماً لك إذ كنتُ سائلاً ، فأقول : إنه سميع بكمه لأنّ الكلّ منه له بعضٌ ولكنّي أردتُ إفهاماً لك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلاختلاف الذات ولاختلاف المعنى . قال له السائل : فما هو ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام هو الربّ وهو المعبود وهو الله

الغير الذي هو السائل ثم عبّر عليه السلام بعبارة أخرى لفهم السائل ورفع^(١) فقال فأقول انه سميع بكمه ، ولما كان هذا موهماً إنّ له سبحانه بعضاً وجزءاً نفى ذلك الوهم بقوله لا إنّ الكلّ منه له بعض وهو مجتمع من الأجزاء ، بل المراد كونه سميعاً بحقيقته وذاته ، الواحدة البسيطة الغير المنقسمة والمتكثرة ثم أوضح عليه السلام ذلك بوجه آخر فقال : وليس مرجعي اى في كلامي إلا إلى كونه سميعاً بصيراً ، ومرجع السمع والبصر فيه إلى كونه عالماً خبيراً بالمسموع والمبصر كعلم السامع البصير منّا لكن لا بآلة وجارحة بل بلا إختلاف الذات بالأجزاء ولا إختلاف المعنى ، اى الصفة للذات أول للصفة لما تحقق من امتناع إختلاف جهتي القابلية والفاعلية والإمكان والوجوب في المبدأ الأول جلّ شأنه .

قال الفارابي : إنه تعالى وجود كله ، وجوب كله ، علم كله ، قدرة كله ، حياة كله ، إرادة كله ، لأن شيئاً منه علم ، وشيئاً آخر قدرة ، فيلزم التركيب في ذاته ، ولا إنّ شيئاً فيه علم وشيئاً آخر فيه قدرة ، ليلزم التكثير في صفاته .

قوله : فما هو ؟ أى اذا تفرّدت ذاته سبحانه عن سائر الاشياء بحيث لا يشاركه شيء لافى الذات ولا في الصفات فما هو ؟ وبأى شيء تعرف ذاته ؟ فان التعريف انما يكون بالحدود وإمّا بالرسوم ، وإذ ليس بذى اجزاء فلاحد له ، وإذ ليست له صفة لازمة ولا خاصية زائدة ، فلا رسم ، والجواب : أنّ التعريف غير منحصر في هذين الوجهين ، بل قد يعرف الشيء بآثاره وأفعاله كما في القوى ، حيث تعرف بأفعايلها ، فقوله : هو الربّ « الخ » اشارة الى ذلك ، فإننا اذا رأينا المربوبات علمنا أنّ لها ربّاً ، ولما

(١) كذا في النسخ واستظهر في هامش نسخة « ب » ان الاصل « ورفع توهمه » .

وليس قولي : الله إثبات هذه الحروف : ألف ولام وهاء ، ولاراء ، ولاباء ولكن ارجع

نظرنا إلى العباد علمنا أن لهم معبوداً ، ولما أبصرنا وُلّه الأشياء و تضرّعها وافتقارها علمنا أن لها إلهاً ، فنعرف أن في الوجود رباً معبوداً وإلهاً قيّوماً ، ثم انه لما كان كثير من المتكلمين توهّموا أن الاسم عين المسمّى كما سيأتى أشار عليه السلام هنا إلى إزاحة هذا الوهم بانه ليس المراد بقولي : الله أو الرب إثبات هذه الحروف ليلزم ترّكبه سبحانه ويقذح في توحيدّه ، فإنّه ليس المقصود بقوله هو الله انه هذه الحروف ألف ، ولام ، وهاء ، ولا بقوله : هو الربّ أنّه راء وباء ، ولكن إثبات معنى اى صفة فعلية هو خالق الاشياء وصانها ، فيعرف أنّه موصوف بالصفة الفعلية ، وهذه حروف وضعت للموصوف بهذه الصفة ، فينتقل منها اليه وليست هو هي فانّ نعت هذه الحروف وهو المعنى . فقوله : و نعت ، متبداء مضاف إلى قوله هذه ، وخبره الحروف ، والمعنى انّ نعت هذه الحروف التى في الله وربّ ، انها حروف ، وأنها ألف ، لام ، هاء ، راء ، باء ، وهو اى المقصود إثباته المعنى سمى به اى سمى المعنى بالاسم الذى هو هذه الحروف ، فتذكير الضمير باعتبار الاسم ، وقوله : الله والرحمن ، مبتداء خبره من أسمائه ، هذا أحد الوجوه في حلّ هذه العبارة ، والوجه الآخر أن يقرأ نعت بالجرّ عطفاً على معنى ، فيكون المراد : أن المرجع في حمل المعنى الإشارة إلى شيء ومعنى هو خالق الاشياء وصانها ، وإلى نعت هذه الحروف بازائها ، وهو المعنى اى ذلك النعت هو معنى هذه الحروف ، سمى بذلك المعنى ذات الله كما سمى بالرحمن والرحيم ونظائر ذلك من أسمائه الحسنی وصفاته العليا ، فقوله الله أقیم مقام المفعول الأوّل لسمّى وقوله : الرحمن وما عطف عليه مبتداء خبره قوله من أسمائه ، وهو المعبود اى ذاته المسمى باسم الله ، وسائر الاسماء هو المعبود دون الاسماء ، وقيل : نعت مجرور معطوف على شيء وهو مضاف إلى الحروف ، أى الصفة التى وضعت اياها هذه الحروف ، وهو راجع إلى مرجع ضمير هو في كلام السائل أو هو ضمير شأن ، وعلى الأوّل المعنى خبر المبتداء و جملة سمى به خبر بعد خبر ، وعلى الثانى المعنى مبتداء وسمى به خبره وعلى التقديرين

إلى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها ونعت هذه الحروف وهو المعنى سمي به الله والرحمن والرحيم والعزیز وأشباه ذلك من أسمائه وهو المعبود جل وعز.
قال له السائل: فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان

ضمير به راجع إلى النعت، والله مبتدأ ومن أسمائه خبر.
قوله عليه السلام ونعت هذه الحروف «النح»: ومنهم من قرأ نعت بالجر عطف على الأشياء أو ضمير صانعها على مذهب من جوزمه بدون إعادة الجار، وحينئذ الإضافة إما لامية أو لمراة بنعتها تركيبها القائم بها، وإما بياينة أى خالق النعت الذي هو هذه الحروف، فإن أسمائه تعالى مخلوقة ونعوت له، وقال الفاضل الاستربادى: الحروف مبتدأ ونعت خبره، مقدّم عليه، أى هذه الحروف نعت وصفة دالة على ذاته، وفي توحيد الصدوق هكذا إلى معنى هوشى خالق الأشياء وصانعها، وقت عليه هذه الحروف، وهو المعنى الذى يسمى به وهو أصوب، أى هوشى أطلقت عليه هذه الحروف، وضمير به راجع إلى الاسم، والله مع ما بعده جملة أخرى، أولفظ الجلالة مفعول مقام الفاعل لىسمى، لكونه على المشهور إسم الذات، فالمراد بالمعنى مدلول الحروف ومفهومات الاسماء.
قوله: فإننا لم نجد موهوماً «النح»: أى فلم نجد المدرك بالوهم إلا مخلوقاً لما ذكرت أنه لا ندرکه الاوهام، فما يحصل في الوهم يكون مخلوقاً وما لا يحصل في الوهم لا يكون مدرکاً للوهم؟ فأجاب عليه السلام بأن كل مدرك للوهم لو كان حاصلًا بحقيقته في الوهم لكان التوحيد عنّا مرتفعاً، لأنّنا لم نكلّف أى بمعرفة غير موهم، وفي التوحيد لم نكلّف أن نعتقد غير موهم، أى لا نكلّف ما لا ندرکه بالوهم ولكن ليس الإدراك بالوهم مستلزماً لحصول حقيقة المدرك في الوهم، ونقول: كل موهم مدرك بالحواس بإحدى الجهتين أو لهما أن تحدّه الحواس وتحيط به بحقيقته، وثانيتها أن تمثله بصورته وشبهه فهو مخلوق، أما الجهة الأولى فلأن حصول الحقيقة بعد النفى ونفيها بعد الحصول في الوهم إبطال وعدم للحقيقة، وكلما يطرد عليه العدم أو يكون معدوماً يكون ممكن الوجود محتاجاً إلى الفاعل الصانع له، فلا يكون مبدءاً أوّلاً، وأما الجهة الثانية أى الحصول

مرآة العقول - ١٨ -

بالشبح والصورة المشابهة يتضمن التشبيه والتشبيه صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، لأن التشبيه بالمماثلة في الهيئة والصفة ولا يكونان إلا للمخلوق المركب أو المؤلف من الأجزاء ، أو من الذات والصفة ، ويحتمل أن يكون الجهتان جهتي الاستدلال بالمحدودية بالوهم والتمثيل فيه على المخلوقية ، إحداها جهة النفس ، وثانيهما جهة التشبيه كذا ذكره بعض الافاضل ، وقيل : لما أدى كلامه عليه السلام في تنزيهه تعالى عن المثل والشبه إلى أن ذاته تعالى شيء ينعت بأسماء ونعوت ، الفاظها ومعانيها خارجة عن ذاته إلا أن معانيها مفهومات ذهنية وهمية يعرف بها ذاته تعالى كالمعبود والرحمن والرحيم وغيرها ، رجع السائل معترضاً مستشكلاً فقال : فإننا لم نجد موهوماً ، أى كل ما توهم أو تصوّره فهو مخلوق فكيف يوصف ويعرف به خالق الأشياء ؟ فأجاب عليه السلام عن ذلك أولاً بوجه النقض بأنه لو لم توهم ذاته بهذه المعاني الوهمية ولم نعرفه بمثل هذه المفهومات الذهنية لكان التوحيد عنّا مرتفعاً ، إذ لا نقدر ولا نستطيع في توحيدهِ وتعريفهِ هذه المعاني الوهمية^(١) ، وثانياً بوجه الحل وهو أننا وإن لم نعرف ذاته إلا على سبيل التوهم وبوسيلة المعاني المشتركة الكلية ولكنّا مع ذلك نرجع ونلتفت إلى تلك المعاني التي كانت عنوانات ومرائى بها ، عرفنا ذاته فنحكم عليها بأن كل موهوم باحدى القوى والحواس ظاهريّة كانت أو باطنية وكل مدرك لنا بأحد المشاعر صورة كانت أو معنى ، فهو محدود متمثل تحده الحواس وتمثله الأفكار ، وكل ما هو كذلك فهو مخلوق مثلنا ، مصنوع بفكرنا ، وخالق الأشياء منزّه عنه وعن معرفتنا أيضاً التي تحصل لنا هذه الامور ، فنعرف ذاته بأننا لانعرف ذاته ، وهذه غاية معرفتنا بذاته مادعنا في هذا العالم ، إذ ما لاسبب له لا يمكن العلم به إلا بمشاهدة صريح ذاته ، وإما من جهة آثاره وأفعاله ، لكن العلم الذي هو من جهتها لا يعرف بها حقيقة ذاته ، بل تعرف كونه مبدءاً لتلك الآثار والأفعال ، أوصافاً أو نحو ذلك من المعاني الإضافية الخارجة ومع ذلك يحصل الجزم بكونه موجوداً وكونه على صفة كذا وكذا مما يليق به من

ذلك كما تقول لكان التوحيد عنّا مرتفعاً لا نألم نكلف غير موهوم ولكنّا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك به تحدّه الحواس وتمثله فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال

النعوت الكمالية، وقوله: إذ كان النفي هو الإبطال والعدم أراد به إثبات الحكم الكليّ الذي ذكره، وهو: أن كل موهوم أو مدرك فهو مخلوق أي موجود، لأن لا يرد عليه النقص بأنّا نتصور أموراً لا وجود لها أصلاً، كاللا موجود واللا شيء ونحوهما، فأشار إلى دفعه بأن هذه الأمور من حيث تمثّلها في الوهم موجودة مخلوقة، والنفي المحض بما هو نفي بطلان محض، وعدم صرف لاحصول له أصلاً، وقوله: والجهة الثانية التشبيه، أراد به وجهاً آخر لكل ما يدرك بالحواس، أو يتمثل في كونه مخلوقاً مصنوعاً، هو كونه شائبه ومثل، والتشبيه صفة المخلوق المستلزم للتركيب والتأليف، إذ كل ما يشبه شيئاً فله شيء به يشارك الآخر، وله شيء آخر يمتاز عنه، فيكون مركّباً وكل مركّب مخلوق وكل مخلوق فله خالق، فلا بد أن ينتهي المخلوقات إلى خالق لاشبه له، ولذا قال: فلم يكن بد من إثبات الصانع، لوجود المصنوعين، لأن كل مركّب مصنوع، وأن صانعهم غيرهم لضرورة تحقق المغايرة بين الصانع والمصنوع، ثم لا تكفي مجرد المغايرة أي بوجه دون وجه لا يستلزم التركيب في الصانع من ذينك الوجهين، فيحتاج لتركيبه إلى صانع آخر، ولذا قال: وليس مثلهم، أي من كل وجه إذ كان مثلهم ولو بوجه شبيهاً بهم في ذلك فيلزم التركيب الموجب للإحتياج إلى الغير، ثم زاد في البيان إستظهاراً بذكر نقائص المخلوقات من الحدوث والافعال والتغير في الأحوال والأعدام والملكات، ليدلّ دلالة واضحة على أن صانعها ومبدعها متعال عن المثل والشبه فثبت أن لا إنسان سبيلاً إلى معرفة خالق الأشياء بوسيلة معان إدراكية تثبت بها الصانع وصفاته، ثم يعلم أنه وراء ما يدركه ويتصوره وينزّهه به «انتهى» وأقول: بناء أكثر التكاليفات على سقط وقع من الكليني (ره) أو النساخ.

قوله: ولكنّا نقول كل موهوم «الح» وفي التوحيد والاحتجاج هكذا ولكنّا نقول كل موهوم بالحواس مدرك مما تحدّه الحواس وتمثله فهو مخلوق، ولا بد من إثبات

والعدم، والجهة الثانية: التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق المظهر التركيب والتأليف فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار إليهم أنهم مصنوعون وأنّ صانعهم غيرهم وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إزلم يكونوا وتنقلهم من صغر إلى كبر وسواد إلى بياض وقوّة إلى ضعف وأحوال موجودة لاحاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها.

قال له السائل: فقد حدّدته إذا ثبتّ وجوده، قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحدّه

صانع للأشياء، خارج من الجهتين المذمومتين، أحدهما النفي إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه إذ كان التشبيه من صفة المخلوق المظهر التركيب والتأليف، ولعلّ السقط هنا من الناسخ الأول.

قوله: والاضطرار إليهم، إلى بمعنى اللام أو بمعنى من، وفي التوحيد منهم إليه ثبت أنّهم «الخ».

قوله: لبيانها: وفي التوحيد لثباتها.

قوله: فقد حدّدته، إيراد سؤال على كونه موجوداً بأنّ إثبات الوجود له يوجب التحديد إمّا باعتبار التحدّد بصفة هو الوجود، أو باعتبار كونه محكوماً عليه فيكون موجوداً في الذهن، محاطاً به، والجواب أنّه لا يلزم تحديده وكون حقيقته حاصلّة في الذهن أو محدودة بصفة، فإن الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن والوجود ليس من الصفات المغايرة التي تحدّبها الأشياء، كما قيل، أو أنّ الوجود بالمعنى العام أمر عقليّ متصور في الذهن، مشترك بين الموجودات، زائد في التصور على المهيئات، وأمّا حقيقة الوجود الذي هو ذات الواجب جلّ اسمه فلا حدّ له ولا نظير ولا شبه ولا ندّ، فلا يعرف إلاّ بتزيهات وتقديسات وإضافات خارجة عنه، فلا ينحو نحوه إلاّ وهام والتصورات لكن يعرف بالبرهان أنّ مبدء الموجودات و صانعها موجود بالمعنى العام ثابت، إذ لو لم يكن موجوداً بهذا المعنى لكان معدوماً، إذ لا مخرج عنهما وأشار إليه بقوله لم أحدّه

ولكنني أثبتته إذ لم يكن بين النفي والاثبات منزلة .

قال له السائل : فله إثنية ومائية ؟ قال : نعم لا يثبت الشيء إلا بإثنية ومائية .

قال له السائل : فله كيفية ؟ قال : لا لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة ولكن

ولكنني أثبتته إذ لم يكن بين النفي والاثبات منزلة ، فلما انتفى النفي ثبت الثبوت .

قوله : فله إثنية ومائية : أي وجود منتزع وحقيقة ينتزع منها الوجود ؟ فأجاب

وقال : نعم لا يثبت الشيء أي لا يكون موجوداً إلا بإثنية ومائية أي مع وجود حقيقة

ينتزع الوجود منها ، قال بعض المحققين : وينبغي أن يعلم أن الوجود يطلق على المنتزع

المخلوط بالحقيقة العينية عيناً ، وعلى مصحح الانزعاع والمنتزع غير الحقيقة في كل

وجود والمصحح في الأول تعالى حقيقة العينية وإن دلنا عليه غيره ، والمصحح في

غيره تعالى مغاير للحقيقة والمهية ، فالمعنى الأول مشترك بين الموجودات كلها ،

والمعنى الثاني في الواجب عين الحقيقة الواجبة ، والمراد هنا المعنى الأول لا شعار

السؤال بالمغايرة ، وكذا الجواب ، لقوله لا يثبت الشيء إلا بإثنية ومائية حيث جعل

الكل مشتركاً فيه ، والمشارك فيه إثنية مغايرة للمائية ، وقال بعضهم : قوله فله إثنية

ومائية أي إذا ثبت أن هذا المفهوم العام المشترك المتصور في الذهن ، خارج عن وجوده

الخاص وذاته ، فاذن له إثنية مخصوصة ومائية غير مطلق الوجود هو بها هو ، فقال عليه السلام :

نعم لا يوجد الشيء إلا بنحو خاص من الوجود والمائية لا بمجرد الأمر الأعم ، وأعلم

أن للمهية معنيين : أحدهما ما بازاء الوجود كما يقال وجود الممكن زائد على مهيته

والمهية بهذا المعنى مما يعرضه العموم والإشتراك ، فليست له تعالى مهية بهذا المعنى ،

وثانيهما ما به الشيء هو هو ، وهذا يصح له ، ثم قال له السائل : فله كيفية وإنما سألك ذلك

لما رأي في الشاهد ، كل ماله إثنية فله كيفية ، فأجاب بنفي الكيفية عنه تعالى بأنها صفة

كمالية متقررّة زائدة على ذات ما إتصف بها ، والبارى جل شأنه مستغن بذاته عن كمال

زائد ووصف الكيفية بالإحاطة لأنها مما يغشى الذات الموصوفة بها كالبياض للجسم ،

والنور للأرض ، والعلم للنفس ، والظاهر أنه سأل عن الكيفيات الجسمانية أوعن

لا بدّ من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه لأنّ من نفاء فقد أنكره ودفع ربوبيّته وأبطله ومن شبهه بغيره فقد أثبت بصفته المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقّون الربوبيّة ولكن لا بدّ من إثبات أنّ له كميّة لا يستحقّها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره .

مطلق الصفات الزائدة ، ولما نفى عَلَيْهِ السَّلَام جهة الكميّة والصفة الزائدة عنه ، وعلم أنّ ههنا مزلة الأقدام ، قال : لا بدّ من الخروج من جهة التعطيل وهو نفى الصفات بالكلية والوقوع في طرف سلوب هذه الاوصاف الالهية ونقاياضها ، ومن جهة التشبيه وهو جعل صفاتها كصفات المخلوقين ، لأنّ من نفى عنه معاني الصفات فقد أنكر وجود ذاته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره ، ورفع ربوبيّته وكونه ربّاً ومبدعاً صانعاً قيّوماً إلهاً خالقاً رازقاً ، ومن شبهه بغيره بأن زعم أنّ وجوده كوجود غيره وعلمه كعلمهم ، وقدرته كقدرتهم ، فقد أثبت بصفته المخلوقين الذين لا يستحقّون الربوبيّة ، ولكن لا بدّ أن يثبت له علم لا يماثل شيئاً من العلوم ، وله قدرة لا يساوى شيئاً من القوى والقدر ، و هكذا في سائر الصفات الوجوديّة وهذا هو المراد بقوله له كميّة لا يستحقّها غيره ، وإلا فليس شيء من صفاته من مقولة كيف التي هي من الأجناس حتّى يلزم أن تكون صفة التي هي عين ذاته مرّبة من جنس وفصل ، فتكون ذاته مرّبة كما قيل ، وقال بعض المحقّقين [في] قوله لأنّ الكميّة «الخ» أي الكميّة حال الشيء باعتبار الاتّصاف بالصفة والانخفاض والتحصّل بها لأنّ الاتّصاف فعلية من القوة فهو بين الفعلية بالصفة الموجودة أو بعدهما ، وهو في ذاته بين بين ، خال من الفعليتين ، فعلية وجوده وتحصله محفوظة بالكميّة ، ولا بدّ له من مهية أخرى فاذاً هو مؤتلف مصنوع تعالى عن ذلك . قوله أنّ له كميّة : وفي التوحيد : ذات بلا كميّة ، فضمير يستحقّها راجعة إلى الذات وهو أصوب .

قوله : ولا يحاط بها : أي لا يكون الصفة محيطّة به كحاطة اللون بالجسم مثلاً أو كناية عن عدم زيادتها على الذات أو لا يخرج بها عن قابليّة الى فعلية كما قيل .

قال السائل : فيعاني الأشياء بنفسه ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : هو أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة لأن ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الأشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة ، وهو متعال نافذ الإرادة والمشئمة ، فعال لما يشاء .

٧- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عيسى ، عن ذكره قال : سئل أبو جعفر عليه السلام : أيجوز أن يقال : إن الله شيء ؟ قال : نعم يخرج من الحدين : حد التعطيل وحد التشبيه .

﴿ باب أنه لا يعرف الله ﴾

١- علي بن محمد ، عن ذكره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن حران ، عن الفضل بن السكن عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولى الأمر بالأمر بالمعروف والعديل والإحسان .

قوله : فيعاني الأشياء بنفسه : معاناة الشيء ملاسته ومباشرة ، وتحمل التعب في فعله ، والمراد أنه إذا كان واحداً واحداً لا تركيب فيه ولا تأليف ، متفرداً بالزبونية إذ لا يستحقها مصنوع فيبشر خلق الأشياء ، وصنعها بنفسه ويعالجها ويتحمل مشقة فعلها بذاته ، فأجاب بأنه سبحانه أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة لأن ذلك صفة المخلوق الذي لا يجيء الأشياء له أي لا يحصل ولا يتيسر له فعلها لعجزه وقصوره عن أن يترتب الأشياء على إرادته ومشئته ، فلا يتأتى له فعلها إلا بالمباشرة والمعالجة ، وهو سبحانه متعال عن ذلك ، نافذ الإرادة والمشئمة فعال لما يريد ، فإذا أراد وجود شيء بأسبابه يوجده مترتباً على وجود أسبابه وإذا أراد لا بأسبابه العادية يوجد لا بأسبابه على خلاف العادة .

الحديث السابع : مرسل .

باب أنه لا يعرف الله الله

الحديث الاول : مجهول .

ومعنى قوله ﷺ : اعرفوا الله بالله يعني أن الله خلق الأشخاص والأشياء والأشياء والجواهر والأعيان ؛ فالأعيان : الأبدان ، والجواهر : الأرواح ، وهو جل وعز لا يشبه

قوله يعني أن الله خلق الأشخاص : هذا كلام الكليني (ره) وقال الصدوق (ره) في التوحيد بعد نقل هذا الكلام القول الصواب في هذا الباب : هو أن يقال عرفنا الله بالله ، لأننا إن عرفناه بعقولنا فهو عز وجل واهبها ، وإن عرفناه عز وجل بأنبيائه ورسله وحججه ﷺ فهو عز وجل باعثهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً ، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثنا فيه عرفناه ، وقد قال الصادق ﷺ : لولا الله ما عرفنا ، ولولا نحن ما عرف الله حق معرفته و لولا الله ما عرف الحجج ، وقد سمعت بعض أهل الكلام يقولون : لو أن رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتى كبر وعقل ونظر إلى السماء والأرض لذكره ذلك علي أن لهما صانعاً ومحدثاً ، فقلت : إن هذا شيء لم يكن وهو إخبار بما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون ، ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلا بحجة الله تعالى ذكره على نفسه كما في الأنبياء ﷺ ، منهم من بعث إلى نفسه ومنهم من بعث إلى أهله وولده ، ومنهم من بعث إلى أهل محله ، ومنهم من بعث إلى أهل بلده ، ومنهم من بعث إلى الناس كافة ، أمّا استدلال إبراهيم الخليل ﷺ بنظره إلى الزهرة ثم إلى القمر ، ثم إلى الشمس ، وقوله : فلما أفلت « يا قوم إني بريء مما تشركون » ^(١) فأنه ﷺ كان نبياً ملهماً مبعوثاً مرسلأ ، وكان جميع قوله إلى آخره بالهام الله عز وجل إياه ، وذلك قوله تعالى : « وولك حجبتنا آتيناه إبراهيم على قومه » ^(٢) وليس كل أحد كإبراهيم ﷺ ولو استغنى في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عز وجل وتعريفه لما أنزل الله تعالى ما أنزل من قوله : « فاعلم انه لا اله الا الله » ^(٣) ومن قوله « قل هو الله أحد » إلى آخرها ، ومن قوله « بديع السموات والأرض أنى يكون

(١) سورة الانعام : ٧٨ .

(٢) سورة الانعام : ٨٣ .

(٣) سورة محمد : ١٩ .

له ولد ولم تكن له صاحبة « الى قوله «وهو اللطيف الخبير»^(١) وآخر الحشر وغيرهما من آيات التوحيد .

تبين و تحقيق

إعلم أنّ هذه الاخبار لاسيّما هذا الخبر نحتمل وجوهاً « الاول » أن يكون المراد بالمعرف به ما يعرف الشيء به بأنه هو هو ، فمعنى إعرفوا الله بالله ، اعرفوه بأنه هو الله مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والاعراض ومشابهة شيء منها ، وهذا هو الذى ذكره الكليني (ره) وعلى هذا فمعنى قوله والرسول بالرسالة « الخ » معرفة الرسول بأنه أرسل بهذه الشريعة ، وهذه الأحكام ، وهذا الدين وهذا الكتاب ومعرفة كل من أولى الأمر بأنه الأمر بالمعروف والعالم العامل به ، وبالعدل اى لزوم الطريقة الوسطى في كل شيء والاحسان اى الشفقة على خلق الله والتفضل عليهم ، ورفع الظلم عنهم ، أو المعنى إعرفوا الله بالله ، اى بما يناسب ألوهيته من التنزيه والتقدس ، والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال ، وأولى الأمر بما يناسب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزية على من سواه ، ويحتمل أن يكون الغرض ترك الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه بالعقول الناقصة فينتهي إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه وإلى الغلو في أمر الرسول و الأئمة صلوات الله عليهم ، وعلى هذا يحتمل وجهين « الاول » أن يكون المراد إعرفوا الله بعقولكم بمحض أنه خالق إله والرسول بأنه رسول أرسله الله إلى الخلق ، وأولى الامر بأنه المحتاج إليه لا قامة المعروف والعدل والاحسان ، ثم عوّ لوافى صفاته تعالى وصفات حججه عليه السلام على ما بينوا ووصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بعقولكم « والثاني » أن يكون المعنى : إعرفوا الله بما وُصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيه ، والرسول بما أوضح لكم من وصفه في رسالته إليكم ، والامام بما يبين لكم من المعروف والعدل والاحسان ، كيف اتّصف بتلك الاوصاف والأخلاق الحسنة ، ويحتمل الأخيران وجهاً ثالثاً وهو أن يكون المراد :

لا تعرفوا الرسول يما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الألوهية ، وكذا الإمام .
«الثاني» أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانته من قوى النفس العاقلة
والمدركة وما يكون بمنزلتها ، ويقوم مقامها ، فمعنى إعرفوا الله بالله ، اعرفوه بنور الله
المشرق على القلوب بالتوسل اليه والتقرب به ، فإن القول لا تهتدى إليه إلا بأنوار فيضه
تعالى ، واعرفوا الرسول بتكميله إياكم برسائله ، وبمتابعته فيما يؤدى إليكم من طاعة ربكم
فإنها توجب الروابط المعنوية بينكم وبينه ، وعلى قدر ذلك يتيسر لكم من معرفته ،
وكذا معرفة أولي الأمر إنما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعدل والاحسان ، وباستكمال
العقل بها ، وروى الصدوق في التوحيد بأسناده عن هشام بن سالم قال : حضرت محمد بن النعمان
الأحول وقام إليه رجل فقال له : بما عرفت ربك ؟ قال : بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته ،
قال : فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم فقلت له : ما أقول لمن يسألني فيقول
لي : بم عرفت ربك ؟ فقال : إن سألت سائل فقال : بم عرفت ربك ؟ قلت : عرفت الله
جل جلاله بنفسى لأنها أقرب الأشياء إلي ، وذلك لأننى أجدها أبعاضاً مجتمعة وأجزاءاً
مؤلفة ظاهرة التركيب ، مبينة الصنعة مبنية على ضروب من التخطيط والتصوير ، زائدة
من بعد نقصان وناقصة بعد زيادة قد انشأ لها حواس مختلفة وجوارح متباينة من بصر و
سمع وشام وذائق ولامس ، محصورة على الضعف والنقص والمهانة ، لا تدرك واحدة منها
مدرك صاحبته ، ولا تقوى على ذلك ، عاجزة عن إجتلاب المنافع اليها ، ودفع المضار ،
واستحالة في القول وجود تأليف لا مؤلف له ، وثبات صورة لا مصور لها ، فعلمت أن
لها خالقاً خلقها ومصوراً صوراً مخالفاً في جميع جهاتها ، قال الله تعالى : « وفي أنفسكم
أفلا تبصرون » ^(١) .

« الثالث » أن يكون المراد ما يعرف بها من الأدلة والحجج ، فمعنى
إعرفوا الله بالله أنه إنما تتأني معرفته لكم بالتفكر فيما أظهر لكم ، من آثار صنعه

جسماً ولا روحاً وليس لأحد في خلق الرُّوح الحساس الدرك أمرٌ ولا سببٌ، هو المقتدرُ بخلق الأرواح والأجسام فإذا نفى عنه الشبهين: شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله وإذا شبهه بالرُّوح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله.

وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته ، لا بما أرسل به الرسول من الآيات والمعجزات فإن معرفتها إنما تحصل بعد معرفته تعالى ، واعرفوا الرسول بالرسالة ، أى بما أرسل به من المعجزات والدلائل أو بالشرعية المستقيمة التى بعث بها فانها لا تطابقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقيقة من أرسل بها ، واعرفوا أولى الأمر بعلمهم بالمعروف وإقامة العدل والإحسان وإتيانهم بها على وجهها ، وهذا أقرب الوجوه ، ويؤيده خبر ابن حازم .

و يؤيده ما رواه الصدوق (ره) في التوحيد بإسناده عن سلمان الفارسي رضى الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة مع مائة من النصارى وما سأل عنه أبا بكر فلم يجبه ثم أرشد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب عنها ، وكان فيما سئله أن قال له : أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله عز وجل ؟ فقال على بن أبي طالب عليه السلام : ما عرفت الله عز وجل بمحمد عليه السلام ، ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض ، فعرفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة كما ألهم الملائكة طاعته ، وعرفهم نفسه بلاشبه ولا كيف ، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

أقول : قال الصدوق (ره) بعد إيراد خبر المتن وهذا الخبر وغيرهما : القول الصواب في هذا الباب ، هو أن يقال : عرفنا الله بالله لأننا إن عرفناه بعقولنا فهو عز وجل واهبها وإن عرفناه بآبائنا فهو رسله وحججه عليهم السلام فهو عز وجل باعترافهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً ، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثها ، فبه عرفناه وقد قال الصادق عليه السلام : لولا الله ما عرفناه ، ولولا نحن ما عرف الله ، ومعناه لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته ، ولولا الله ما عرف الحجج . . . إلى آخر ما ذكره (ره) وحاصل كلامه أن

٢- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عليّ بن -
عقبة بن قيس بن سميان بن أبي ربيعة مولى رسول الله ﷺ قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام :
بم عرفت ربك ؟ قال : بما عرفني نفسه ، قيل : وكيف عرفك نفسك ، قال : لا يشبهه
صورة ولا يحسّ بالحواس ولا يقاس بالناس ، قريب في بعده ، بعيد في قرب ، فوق كل
شيء ولا يقال شيء فوقه .

جميع ما يعرف الله به ينتهي إليه سبحانه ، ويرد عليه انه على هذا تكون معرفة الرسول
وأولى الأمر أيضاً بالله فما الفرق بينهما وبين معرفة الله ذلك ؟ وايضاً لا يلائمه قوله إعرفوا
الله بالله ، إلا أن يقال : الفرق باعتبار أصناف المعرفة فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة
بالله ، والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها ، ومعرفة الله فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف
والمراد بإعرفوا الله بالله حصلوا معرفة الله التي تحصل بالله ، هكذا حققه بعض الأفاضل .
الحديث الثاني : مرسل ، وريجه ، في كتب الرجال بالراء المهمة المضمومة
والباء الموحدة ثم الياء المثناة تحت ثم حاء مهمة ، وفي بعض النسخ بالراء والجيم .

قوله عليه السلام لا يشبهه صورة : أي عرفته بنفي الشبه والمماثلة والمحدودية بالحواس
والمقايسة بالناس ، أي بأن أثبت له صفات المخلوقين من الناس ، أو يقال : ما نسبته إلى
خلقه مثلاً كنسبة الصورة من المادة أو النفس إلى البدن ، أو الأب إلى الابن أو الزوج
إلى زوجته تعالى عما يشركون .

قوله عليه السلام قريب : أي من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكلّ « في بعده » أي مع
بعده عن الكلّ من حيث المباينة في الذات والصفات ، فظهر أن قربّه ليس بالمكان « بعيد »
عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به « في قربّه » أي مع قربّه بالعالية واحتياج الكلّ
إليه ، فجاءه قربّه هي جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته ، إذ الخالق لا يشابه المخلوق وكذا
العكس .

« فوق كلّ شيء » أي بالقدرة والقهر والغلبة أو بالكمال والإتصاف بالصفات
الحسنة ، وتمايزه بالنسبة إلى كلّ شيء ونقص الكلّ بالنسبة إليه فكلّ متوجه إلى

أمام كل شيء ولا يقال له أمام ، داخل في الأشياء لاكشيء داخل في شيء ، و خارج من الأشياء لاكشيء خارج من شيء ، سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره ولكل شيء مبتدء .

٣- محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور ابن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني ناظرت قوماً فقلت لهم : إن الله جل جلاله أجل وأعز وأكرم من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون بالله ، فقال : رحمك الله .

فوق ما عليه ، متوجه إليه ، وكل من نزل صارف عنه ولا يقال شيء فوقه في الأمرين ، وفيه إشعار بأنه ليس المراد به الفوقية بحسب المكان ، وإلا لأمكن أن يكون شيء فوقه . «أمام كل شيء» أي علته كل شيء ومقدم عليها ويحتاج إليها كل موجود ، أو يتفرع إليه ويعبده كل مكلف أو كل شيء متوجه نحوه في الاستكمال والتشبه به في صفاته الكمالية .

والكلام في قوله ولا يقال له إمام كما مر «داخل في الأشياء» أي لا يخلو شيء من الأشياء ، ولا جزء من أجزائه عن تصرفه وحضوره العلمي ، وإفاضة فيضه وجوده عليه ، لاكشيء داخل في شيء ، أي لاكدخول الجزء في الكل ، ولاكدخول العارض ، ولاكدخول المتمكن في المكان «خارج عن الأشياء» بتعالى ذاته عن ملاستها ومقارنتها والاتصاف بصفاتها والابتلاف منها لاخروج شيء من شيء بالبعد المكاني أو المحلي وقوله «ولكل شيء مبتدء» الظاهر أنه مبتدء وخبر أي هو مبتدء لوجود كل شيء ، وسائر كمالاتها ، ويمكن أن يكون معطوفاً على قوله هكذا ، وقيل : الجملة حالية أي كيف يكون هكذا غيره والحال أن كل شيء غيره له مبتدء أو موجوداً ، وهو مبدؤه وموجوده ، والمبدء لا يكون مثل ماله ابتداء .

الحديث الثالث : كالصحيح .

قوله : من أن يعرف بخلقه : أي بتعريف خلقه من الأنبياء والحجج ، بل هم يعرفون بالله على بناء المجهول ، أي يعرف رسالتهم وحجيتهم ، وإمامتهم بما أعطاهم من العلم وأيدهم به من المعجزات ، أو على بناء المعلوم أي هم يعرفون الله بما قرروا لهم من الدلائل

﴿ باب أدنى المعرفة ﴾

١- محمد بن الحسن ، عن عبدالله بن الحسن العلوي ؛ وعلي بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني جميعاً ، عن الفتح بن يزيد ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن أدنى المعرفة فقال : الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء .

وبما هداهم اليه من المعرفة ، كما قال تعالى : «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» ^(١) والحاصل ان وجوده تعالى أظهر الاشياء ولا يحتاج في ظهوره إلى بيان أحد ، وقد أظهر الدلائل على وجوده وعلمه وقدرته في الآفاق وفي أنفسهم ، وهو مظهر الانبياء والرسل وفضلهم وكمالهم وهو مفيض العلم والجود عليهم ، وعلى جميع الخلق ، فهو سبحانه المظهر لنفسه ولغيره وجوداً وكمالاً ومعرفة كما قال سيّد الشهداء عليه السلام في دعاء يوم عرفة : كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً . . . إلى آخر الدعاء .

باب أدنى المعرفة

الحديث الاول : مجهول وأبو الحسن عليه السلام يحتمل الثاني والثالث .

قوله عليه السلام لا شبه له ، أي في شيء من الصفات ، أو في استحقاق العبادة «ولا نظير» له في الإلهية وأنه قديم غير محتاج إلى علّة ، ولا مخرج من العدم إلى الوجود «مثبت» أي محكوم عليه بالوجود والثبوت لذاته بالبراهين القاطعة «موجود» إمّا من الوجود أو من الوجدان ، أي معلوم ، وكذا قوله : غير فقيد ، أي غير مفقود زائل الوجود أولاً يفقده الطالب ، وقيل أي غير مطلوب عنه الغيبة حيث لا غيبة له .

٢- علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته أنه كتب إلى الرجل : ما الذي لا يجتزء في معرفة الخالق بدونه ؟ فكتب إليه : لم يزل عالماً و سامعاً وبصيراً وهو الفعال لما يريد . وسئل أبو جعفر عليه السلام عن الذي لا يجتزء بدون ذلك من معرفة الخالق فقال : ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء ، لم يزل عالماً سميعاً بصيراً .

٣- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين عن الحسن بن علي بن يوسف بن بقّاح عن سيف بن عميرة ، عن إبراهيم بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن أمر الله كله عجيب ألا أنه قد احتج عليكم بما قد عرفكم من نفسه .

الحديث الثاني : ضعيف وآخره مرسل .

قوله في حال استقامته ، نقل أنه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر الغلو وهو من أصحاب الرضا عليه السلام .

قوله عليه السلام : وهو الفعال : أي بمجرّد الارادة بلا مزاولة ، وفيه ردّ على من قال أنه واحد لا يصدر عنه إلا الواحد .

قوله : وسئل ، يحتمل أن يكون من تمة مكاتبة طاهر بن حاتم ، ويحتمل أن يكون حديثاً آخر مرسل .

الحديث الثالث : صحيح ، والعجيب : الامر العظيم الغريب المخفى سببه ، والمراد أن أمر الله كله من الخفايا التي لا يطلع عليها إلا بتعريف وتبيين من الله سبحانه وإعطائه القلوب مبادئ معرفته ، إلا أنه احتج على عباده بما عرفهم من نفسه وأعطاهم مبادئ معرفته ولم يحتج عليهم ولم يكلفهم بما سواه ، فلا ينبغي لأحد أن يتعرض لمعرفة مالم يكلفه به من أمره سبحانه ويكلف تحقيق مالم يعط مبادئ معرفته ، وبعض الفضلاء قرأ ألا بالتخفيف حرف تنبيه ، فالمراد أنه تعالى أظهر لكم الغرائب من خلقه وصنعه واحتج عليكم بها .

﴿ باب المعبود ﴾

١- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن الحسن بن محبوب ، عن ابن رثاب وعن غير واحد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن عبد الاسم المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً .

وفي حديث آخر : أولئك هم المؤمنون حقاً .

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن الحكم أنه

باب المعبود

الحديث الاول : صحيح وآخره مرسل .

قوله : من عبد الله بالتوهم : أى من غير أن يكون على يقين في وجوده تعالى وصفاته أو بأن يتوهمه محدوداً مدركاً بالوهم «فقد كفر» لأن الشك كفر ، ولأن كل محدود ومدرك بالوهم غيره سبحانه ، فمن عبده كان عابداً لغيره فهو كافر .

قوله : ومن عبد الاسم : أى الحروف أو المفهوم الوصفى له دون المعنى ، أى المعبّر عنه بالاسم «فقد كفر» لأن الحروف والمفهوم غير الواجب الخالق للكل تعالى شأنه ، وإنما الاسم بلفظه ومفهومه تعبير عن المعنى المقصود ، أن يعبر عنه أى ذاته المتعالى عن إحاطة العقول والأذهان والادراكات .

قوله : ومن عبد الاسم والمعنى أى مجموعهما أو كل واحد منهما .

قوله عليه السلام : فقد عليه قلبه : أى اعتقد المعنى وإلهيته أو أنه يعبده اعتقاداً جازماً صادقاً ونطق به لسانه . فإن الاعتقاد بالقلب إذا فارق الإقرار باللسان لم يكن كافياً في الإسلام ، والإيمان ، ولا بد من النطق به مع التمكن .

الحديث الثاني : حسن .

سأل أباعبدالله عن اسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لي: يا هشام الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت يا هشام؟ قال: فقلت: زدني، قال: إن الله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معني يدل عليه بهذه الاسماء

قوله: الله مشتق من إله، أعلم أنه اختلف علماء اللسان في لفظ الجلالة هل هو جامد أو مشتق، فذهب الخليل وأتباعه وجماعة من الأصوليين وغيرهم إلى أنه علم للذات ليس بمشتق، وذهب الأكثر إلى أنه مشتق ثم غلب على المعبود بالحق، وهذا الخبر يدل على الثاني، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: من إله إما اسم على فعال بمعنى المفعول، أي المعبود أو غيره من المعاني التي سيأتي ذكرها، فلما ادخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة في الكلام، وقيل: عوض عن المحذوف، أو فعل إتماً بفتح اللام بمعنى عبد لأنه معبود، أو بالكسر بمعنى سكن، لأنه يسكن إليه القلوب، أو فرع لأن العابد يفرع إليه في النوائب، أو من أله الفصل إذا ولع بأمه، إذا العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد، أو تحييراً لأن الأوهام تتحير فيه، وقيل: مشتق من وله إذا تحير وقيل: من لاه بمعنى ارتفع، لأنه مرتفع عن مشاكلة الممكنات، وقيل: من لاه يلوه إذا احتجب لأنه محتجب عن العقول، وظاهر الخبر اشتقاقه من الإله بمعنى المعبود.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: والإله يقتضي مألوهاً، الظاهر أنه ليس المقصود أولاً الاستدلال على المغايرة بين الاسم والمسمى، بل المعنى أن هذا اللفظ بجوهره يدل على وجود معبود يعبد، أو أنه بمعنى المعبود كما قيل، أو يقتضي كونه معبوداً، ثم يبين أنه لا يجوز عبادة اللفظ بوجه، ثم استدلل على المغايرة بين الاسم والمسمى، ويحتمل أن يكون استدلالاً بأن هذا اللفظ يدل على معنى، والدال غير المدلول بديهة، وعلى هذا يحتمل أن يكون ما يذكر بعد ذلك تحقيقاً آخر لبيان ما يجب أن يقصد بالعبادة، وأن يكون تمة لهذا الدليل تكثيراً للإيراد، وإيضاحاً لما يلزمهم من الفساد، بأن

وكُلِّها غيره ، ياهشام الخبز إسم للمأْكول والماء إسم للمشروب والثوب إسم للملبوس والنَّار إسم للمحرق أفهمت ياهشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتَّخذين مع الله

يكون المعنى ان العقل ملَّاحكم بالمغايرة فمن توهم الاتحاد ان جعل هذه الحروف معبوداً بتوهم أن الذات عينها ، فلم يعبد شيئاً أصيلاً إذ ليس لهذه الاسماء بقاء واستمرار وجوداً لا بتبعية النقوش في الألواح أو الأذهان ، وان جعل المعبود مجموع الاسم والمسمى فقد أشرك وعبد مع الله غيره ، وإن عبد الذات الغالض فهو التوحيد ، وبطل الاتحاد بين الاسم والمسمى ، والاول أظهر ، ويحتمل أن يكون المراد بالمألوه من له الاله كما يظهر من بعض الاخبار انه يستعمل بهذا المعنى ، كقوله عليه السلام : كان إلهاً إذ لا مألوه وعالمٌ إذ لا معلوم فالمعنى ان الاله يقتضى نسبة إلى غيره ولا يتحقق بدون الغير ، والمسمى لاحاجة له إلى غيره ، فالاسم غير المسمى ، ثم استدللَّ عليه السلام على المغايرة بوجهين آخرين : «الاول» : ان لله تعالى اسماءً متعدِّدة فلو كان الاسم عين المسمى لزم تعدُّد الآلهة لبداهة مغايرة تلك الأسماء بعضها البعض ، قوله : ولكن الله أى ذاته تعالى لا هذا الاسم «الثاني» : ان الخبز إسم لشيء يحكم عليه بأنه مأْكول ، ومعلوم ان هذا اللفظ غير مأْكول ، وكذا البواقي ، وقيل : ان المقصود من أول الخبر الى آخره بيان المغايرة بين المفهومات العريضة التى هى موضوعات تلك الاسماء وذاته تعالى الذي هو مصداق تلك المفهومات ، فقوله عليه السلام : والا له يقتضى مألوهاً معناه ان هذا المعنى المصدري يقتضى أن يكون في الخارج موجود هو ذات المعبود الحقيقي ، ليدلَّ على ان مفهوم الاسم غير المسمى والحق تعالى ذاته نفس الوجود الصرف بلا هيئة اخرى ، فجميع مفهومات الاسماء والصفات خارجة عنه ، فصدقها وحملها عليه ليس كصدق الذاتيات على الهيئة إذ لا هيئة له كليتة ولا كصدق العريضات إذ لا قيام لأفرادها بذاته تعالى ، ولكن ذاته تعالى بذاته الأحديّة البسيطة ممّا ينتزع منه هذه المفهومات ، وتحمل عليه ، فالمفهومات كثيرة والجميع غيره ، فيلزم من عينية تلك المفهومات تعدُّد الآلهة .

قوله : الخبز إسم للمأْكول ، حجة أخرى على ذلك ، فان مفهوم المأْكول إسم

جلّ وعزّ غيره؟ قلت: نعم، قال: فقال: نفعلك الله به وثبتك ياهشام؛ قال هشام فوالله ما قهرني أحدٌ في التوحيد حتى قمت مقامي هذا.

٣- عليّ بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أوقلت له: جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد؟ قال: فقال: إن من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً بل عبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الاسماء إن الأسماء صفات وصف بها نفسه.

﴿ باب الكون والمكان ﴾

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة قال:

ما يصدق عليه كالخبز، ومفهوم المشروب يصدق على الماء، ومفهوم الملبوس على الثوب والمحرق على النار، ثم إذا نظرت إلى كلٍّ من هذه المعاني في أنفسها وجدتها غير محكوم عليها بأحكامها، فإن معنى المأكول غير مأكول إنما المأكول شيء آخر كالخبز، وكذا البواقي، ولا يخفى ما فيه، ويقال: تناضل فلان عن فلان إذا تكلم بعذره ورمى عنه، وحاج مع أعدائه وذب عنه من فضله فضلاً أي غلبه، واتناضلوا وتناضلوا: رموا للسبق، والإلحاد في الأصل: الميل والعدول عن الشيء، ثم غلب إستعماله في العدول عن الحق.

الحديث الثالث صحيح.

قوله عليه السلام: إن الأسماء صفات، ربما يستدلّ به على أن المراد بالأسماء في هذه الاخبار المفهومات الكلية لا الحروف، ويمكن أن يقال لدالاتها على الصفات أطلقت عليها مجازاً، أو كما أن الصفات تحمل على الذات فكذا الأسماء تطلق عليها فلذا سميت صفة مجازاً.

باب الكون والمكان

الحديث الاول: صحيح.

سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام فقال : أخبرني عن الله متى كان ؟ فقال : متى لم يكن حتى أخبرك متى كان ، سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

قوله : عليه السلام أخبرني عن الله متى لم يكن ؟ الظاهر ان السائل كان غرضه السؤال عن ابتداء وجوده تعالى فنفي عليه السلام الابتداء ، بأنه يستلزم سبق العدم وهو أزلي يستحيل العدم عليه ، وقيل : لما كان « متى » سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده ، ولا يصح فيما لا اختصاص لزمان به ، أجابه عليه السلام بقوله : متى لم يكن حتى أخبرك متى كان ، ونبه به على بطلان الاختصاص الذي أخذ في السؤال ، ثم صرح بسمديته بقوله : سبحان من لم يزل ولا يزال ، وبعدد مقارنته للمتغيرات واستحالة التغير عليه بدخول شيء فيه وإتصافه به ، وأخرج شيء منه حتى يصح الاختصاص بزمان باعتبار من الاعتبار بقوله فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً و تفصيله ان متى عند الحكماء نسبة المتغيرات الى مقدار تغيرها والتغير هو الحركة والزمان مقدارها ، فالواقع في الزمان أولاً وبالذات هو نفس الحركة والاستحالة ، سواء كان من مكان الى مكان ويقال له النقلة ، أو من وضع الى وضع كدوران الفلك و الفلكة ، أو من كم الى كم يقال له النمو والذبول ، أو من كيف الى كيف يقال له الاستحالة ، وغير الحركة كالأجسام وما يتبعها إنما يقع في الزمان بتبعية الحركة لا بحسب المهيئة والذات ، فكل ما لم يكن حركة ولا متحركاً ولو وجوده علاقة بالمتحرك فليس بواقع في الزمان فلا يصح السؤال عنه بمتى ، ولذا نبه عليه السلام على فساد السؤال عنه بمتى بقوله : متى لم يكن ، فان من خاصية المنسوب الى الزمان أنه ما لم ينقطع نسبته عن بعض اجزاء الزمان لم ينسب الى بعض آخر ، فالموجود في هذا اليوم غير موجود في الغد ولا في الأمس ، ولكن الباري جل جلاله لا يتصور في حقه تغير وتجدد بوجه من الوجوه ، لا في ذاته ولا في إضافته ونسبته .

٢- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : جاء رجلٌ إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام من وراء نهر بلخ فقال : إنّي أسألك عن مسألة فإنّ أحبّتنى فيها بما عندي قلت بما مامتك ، فقال أبو الحسن عليه السلام : سل عما شئت فقال : أخبرني عن ربك متى كان ؟ وكيف كان ؟ وعلى أيّ شيء كان اعتماده ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى أئبّن الأئبّن بلائبّن وكيف الكيف بلا كيف وكان اعتماده على قدرته ؛ فقام إليه الرجل فقبّل رأسه وقال : أشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وأنّ علياً وصيّ رسول الله عليه السلام والقيم بعده بما قام به رسول الله عليه السلام وأنكم الأئمة الصادقون وأنك الخلف من بعدهم .

الحديث الثاني : صحيح والظاهر «أئبّن كان» بدل «متى كان» كما هو في التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام لينطبق عليه الجواب ، وعلى هذه النسخة يمكن أن يتكلّف بأنّ متى كان لا يصحّ إلّا لما في الزمان ، والزمان لا يكون إلّا لذي مادة جسمانيّة يلزمه الأئبّن ، وليس له تعالى أئبّن لأنّه خالق الأئبّن .

قوله : وعلى أيّ شيء كان اعتماده ؟ أي استمداده في خلق ما خلق ، أو يكون هذا سؤالاً عن المكان ، فإنّ المكان في عرف الجمهور ما يعتمد الشيء عليه ، وقوله عليه السلام : أئبّن الأئبّن ، ممّا يوهم كون المهيئات مجمولة بالجعل البسيط ، ومن لا يقول بذلك يقول ممّا كانت المهيّة أيضاً في حال العدم لا تحمل على الشيء ، وبعد الوجود تحمل عليه ، صحّ أنّه جعل الأئبّن أئبناً ، وقوله عليه السلام بلائبّن : يحتمل وجهين : أحدهما : نفى الأئبّن عنه تعالى ، والثاني نفى عن الأئبّن تنبيهاً على أنّ الأئبّن الذي هو من جملة مخلوقاته لا أئبّن له ، وإلّا لزم التسلسل في الأئبّن ، فخالق الكلّ أجلّ من أن يكون له أئبّن ، وكان اعتماده على قدرته أي لا إعتداله على شيء أصلاً إذ لا إعتدال للشيء على الغير إنّما نشأ من نقصان وجوده وقصور ذاته كالجواهر الجسمانيّة وما يتبعها ، والله تعالى تامّ الحقيقة والوجود وهو المبدع للأشياء ، فلا اعتماد له على شيء بل كان اعتماد الكلّ على قدرته التي هي عين ذاته .

٣- محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم ابن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : أخبرني عن ربك متى كان ؟ فقال : وملك إنما يقال لشيء لم يكن ، متى كان ، إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كون كيف ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدئ

الحديث الثالث : ضعيف .

قوله : عليه السلام كان ولم يزل : في التوحيد باسقاط الواو .

قوله حياً بلا كيف : أى بالحياء له زائدة على ذاته ولا من الكيفيات التى تعد من توابع الحياة .

قوله ولم يكن له كان : الظاهر ان كان اسم لم يكن لأنه عليه السلام لما قال كان أوهم العبارة زماناً لأن كان يدل على الزمان ، نفى عليه السلام ذلك بأنه كان بلا زمان ، والتعبير بكان لصيق العبارة ، وقيل : أى لم يتحقق له كون شيء من الصفات الزائدة « ولا كان لكونه » أى لوجوده « كون كيف » بالاضافة ، أى ثبوت كيف وإتصاف بكيفية ، وليس في التوحيد لفظ كون في البين وهو الظاهر ، ومنهم من فصل « ولم يكن له » عن « كان » أى لم يكن الكيف ثابتاً له بأن يكون الواو للمعطف التفسيري أو الحال ، وكان ابتداء كلام تامّة وقوله وكان ثانياً ناقصة حال عن اسم كان ، أى كان أزلاً والحال أنه ليس له كون كيف بل كونه منزّه عن الإتيان بالكيف ، ومنهم من قال : المراد انه لم يجز أن يقال في حقه تعالى كان ومقابله الذى هو لا كان ، لأن مثل هذا الكون الذى وقع فيه التغير هو كون أمر وجوده عارض زائد كوجود الكيفيات الزائدة ، ويمكن فصل كيف عما قبله فالمعنى ولا كان له كون أى حدوث ، وكيف يكون كذلك وليس له أين ومكان ولا نحو من أنحاء التغير في الصفات أيضاً .

قوله ولا كان في شيء : لا كون الجزء في الكل والجزئى في الكلى ، والحال في المحل والمتمكن في المكان .

قوله : ولا كان على شيء : نفى مكان العرفى ، كما أن الأول نفى ماهو مصطلح

لمكانه مكاناً ولا قوياً بعد ما كوّن الأشياء ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ولا يشبه شيئاً مذكوراً ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه ؛ لم يزل حياً بلا حياة وملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً وملكاً جباراً بعد إنشائه للكون ، فليس لكونه كيف ولاله أين ولا له حد ولا يعرف

المتكلمين والحكماء فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ نفى أولاً عنه سبحانه الأين مجملاً ، ثم نفى عنه تفاصيله وجميع معانيه مع نفى أمور يستلزمه التأين .

قوله لمكانه : أى ليكون مكاناً أو لمنزلته بأن يكون المراد بالمكان المنزلة أو يكون لمكانة بالتثوين ، أى ليس له مكان عرفى كالسرير تتخذهُ الملك ، ليكون مكاناً له يرفعه الخدم .

قوله شيئاً مذكوراً : أى مكوّن ناله ومذكوراً بين أهل الارض ، ولعل المقصود التعميم أى كل شيء يذكر في النطق أو في الذهن فهو منزّه عن مشابهيته ، وفي التوحيد في رواية أخرى ولا يشبهه شيء مكوّن .

قوله من الملك : بالضم أى السلطنة والعظمة « قبل إنشائه » أى انشاء شيء لقد رتبته على ايجاد الأشياء وإبقائها على الوجود وإعدامها بعد الوجود وإبقائها على العدم ، وكونه جامعاً في ذاته لما يحتاج إليه فعله وحاجة المهيئات إليه في الوجود مطلقاً لذواتها .

« بعد ذهابه » أى ذهاب ما أنشأ أو إنشائه ، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لم يزل حياً بلا حياة » أى مغايرة لذاته ، ناظر الى قوله حياً بلا كيف ، وقوله : « ملكاً قادراً » إلى قوله : « ولا كان ضعيفاً ، والى قوله ولا كان خلواً ، وقوله « وملكاً جباراً بعد انشاء الكون » أى قوياً على الإبقاء وإفاضة الوجود واستمرار الإيجاد ، وعلى الإفناء بعد إفاضة الوجود واستمرار الإيجاد ، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فليس لكونه كيف ، إمّا تأكيد لما سبق ، أو المعنى ليس بعد انشاءه للكون بوجوده كيف كما لم يكن قبل الانشاء لكونه كيف ، لعدم إمكان تغييره واتصافه بما يستكمل به « ولاله أين ولاله حد » فينتهى ويحاط

بشيء يشبهه ولا يهرم لطول البقاء ولا يصعق لشيء بل لخوفه تصعق الاشياء كلها
كان حياً بلا حياة حادثة ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أين موقوف عليه ولا
مكان جاور شيئاً ، بل حيٌّ يُعرف وملك لم يزل له القدرة والملك أنشأ ماشاء حين

«ولا يعرف» بعد الكون «بشيء يشبهه» حيث لا شبه له، ولا يهرم لطول البقاء كما في المعمرين
من البشر لو هن قواهم «ولا يصعق» اى لا يغشى عليه لخوف أو غيره ، لأن وجوده و
كمالاته بذاته ، فلا يمكن زواله و التغير فيه «بل لخوفه» لأن الكل محتاج اليه
مجبور بقدرته مسخر له مضطر اليه «تصعق الاشياء كلها» اى تهلك أو تضعف عند ظهور
قدرته و تجليته ، كما قال «خر موسى صعقاً» ^(١) وقال سبحانه «فصعق من في السموات
والارض» ^(٢)

«ولا كون موصوف» النفي راجع الى القيد ، والمراد انه ليس له وجود موصوف
بكونه زائداً عليه ، لأن وجوده عين ذاته أو بكونه في زمان أو مكان لأن وجوده منزّه
عنهما ، أو المراد انه ليس له وجود موصوف محدود بحد حقيقى يخبر عن ذاتياته أو بحد
ونهاية .

وقيل : المراد بالكون الموصوف الوجود المتصف بالتغير أو عدمه عما من شأنه
التغير المعبر عنهما بالحركة والسكون «ولا كيف محدود» المراد بالكيف إتما مطلق
الصفة فيكون النفي راجعاً إلى القيد ، أو الكيفيات الجسمانية فيكون راجعاً إليهما معاً ،
«ولا أين موقوف عليه» اى أين يكون وقوفه وقيامه عليه ، أو يتوقف وجوده عليه «ولا مكان
جاور شيئاً» بالمهملة اى مكان خاص مجاور لمكان آخر ، أو بالمعجمة كما في بعض النسخ ،
اى مجاوز عن مكان آخر بأن يكون فوقه مثلاً «بل حيٌّ يعرف» على المجهول اى يعرف انه
حيٌّ بادراك آثاره بعد من آثار الحي لا باتصافه بمفهوم الحياة التى هي صفة قائمة بموصوفها ،
أو على المعلوم اى يعرف الاشياء بذاته «وملك لم يزل له القدرة» اى له القدرة والعز والسلطنة

(١) سورة الاعراف : ١٤٣ .

(٢) سورة الزمر : ٦٨ .

شاء بمشيئته ، لا يحد ولا يبعض ولا ينفى ، كان أو لا بلا كيف ويكون آخراً بلا أين وكل شيء هالك إلا وجهه ؛ له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، وملك أيها السائل إن ربى لا تغشاه الأوهام ولا تنزل به الشبهات .

لذاته ، لا يكون الاشياء وسلطنته عليها ، ثم لما أثبت ﷻ توحيد ذاته ونفى الزائد من العلم والقدرة وغيرهما أمكن أن يتوهم أن صدور الاشياء عنه يكون على وجه الإيجاب كفعل الطبايع العديمة الشعور ، فأزال ذلك التوهم بأن أيجاد كل ما شاء في وقته الخاص بمحض مشيئته وعلمه الذى هو عين ذاته ، ثم رجع إلى نفى المثالب عنه تأكيداً للمسبق وتوضيحاً ، فقال : « لا يحد » لأن الحد إنما يكون لماله جزء فيحد بأجزائه وليس هو كذلك ولذا قال عقبيه « ولا يبعض » أى لا في الخارج ولا بحسب الذهن « ولا ينفى » لمنافاته وجوب الوجود « كان أو لا بلا كيف » أى مبدءاً موجداً للكل لا بقدرة وعلم يعد أن من الكيف ، ولا بغيرهما من الكيفيات ، بل بذاته وصفاته الذاتية « ويكون آخراً » أى باقياً مع ما عاده من الأواخر وبعد فناء ما ينفى منها « بلا أين » أى بلا كونه كونا مادياً زمانياً فلا يكون آخراً بالحدوث على حال أو بالزمان ، بدخوله تحت الزمان ، ويحتمل أن يكون المراد بالأول المبدء الفاعل وبالأخر الغاية ، فانه فاعل الكل بلا كيف ، وغاية الكل حتى الماديات بالمقارنة مادة والتأين بأين كما قيل ، « كل شيء هالك إلا وجهه » أى ينفى جميع الاشياء قبل القيامة إلا ذاته تعالى كما ورد في الأخبار ، أو كل شيء في معرض الفناء والعدم لا مكانه إلا الواجب الوجود بالذات أو كل جهات الاشياء جهات الفناء إلا جهتها التى بها ينتسب اليه تعالى ، فانه علته وجودها وبقائها بتلك الجهة « له الخلق والأمر » : قيل المراد بالخلق عالم الاجسام والماديات أو الموجودات العينية ، وبالأمر عالم المجرىات أو الموجودات العلمية ، ويمكن أن يكون المراد بالاول خلق الممكنات مطلقاً ، وبالثانى الأمر التكليفى أو الاعم منه ومن التكوينى ، وهذا أنسب بعرف الاخبار « ولا تغشاه الأوهام » أى لا تحيط به ولا تدركه ، وليس علمه بالأشياء بالتوهم « ولا تنزل به الشبهات » أى ليس في أمره من وجوده وكمالاته شبهة لوضوح الأمر أوليس علمه بالشبهات و

ولا يحار ولا يجاوزه شيء^(١) ولا ينزل به الأحداث ولا يسأل عن شيء ولا يندم على شيء ولا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه رفعه قال : اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا له : إن هذا الرجل عالم - يعنون أمير المؤمنين عليه السلام - فانطلق بنا إليه نسأله ، فأتوه فقبل لهم : هوفي القصر فانتظروه حتى خرج ، فقال له رأس الجالوت : جئناك نسألك فقال : سل يا يهودي عما بدالك ، فقال : أسألك عن ربك متى كان ؟ فقال : كان بلا كينونية كان بلا كيف ، كان لم يزل بلاكم

الظنون « ولا يحار من شيء » بالمهمل من الحيرة ، وبالمعجمة على صيغة المجهول أى لا يجبره من شيء أحد .

قوله « ولا يجاوزه » : أى لا يخرج من حكمه ومشيته شيء ، وفي بعض النسخ بالراء المهمل من المجاورة ، وربما يقرأ بالمهملتين من الحور بمعنى النقص ، والمفاعلة للتعدية أى لا ينقصه شيء ، ولا يخفى مافيه ، وأحداث الدهر : نوائبه « ولا يسأل عن شيء » أى سؤال احتجاج ومؤاخذة لكمال سلطنته وعلمه وحكمته وعطفه ورحمته ، والمراد بما تحت الثرى ماتحت التراب الذى به نداوة وبلة ، أى الطبقة الطينية ، قيل : ويحتمل أن يكون المراد بما بينهما ما يصل من امتزاج القوى العلوية والسفلية ، وبما تحت الثرى ما يتكوّن بامتزاج الماء والتراب ، وفي الاخبار في تحقيق ذلك غرائب أوردها في كتابنا الكبير .

الحديث الرابع : مرفوع ورأس الجالوت هو مقدّم علماء اليهود ، وجالوت أعجميّ ولما سئل عن زمانه وكان الزمان مخصوصاً بالموجودات الزمانية التي لا تخلو من كون حادث وكيف وكمّ وغاية ، نفى عنه تعالى هذه المعاني للتنبيه على أنّه لا يصحّ فيه متى ، فقال : كان بلا كينونة ، أى وجود زائد أو حادث ، « كان بلا كيف » أى صفة زائدة .

قوله « بلا كيف » : أى الكيفيات الجسمانية ، قوله : « كان » بعد ذلك يحتمل تعلقه

(١) وفي بعض النسخ كنسخة الشارح (ره) « ولا يحار من شيء ولا يجاوزه » .

وبلا كيف كان ليس له قبل ، هو قبل القبل بالقبل ولا غاية ولا منتهى ، انقطعت عنه الغاية وهو غاية كل غاية ؛ فقال رأس الجالوت : امضوا بنا فهو أعلم مما يقال فيه .
 هـ- وبهذا الإسناد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء خبر من الأخبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربك ؟ فقال له : نكلتك أمك ومتى لم يكن ؟ حتى يقال : متى كان ، كان ربّي قبل القبل بالقبل وبعد البعد بلا بعد ، ولا غاية ولا منتهى لغايته ، انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أفنبي أنت ؟ فقال : و يملك إنما أنا عبد من عبيد محمد وآله . و روي أنه سئل عليه السلام : أين كان

بالسابق واللاحق وكذا السابق هو قبل القبل أي قبل كل ما تعرض له القبلية « بالقبل » أي من غير أن يكون شيء قبله ، أوليس له ما يتّصف بالذات بالقبلية كالزمان « ولا غاية » أي ليس لوجوده ولا حال من أحواله نهاية ، ولا ما ينتهي إليه « انقطعت عنه الغاية » أي طرف الامتداد ، فإن الامتداد متأخر عنه بمراتب ، أوكل غاية ونهاية تفرض فهو موجود بعده « وهو غاية كل غاية » أي انتهاء وجود الغايات أو موجود بعد كل غاية .

الحديث الخامس : مجهول وآخره مرسل .

قوله نكلتك أمك : قال في المغرب : نكلت المرأة ولدها : مات منها « وبعد البعد بلا بعد » أي لاشيء بعده ، أوليس له شيء متّصف بالبعدية بالذات كما مرّ في القبل « انقطعت الغايات عنده » فأنه لا امتداد حيث هو فضلا عن طرفه ، أوكل غاية تفرض فهو موجود بعده « فهو منتهى كل غاية » أي منتهى العلل الغائية أو منتهى طلبات العالمين ورغباتهم ، وقد زعم الحكماء أن جميع الطبائع من السفليات والعلويات متوجهة إلى تحصيل كمالها الممكنة بحسب قابلياتها واستعداداتها والتشبه بما فوقها إلى أن ينتهي إليه سبحانه ، فأنه غاية الغايات ، والكمال بالذات ، وكلماتهم في ذلك طويلة ، والله الهادي إلى الحق واليقين .

قوله عليه السلام : إنما أنا عبد : أي مطيع خادِم له مقتبس من علمه ، وهذا من غاية

ربنا قبل أن يخلق سماء و أرضاً ؟ فقال ﷺ « أين » سؤال عن مكان ؟ ! وكان الله ولا مكان .

ع- علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن عمرو بن عثمان ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : قال رأس الجالوت لليهود : إن المسلمين يزعمون أن علياً ﷺ من أجدل الناس وأعلمهم اذهبوا بنا إليه لعلني أسأله عن مسألة وأخطئه فيها فاتاه فقال : يا أمير المؤمنين إنني أريد أن أسألك عن مسألة ، قال : سأل عما شئت ، قال : يا أمير المؤمنين متى كان ربنا ؟ قال له : يا يهودي إنما يقال : متى كان لمن لم يكن فكان متى كان ، هو كائن بلا كينونية ، كائن كان بلا كيف يكون ، بلى يا يهودي ثم بلى يا يهودي كيف يكون له قبل ؟ ! هو قبل قبل بلا غاية ولا منتهى

تواضعه وحبّه للرسول صلى الله عليه وآلهما .

الحديث السادس : ضعيف .

قوله : من أجدل الناس : أي أقواهم في المخاصمة و المناظرة وأعرفهم بالمعارف الية ينية .

قوله : متى كان : تأكيد للسؤال الأول ، وقيل : متى الأولى استفهامية ، والثانية خبرية ، أي : متى كان لا يستعلام حال من لم يكن موجوداً حيناً من الدهر ثم كان في الوقت الذي كان ، وقيل : متى كان ثانياً شرط وقع حالا «بلا كينونة كائن» أي قبل أن يتكوّن كائن ، أو بلا وجود موجود معه من زمان أو مكان أو غيرهما ، أو بلا كينونة ككينونة الكائنات «كان بلا كيف يكون» أي بدون كيف يوجد ، سواء كان كيفية موجودة أو استعداداً لها ، ولما استشعر ﷺ من السائل إنكاراً لكون الشيء موجوداً بلا كيف ولا زمان ، أو كان مظنة ذلك ، ردّ عليه بقوله بلى يا يهودي ثم أكد بقوله : ثم بلى ، وقوله ﷺ : كيف يكون له قبل ، أي شيء سابق عليه ، وهو قبل كلّ قبل وعلة كلّ شيء بلا غاية ، أي امتداد زمان ولا منتهى غاية ، أي بلا نهاية لا امتداد وجوده وشيء من كمالاته «ولا غاية إليها» قيل : الضمير راجع الى الغاية ، وإلى بمعنى اللام ، أي

غاية ولا غاية إليها ، انقطعت الغايات عنده ، هو غاية كل غاية فقال : أشهد أن دينك الحق وأن ماخالفه باطل .

٧- علي بن محمد رفعه ، عن زرارة قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : أكان الله ولاشيء؟ قال : نعم كان ولاشيء . قلت : فأين كان يكون ؟ قال : وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال : أحلت يا زرارة وسألت عن المكان إذ لا مكان .

٨- علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الوليد ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أنى حبر من الأحرار أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربك ؟ قال : وملك إنما يقال : متى كان لما لم يكن فأما ما كان فلا يقال : متى كان ، كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد ولا منتهى غاية لتنتهى غايته ، فقال له : أنبي أنت ؟ فقال : لا مَك الهَبْل إنما أنا عبد من عبيد رسول الله ﷺ .

﴿ باب النسبة ﴾

١- أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي

لا غاية لغاية الغايات ، وقيل : المراد لا غاية ينتهى هو إليها أو ليس كونه غاية الى غاية بل هو غاية لما لا ينتهى . وفي التوحيد بسند آخر ولا غاية اليها غاية اى نهاية ينتهى اليها مسافة .

الحديث السابع : مرفوع .

قوله : فأين كان يكون : كان زايدة « أحلت » اى تكلمت بالمحال .

الحديث الثامن : ضعيف ، وفي الصحاح : الهبل بالتحريك مصدر قولك : هبلته أمه اى ثكلته .

باب النسبة

الحديث الاول : صحيح .

أيوب ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : أنسب لنا ربك ، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت « قل هو الله أحد » إلى آخرها .

ورواه محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن أبي أيوب .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ؛ ومحمد بن الحسين ، عن ابن -

محبوب ، عن حماد بن عمرو النصيبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت أبا عبد الله عن قل هو الله أحد فقال : نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا ظل له

قوله أنسب لنا : أى أذكر نسبه وقرابته ، فالجواب بنفى النسب والقرابة ، أو نسبته إلى خلقه فالجواب ببيان كيفية النسبة .

قوله فلبث ثلاثاً : أى ثلاث ليال ، والليل قديوث باعتبار ليلة فاتها بمعنى الليل ، والتأخير لتوقع نزول الوحي فانه أتم وأكمل وأوفق بالنظام الأعلى .

الحديث الثانى : مجهول .

قوله : و روى ، وفي بعض النسخ و رواه ، وهذا هو الظاهر بأن يكون هذا سنداً آخر للخبر السابق إلى أبي أيوب ، ويكون محمد بن يحيى ابتداء الخبر اللاحق . قوله : وعن ، زيادة من النسخ .

قوله إلى خلقه أحداً : أى نسبه أو أنسبه أحداً أو هو منصوب على الحالة أو على المدح ، والأحداً لا ينقسم اصلاً لا وجوداً ولا عقلاً إلى أجزاء ولا إلى مهية وإنسية مغايرة لها ، ولا إلى جهة قابلية وجهة فعلية ، وكلما كان شيئاً موجوداً بذاته لا بوجود مغاير يكون واجب الوجود ويكون أزلياً فقوله أزلياً ناظر إلى قوله أحداً ، منبته على المراد منه « الصمد » كما سيذكر : السيد الذى يقصد اليه في الحوائج ، فالكل يقصده لكماله فلا يستكمل بشيء من خلقه ، وقوله « صمدياً » مبالغة في كونه صمداً كالأحرى ، ويمكن أن يكون ما سيذكر بعد ذلك كله متفرعاً على الصمد أو بعضه على الأحداً ، وبعضه على الصمد ، كما لا يخفى على المتأمل .

قوله لا ظل له : المراد بالظل إما السبب أو الحافظ أو الصورة أو المثال كما عند

يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلفتها، عارفٌ بالمجهول، معروف عند كل جاهل، فردائياً، لاخلقه فيه ولاهو في خلقه، غير محسوس ولا محسوس، لا تدركه الأبصار،

القائلين بعالم المثال فإن لكل شيء عندهم مثلاً في تلك العالم وقيل: المراد رب النوع كما نقل عن شيخنا البهائي والأظهر أن المراد الروح كما يقال عالم الأرواح عالم الظلال، أو المراد الأمكنة التي يستقرّون عليها، والسقوف التي يستظلون تحتها، إمّا حقيقة أو كناية عن جميع أسباب الأشياء وما يمسكها عن الزوال والفساد، والباء إمّا بمعنى مع أو السببية، أي يحفظ الأشياء مع ما تستحفظ بها من الأظلة والأسباب، أو يحفظها بواسطة إيجاده لأظلفتها وأسبابها، وقيل: الظل من كل شيء شخصه أو وقاءه وستره، أي لاشخص ولا شبح له يمسكه كالبدن للنفس، والفرد المادي للحصة، ولا وافي له يقيه وهو يمسك الأشياء بأظلفتها، أي بأشخاصها وأشباحها، أو بوقاياتها لانه إذا كان صمدياً ومقصوداً في حوائج الكل، لم يكن محتاجاً إلى غيره في شيء، ويكون كل شيء غيره محتاجاً إليه، وقيل: المراد به الكنف كما يقال: يعيش فلان في ظل فلان أي في كنفه، وقال في القاموس: الظل: الفئ، والخيال من الجن وغيره يرى، ومن كل شيء شخصه أو كنهه وهو في ظلّه في كنفه، وقيل: الظل الجسم في حديث ابن عباس: الكافر يسجد لغير الله وظلّه يسجد لله أي جسمه، وإمّا يقال: للجسم الظل، لانه عنه الظل ولانه ظلماني والروح نوراني، وهو تابع له يتحرك بحركته النفسانية «عارف بالمجهول» أي بما هو مجهول للخلق من الطغيات والمعدومات «معروف عند كل جاهل» أي ظاهر غاية الظهور حتى أن كل من شأنه أن يخفي عليه الأشياء، ويكون جاهلاً بها هو معروف عنده غير خفي عليه لأن مناط معرفته مقدمات ضرورية، فالمراد معرفته بوجه والتصديق بوجوده، ويمكن أن يقال: كل عاقل يحكم بأن صانعه لا يشبه المصنوعات وهذا غاية معرفته سبحانه بعد الخوض فيها، إذ لا سبيل إلى معرفة حقيقته إلا بسلب شبه صفات الممكنات عنه، ولا ينافيها الجهل بما هيئات الممكنات وصفاتها المخصوصة بها.

«فردائياً» الالف والنون زائدتان للنسبة، وهي للمبالغة أي لا يقارنه خلقه،

علاقرُب ودنا فبعُد ، وعُصِي ففقر وأُطِيع فشكر ، لائحويه أرضه ولا تَقْلَه سماواته ،
 حامل الأشياء بقدرته ديموميُّ أزلِيُّ لا ينسى ولا يلهو ولا يغلط ولا يلعب ولا لا إرادته

لامقارنة الحالِيَّة فيه أو الدخول فيه ، كما قال « لاخلقه فيه » ولا مقارنة المحلِيَّة
 له أو المكانية؛ كما قال « ولاهوفي خلقه » ويشعر هذا إلى ترتب لم يلد ولم يولد على الصمد
 والمعنى : لاخلقه فيه فيلد خلقه ولاهوفي خلقه فيولد من خلقه ، غير محسوس بشيء من
 الحواس الظاهرة والألكان جسماً أو جسمانياً « ولا محسوس » أي ملموس تأكيداً ،
 وقيل : أي بشيء من المشاعر الباطنة لكن لم يساعده اللغة ، ويمكن أن يكون استعمل
 فيه مجازاً .

قوله **عَلاقرُب** : أي علا كل شيء ذاتاً و صفة فقرب علماً و قدرةً ، ودنا
 بالعلِيَّة لكل شيء فصار سبباً لعلوه وبعده عن الأبصار والعقول « فشكر » أي أثاب و
 جازى وهاتان الفقرتان أيضاً لبيان نوع من ارتباطه ونسبته إلى الخلق ، « لائحويه
 أرضه » أي لانضمته وتجمعه الأرض التي هي من مخلوقاته « ولا تَقْلَه » أي لا تحمله ،
 والغرض أنه ليس الارتباط بينه وبين خلقه باتصاله بالخلق من جهة السفلى فتحويه
 أرضه ، ولا من جهة العلو فتحمله سماواته ، بل ارتباطه بأنه حامل الأشياء و معطى
 وجودها ومبقيها بقدرته ومربيها والمفيض عليها ما هي قابلة لها برحمته « ديموميُّ »
 منسوب إلى مصدر دام يدوم دواماً ، وديمومة « أزلِيُّ » لا ابتداء لوجوده « لا ينسى ولا
 يلهو » أي لا يففل عن شيء لعدم جواز التغير عليه لصمديته « ولا يغلط » لكمال علمه « ولا
 يلعب » لأنه من نقص الإدراك وعدم العلم بالعواقب ، والصمد الذي جميع كما لاته بالفعل
 لا يصدر عنه هذه الأمور « ولا لا إرادته فصل » الفصل : القطع ، أي لا قاطع لا إرادته يمنعها
 عن تعلّقها بالمراد ، وقيل : معناه ليست إرادته فاصلة بين شيء و شيء بل يتعلّق بكل
 شيء ، وقيل : ليس لا إرادته فصل ، أي شيء يداخله فيكون به راضياً أو ساخطاً ، إنما
 كونه راضياً أو ساخطاً بالإثابة والعقاب ، كما قال « وفصله جزاء » وعلى الأولين : المراد
 أن فصله بين أفعال العباد وهو جزاء لهم على أفعالهم لا ظلم وجور عليهم ، وقيل : أي

فصل وفصله جزاء وأمره واقع ، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفواً أحد .
 ٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد
 عن عاصم بن حميد قال : قال : سئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال : إن الله
 عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأُنزل الله تعالى قل هو الله

ليس إرادته الفعل من العبد إرادة فصل وقطع لا تتخلف بل المقطوع به الجزاء المترتب
 على الفعل ، وفي بعض النسخ : وفصله بالاضاد المعجمة ، أى سُمي فصله على العباد جزاءً
 إذ لا يستحقون بأعمالهم شيئاً « وأمره واقع » أراد به الأمر التكويني كمال قال سبحانه
 « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ^(١) « لم يلد فيورث » على بناء الفاعل
 أى لم ينفصل عنه شيء داخل فيه فينتقل إذن منه شيء إليه ، أو على بناء المفعول
 فيورثه الولد من صفاته اضمعلوم مشاركة الولد للوالد في النوع والصف وأكبر الصفات
 المخصوصة « ولم يولد فيشارك » أى لم ينفصل عن شيء كان هو داخل فيه فإذن يشارك
 أى ذلك فيما كان من صفاته ، أو يشارك أى يشاركه ذلك الشيء فيما هو من صفاته « ولم
 يكن له كفواً أحد » أى لا مكافئ له في وجوب الوجود .

الحديث الثالث : صحيح .

قوله عليه السلام متعمقون : أى ليعتقوا فيه أو لا يعتقوا كثيراً بأفكارهم بل يقتصروا
 في معرفته سبحانه على ما بين لهم ، أو يكون لهم معياراً بعرضون أفكارهم عليها ، فلا يزلوا
 ولا يخطئوا ، والأوسط أظهر ، وآيات الحديد مشتملة على دقایق المعرفة حيث دل بقوله
 سبحانه « يسبح لله ما في السموات والأرض » على شهادة الكل بتقدسه وتنزهه ثم دل
 بقوله « وهو على كل شيء قدير » على عموم قدرته ، وبقوله « هو الأول والآخر » على
 أزليته ودوامه وسرمديته ، وكونه مبدء كل معلول ، وبقوله « والظاهر والباطن » على
 ظهور آياته ودلائل وجوده ودوامه وعلمه وقدرته ، وعلمه بالظواهر والبواطن وكونه

أحد، والآيات من سورة الحديد إلى قوله : «وهو عليم بذات الصدور» فمن رام وراء ذلك فقد هلك .

٤ - محمد بن أبي عبد الله رفعه ، عن عبد العزيز بن المهتدي قال : سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال : كلُّ من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد ؛ قلت : كيف يقرؤها ؟ قال : كما يقرؤها الناس وزاد فيه : كذلك الله ربِّي [كذلك الله ربِّي] .

﴿ باب النهي عن الكلام في الكيفية ﴾

١ - محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ،

غير مدرك بالحواس والعقول ، وبقوله « وهو بكل شيء عليم » على عموم علمه ثم بقوله : « ثم استوى على العرش » على استواء نسبته سبحانه إلى المعلولات فلا يختلف بالقرب والبعد ، وظهور الشيء وخفائه وبقوله « وهو معكم أينما كنتم » على إحاطة علمه بجميع الأشخاص والأمكنة ، فلا يعزب عنه سبحانه شيء منها ، وبقوله « يولج الليل في النهار » الخ على أنه يأتي بآيات الظهور والخفاء والكشف والسر ، وأنه لا يفوت شيئاً من مصالح العباد ، وإن الموجدات بالوجود العلمي ومخزونات النفوس والصدور التي هي أخفى الأشياء ظاهرة عليه أعلى مراتب الكشف والظهور .

الحديث الرابع : مرفوع .

قوله عليه السلام وآمن بها ، أي بقدر فهمه وحوصلته وإدراكه ، فلكل من العوام والخواص وأخص الخواص حظ من هذه السورة ، ويجب عليه الإيمان بها بحسب حاله ، فيقول بعد قراءتها قولاً وعقداً « كذلك الله ربِّي » مرتين ، وفي سائر الأخبار ثلاثاً في الصلوة وغيرها ، إظهاراً للإيمان واستكمالاً له .

باب النهي عن الكلام في الكيفية

الحديث الاول : ضعيف وآخره مرسل .

عن أبي بصير قال : قال أبو جعفر عليه السلام : تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحييراً .

وفي رواية أخرى عن حريز : تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إن الله عز وجل يقول : «وَأَنِّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» ^(١) فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسَكُوا .

٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « يَا مُحَمَّدُ إِنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُ بِهِمُ الْمُنْطَقُ حَتَّى يَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِذَا سَمِعْتُمْ ذَلِكَ فَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

قوله عليه السلام تكلموا في خلق الله : هو أمر بإباحة ، والنهي في «لا تتكلموا» للتحريم ، فإن الكلام في الله أي في كنه ذاته وصفاته وكيفيتهما أو المراد المجادلة في إثبات الواجب لمن لم يكن أهلاً له ، والأول أظهر ، وأما الكلام فيه سبحانه لا على الوجهين بل بأن يذكره بما وصف به نفسه فغير منهى عنه لأحد .

الحديث الثاني : صحيح .

قوله تعالى «وَأَنِّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» المنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء ، فالمشهور بين المفسرين أن المعنى أن انتهاء الخلاق ورجوعهم إليه تعالى ، وعلى تفسيره عليه السلام المراد انتهاء التفكير والتكلم إليه تعالى .

الحديث الثالث : حسن .

قوله عليه السلام : بهم المنطق : أي لهم أو معهم ، وعلى الأخير الضمير للمخالفين .
قوله عليه السلام : فقولوا ، أي إذا سمعتم الكلام في الله فاقصروا على التوحيد ، ونفي الشريك منبهاً على أنه لا يجوز الكلام فيه ، وتبيين معرفته لإسلب التشارك بينه وبين غيره ، وأنه أحدى الذات ، ليس ذا أجزاء في ذاته ، ولا ذا كيفية في صفاته ، ولا مثل لذاته ولا شبه لصفاته ، فلا يمكن لأحد معرفتهما بشيء من الأشياء .

٢- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا زياد إياك والخصومات فانها تورث الشكَّ وتهبط العمل وتردي صاحبها وعسى أن يتكلم بالشئ فلا يغفر له إنَّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به وطلبوا علم ما كفوه حتَّى انتهى كلامهم إلى الله فتحيروا حتَّى أن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ويدعى من خلفه فيجيب من بين يديه . وفي رواية أخرى : حتَّى تاهوا في الأرض .

الحديث الرابع : مجهول كالصحيح .

قوله عليه السلام : إياك والخصومات ، أى المجادلات الكلامية والمناظرات التعصبية قصداً للغلبة ، وانها منبع أكثر الاخلاق الذميمة ، قيل : أن نسبتها إلى الفواحش الباطنة كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة فانها تورث الشكَّ لأنَّها تؤدَّى إلى ميل النفس إلى أحد الطرفين فيشكَّ فيما لا ينبغي أن يشكَّ فيه ، و يلحقه بهذه الخطيئة من لا يسلم معه أجر عمله ، أو يكون عمله حينئذ مقارناً للشكَّ فلا يوجر عليه لا بشرطه بالایمان ، وعسى أن يتكلم بالشئ في اثناء المناظرة ليل نفسه إلى المدافعة فلا يغفر له لكونه كفراً « ما وكلوا به » بالتشديد على المجهول أى أمره بآب تحصيله وأقدروا عليه كمعرفة الحلال والحرام ، « و طلبوا علم ما كفوه » أى ما أسقط عنهم و كفوا مؤثته ، كمعرفة حقايق الأشياء « حتَّى انتهى كلامهم إلى الله » فتكلموا في حقيقة ذاته أو حقيقة صفاته الحقيقية « فتحيروا » وذلك لأنَّ اشتغال القوة الإدراكية بما تعجز عنه يزيد بها حيرة وعجزاً عن الإدراك ، كما أن حمل القوة الباصرة على رؤية الشمس يزيد بها عجزاً عن الرؤية ، بل ربما يؤدَّى الى العمى « فيجيب من خلفه » بفتح الميم أو كسرهما ، و كذا الفقرة الثانية .

قوله عليه السلام حتَّى تاهوا في الأرض : أى تحيروا ولم يهتدوا إلى الطريق الواضح في المحسوسات والمبصرات فضلاً عن الخفايا من المعقولات .

٥ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسين بن الميثاق ، عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من نظر في الله كيف هو ؟ هلك .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير عن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ ملكاً عظيم الشأن كان في مجلس له فتناول الربّ تبارك وتعالى ففقد فما يدري أين هو .

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عبد الحميد ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه .

٨ - محمد بن أبي عبد الله رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا ابن آدم لو أكل قلبك

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله عليه السلام : من نظر في الله كيف هو : اى أثبت له الكيفيّة الجسمانيّة و نظر فيها أوراام أن يعرف كنه صفاته الحقيقيّة و تأمل فيها « هلك » لاعتقاده فيه ما ليس فيه .

الحديث السادس : موثق كالصحيح .

قوله عليه السلام : إنّ ملكاً : بكسر اللام ، والفتح بعيد .
قوله عليه السلام فتناول الربّ : اى تكلم أو تفكر في كنه الذات والصفات «ففقد» اى من مكانه بغضب الله أو تحير في الارض وسار فلم يعرف له خيراً . وبالمعلوم اى فقد ما كان يعرف وكان لا يدري هو في أي مكان من الحيرة .

الحديث السابع : صحيح .

قوله عليه السلام إلى عظم خلقه : اى لتستدلوا به على عظمته وأن عظمته أجل من أن يشبه عظمة خلقه ، وكذا ساير الصفات فذكرها على المثال .

الحديث الثامن : مرفوع ، ويمكن أن يكون المراد التنبيه بصغر الاعضاء

طائرٌ لم يشبعه وبصرٌك لو وضع عليه خرق أبرة لغطاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض ، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول .

٩ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن الحسن بن علي ، عن يعقوب ، عن بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن علي مولى آل سام ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال إن يهودياً يقال له : سُبِّحت ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ! جئت أسألك عن ربك ، فإن أنت أحببتي عما أسألك عنه وإلا رجعت ، قال : سل عما شئت ، قال : أين ربك ؟ قال : هو في كل مكان وليس في شيء من المكان المحدود ، قال : وكيف هو ؟ قال : وكيف

وحقارة القوى الظاهرة على ضعف قوى الباطنة أي كما لا يقدر بصرُك الظاهر على تحديد النظر إلى الشمس فكيف يقدر عين قلبك على مطالعة شمس ذاته وأنوار جلاله ، أو المراد أن العين يعجز عن رؤية بعض المحسوسات فكيف ما لا يدركه حس ولا يحيط به جهة ، فيكون تنبيهاً على عجز القوى الجسمانية عن إدراكه سبحانه ، فالمراد بالملكوت مالك الملكوت أي إذا لم تقدر على رؤية سائر الملكوت فكيف المالك ، قال بعض المحققين : نبه بصغر الأعضاء وحقارة القوى الجسمانية وعجزها عن إدراك الأضواء والأنوار على عجزها عن إدراك ملكوت السماوات والأرض ، والمراد بملكوت السماوات والأرض آثار عظمة الله سبحانه وملكه وسلطانه ، وما يظهر به عزه وعظمته ومعظمها النفوس والأرواح ، ولا يحيط بها القوى الجسمانية ولا يقوى على إدراكها .

الحديث التاسع : مرسل .

قوله عليه السلام من المكان المحدود : أي المعين أو المحدود ، مع أنه تعالى غير محدود ، والحاصل أن القرب والحضور على قسمين قرب المفارقات والمجردات وحضورها بالاحاطة العلمية بالأشياء ، وقرب المقارنات وذوات الأوضاع وحضورها بالحصول الأيني والمقارنة الوضعية في الأمكنة ، ومع المتمكنات والمتحيزات ، وحضور الحق تعالى من الأول دون الثاني .

أصف ربِّي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه ؛ قال : فمن أين يعلم أنك نبي الله ؟ قال : فما بقي حوله حجبٌ ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربي مبين باسَّحَّتْ : إنَّه رسول الله ﷺ فقال سبحَّت : ما رأيت كالיום أمراً أبين من هذا ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .

١٠ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن يحيى الخنمعي عن عبد الرحمن بن عتيك القصير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة فرفع يده إلى السماء ثم قال : تعالى الجبار ، تعالى الجبار ، من تعاطى مائماً هلك .

قوله عليه السلام : كيف أصف ربِّي بالكيف ؟ أى بصفة زائدة على ذاته ، وكل ما يغير ذاته مخلوق ، والله لا يوصف بخلقه ، لأنَّه لا يجوز حلول غيره فيه ، لأنَّه يوجب استكمالَه بغيره وكونه في مرتبة إيجاد نافصاً ، وأيضاً لا يتحقق الحلول إلا بقوة في المحل وفعلية الحال ، وهو سبحانه لا يصح عليه قوة الوجود ، لأنَّ قوة الوجود عدم ، وهو يرى في ذاته من كل وجه من العدم .

قوله : ما رأيت كالיום ، قوله كالיום ظرف للرؤية وأمرأ مفعوله الأول ، وأبين مفعوله الثاني أى ما رأيت في يوم مثل هذا اليوم أمرأ أوضح من هذا الأمر ، وأبين صفة لأمرأ أو كالיום مفعول الرؤية وأمرأ بدله ، أو أمرأ مفعول لمقدَّرى أطلب أمرأ أوضح من هذا .

الحديث العاشر : مجهول .

قوله عليه السلام فرفع يده : إمّا على سبيل الامتناع والاباء أو الدعاء أو للاشارة إلى ملكوت السماء فأنها محل ظهور قدرته تعالى .

قوله عليه السلام تعالى الجبار : أى عن أن يوصف بصفة زائدة على ذاته ، و عن أن يكون لصفته الحقيقية بيان حقيقي .

قوله من تعاطى : أى تناول بيان مائماً من صفاته الحقيقية العينية «هلك» وضلّ ضاللاً بعيداً ، وفي القاموس : التعاطى : تناول ، وتناول ما لا يحق ، والتنازع في الأخذ ، وركوب الأمر .

﴿ باب فى ابطال الرؤية ﴾

١- محمد بن أبي عبدالله، عن علي بن أبي القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله : كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه ؟ فوق عليه السلام : يا أبا يوسف جلّ سئدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي أن يرى ، قال : وسأله هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه ؟ فوق عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى أرى رسوله بقلبه من نور

باب فى ابطال الرؤية

الحديث الاول : مجهول أو صحيح .

وظن أصحاب الرجال أن يعقوب بن إسحاق هو ابن سكيت ، والظاهر أنه غيره لأن ابن سكيت قتله المتوكل في زمان الهادي عليه السلام ولم يلحق أبا محمد عليه السلام . قوله عليه السلام والمنعم علي وعلى آبائي : أى بما أنعم عليهم من كمال العلم والمعرفة فهو في أعلى مراتب التجرد ، وكل ما يكون في أعلى مراتب التجرد لا يدرك بحاسة البصر ، إذ لا صورة مادية له ولا إبطار إلا بحصول صورة مادية للمبصر ، فكما لمعرفته أن يعرف بأنه لا يمكن أن يدرك بالبصر .

قوله عليه السلام أرى رسوله بقلبه : أى كان رؤيته بالقلب بأن أراه الله وعرفه من سمات كماله وصفات جلاله وعظمة آياته ما أحب أن يعرفه ، والمراد أن رؤيته له معرفته بالقلب لا بحقيقته بل بصفاته وأسمائه وآياته ، واعلم إن الأمة اختلفوا في رؤية الله سبحانه على أقوال ، فذهبت الامامية والمعتزلة إلى امتناعها مطلقا ، وذهبت المشبهة والكرامية إلى جواز رؤيته تعالى في الجهة والمكان ، لكونه تعالى عندهم جسماً ، وذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان ، وقال الآمى في إكمال الاكمال نقلاً عن بعض علمائهم : إن رؤية الله تعالى جائزة في الدنيا عقلاً ، واختلف في وقوعها وفي أنه هل رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاسرى أم لا

عظمته ما أحبَّ .

٢- أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : سألتني أبوقرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبوقرّة إنّا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية ، فقال أبو الحسن عليه السلام : فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس : « لا تدركه الأبصار . ولا يحيطون به علماً . وليس كمثله شيء » أليس محمد ؟ قال : بلى ، قال : كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول : « لا تدركه الأبصار . ولا يحيطون به علماً . وليس كمثله شيء » ثم

فأنكرته عايشة وجماعة من الصحابة والتابعين والمتكلمين ، وأثبت ذلك ابن عباس ، وقال : إن الله اختصه بالرؤية ، وموسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة ، وأخذ به جماعة من السلف والأشعرى في جماعة من أصحابه ، وابن حنبل والحسن ، وتوقف فيه جماعة ، هذا حال رؤيته في الدنيا ، وأما في الآخرة فجايزه عقلاً ، وأجمع على وقوعها أهل السنة وأحاديث المعتزلة والمرجئة والخوارج ، والفرق بين الدنيا والآخرة أن القوى والأدراكات ضعيفة في الدنيا حتى إذا كانوا في الآخرة وخلقهم للبقاء قوى إدراكهم فأطاقوا رؤيته « انتهى » وقد دلت الآيات الكريمة والبراهين المتينة وإجماع الشيعة والأخبار المتواترة عن أهل بيت العصمة سلام الله عليهم على امتناعها في الدنيا والآخرة ، وستعرف بعضها فيما سيأتى .

الحديث الثاني : صحيح .

قوله : « لا يحيطون : وجه الدلالة أن الأبصار إحاطة علمية ، قوله « ليس كمثله شيء » ، وجه الدلالة أن الأبصار إنما يكون بصورة المرئي وهو شيء مماثل له ويشابهه وإلا لم يكن صورة له ، أو أن الرؤية تستلزم الجهة والمكان وكونه جسماً أو جسمانياً فيكون مثل الممكنات .

يقول أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟ أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر؟ قال أبو فرقة: فإنه يقول: «ولقد رآه نزلة أخرى»، فقال أبو الحسن عليه السلام:

قوله: أن ترميه أي الرسول «بهذا» أي بالنقيضين وتبليغ المتنافيين، وأن يكون «الخ» بدل لهذا، وارجاع الضمير إلى الله بعيد جداً، واعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير تلك الآيات. قوله تعالى «ما كذب الفؤاد ما رأى» يحتمل كون ضمير الفاعل في «رأى» راجعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله، وإلى الفؤاد، قال البيضاوي «ما كذب الفؤاد ما رأى» يبصره من صورة جبرئيل أوله، أي ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له، فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب، ثم ينتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره، أو ما رآه بقلبه، والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً، ويدل عليه أنه سئل عليه السلام هل رأيت ربك؟ فقال: رأيته بفؤادي وفريء ما كذب، أي صدقه ولم يشك فيه «أفتمارونه على ما يرى» أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة «إنتهى».

قوله تعالى «ولقد رآه نزلة أخرى» قال الرازي يحتمل الكلام وجوهاً ثلاثة الأول: الرب تعالى، والثاني: جبرئيل عليه السلام، والثالث: الآيات العجيبة الإلهية «انتهى» ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى^(١)، فيحتمل نزوله عليه السلام ونزول مرثيته، فاذا عرفت محتملات تلك الآية عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية ووقوعها بوجوه: «الأول» [أنه] يحتمل أن يكون المرئي جبرئيل، إذ المرئي غير مذكور في اللفظ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه في جواب الزنديق المدعي للتناقض في القرآن على ما رواه الطبرسي (ره) في الاحتجاج، حيث قال عليه السلام: وأما قوله: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدة المنتهى» يعني محمداً صلى الله عليه وآله حين كان عند سدة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل، وقوله في آخر الآية «ما زاغ البصر وما طغى» لقد رأى من آيات ربه الكبرى «رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين

إنَّ بعد هذه الآية ما يدلُّ على ما رأى . حيث قال : « ما كذب الفؤاد ما رأى » يقول : ما كذب فؤاد محمد ما رأى عيناه ، ثم أخبر بما رأى فقال : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » فأيات الله غير الله وقد قال الله : « ولا يحيطون به علماً » فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة ؛ فقال أبو بكرؓ : فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسنؑ : إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها . وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به

هذه المرة ومرة أخرى ، و ذلك أنَّ خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصورتهم ، وفي بعض النسخ وصفتهم إلَّا رب العالمين ، وروى مسلم في صحيحه بإسناده عن زر عن عبدالله : « ما كذب الفؤاد ما رأى » قال رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح ، وروى أيضاً بإسناده عن أبي هريرة « ولقد رآه نزلة أخرى » قال : رأى جبرئيل عليه السلام صورته التي له في الخلقة الأصلية ..

« الثاني » ما ذكره عليه السلام في هذا الخبر وهو قريب من الأول ، لكنه أعم منه .

« الثالث » أن يكون ضمير الرؤية راجعاً إلى الفؤاد فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضاً لأفساد فيه .

« الرابع » أن يكون على تقدير إرجاع الضمير إليه عليه السلام ، وكون المرئي هو الله تعالى ، المراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة ونهاية الانكشاف .

قوله : حيث قال ، أي أو لاقبل هذه الآية ، وإنما ذكر عليه السلام ذلك لبيان أن المرئي قبل هذه الآية غير مفسر أيضاً ، بل إنما يفسره ما سيأتي بعدها .

قوله عليه السلام : وما أجمع المسلمون عليه : أي اتفق المسلمون على حقيقة مدلول ما في الكتاب مجملاً ، والحاصل أن الكتاب قطعي السند متفق عليه بين جميع الفرق فلا يعارضه الأخبار المختلفة المتخالفة التي تفرقت بروايتها ، ثم اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى دققة غفل عنها الأكثر ، وهي أن الأشاعرة وافقونا في أن كنهه تعالى يستحيل أن يتمثل في قوة عقلية ، حتى أن المحقق الدواني نسبته إلى الأشاعرة موهماً إتفاقهم عليه ، وجوزوا إرتسامه وتمثله في قوة جسمانية وتجويز إدراك القوة

علماء ولا تدركه إلا بشار وليس كمثله شيء ؟ .

٣ - أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن سيف ، عن محمد بن عبيد قال : كتبت إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أسأله عن الرؤية وما ترويه العامة والخاصة وسألته أن يشرح لي ذلك ، فكتب بخطه : اتفق الجميع لاتمانع بينهم أن المعرفة من جهة الرؤية ضرورة فإذا جاز أن يرى الله بالعين وقعت المعرفة ضرورة ثم

الجسمانية ، لها دون العقلية بعيد عن العقل مستغرب وأشار (عليه السلام) إلى أن كل ما ينفي العلم بكنهه تعالى من السمع ينفي الرؤية أيضاً ، فإن الكلام ليس في رؤية عرض من أعراضه تعالى بل في رؤية ذاته وهو نوع من العلم بكنهه تعالى .

الحديث الثالث : مجهول .

واعلم أن الناظرين في هذا الخبر قد سلكوا مسالك شتى في حلها ولنذكر بعضها : « الأول » هو الأقرب إلى الأفهام وإن كان أبعد من سياق الكلام ، وكان الوالد العلامة قدس الله روحه يرويه عن المشايخ الاعلام وتقريره على ما حذر به بعض الافاضل الكرام هو أن المراد أنه اتفق الجميع أي جميع العقلاء من مجوزي الرؤية ومحيلها لاتمانع وتنازع بينهم على أن المعرفة من جهة الرؤية ضرورة ، أي كل ما يرى يعرف بأنه على ما يرى وأنه متصف بالصفات التي يرى عليها ضرورة فحصول معرفة المرئي بالصفات التي يرى عليها ضروري وهذا الكلام يحتمل وجهين : أحدهما كون قوله من جهة الرؤية خبراً أي أن المعرفة بالمراد يحصل من جهة الرؤية ضرورة ، وثانيهما : تعلق الظرف بالمعرفة وكون قوله ضرورة خبراً أي المعرفة الناشئة من جهة الرؤية ضرورة ، أي ضرورة ، والضرورة على الاحتمالين يحتمل الوجوب والبدهية ، وتقرير الدليل : أن حصول المعرفة من جهة الرؤية ضروري ، فلو جاز أن يرى الله سبحانه بالعين وقعت المعرفة من جهة الرؤية عند الرؤية ، ضرورة ، فذلك المعرفة لا تخلو من أن يكون إيماناً أولاً لا يكون إيماناً وهما باطلان ، لأنه إن كانت إيماناً لم تكن المعرفة الحاصلة في الدين من جهة الاكتساب إيماناً لأنهما متضادان فإن المعرفة الحاصلة بالاكتساب أنه ليس بجسم وليس في مكان و

لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً أو ليست بإيمان فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً فالمعرفة التي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان لأنها

بمتمكم ولا متكيف ، والرؤية بالعين لا يكون إلا بإدراك صورة متحيزة من شأنها الانطباع في مادة جسمانية ، والمعرفة الحاصلة من جهتها معرفة بالمرئي بأنه متصف بالصفات المدركة في الصورة ، فهما متضادّان لا يجتمعان في المطابقة للواقع ، فإن كانت هذه إيماناً لم تكن تلك إيماناً فلا يكون في الدنيا مؤمن ، وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيماناً ، أي اعتقاداً مطابقاً للواقع ، وكانت المعرفة الاكتسابية إيماناً لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب من أن تزول عند المعرفة من جهة الرؤية لتضادّهما ، ولا تزول لامتناع زوال الإيمان في الآخرة ، وهذه العبارة تحتمل ثلاثة أوجه « أحدها » لم تخل هذه المعرفة من الزوال عند الرؤية والمعرفة من جهتها لتضادّهما والزوال مستحيل ، لا يقع لامتناع زوال الإيمان في الآخرة « و ثانيها » لم تخل هذه المعرفة من الزوال وعدم الزوال ، ويكون متصفاً بكلية في المعاد ، والمستلزم لاجتماع النقيضين مستحيل « وثالثها » لم تخل هذه المعرفة من الزوال وعدم الزوال ولا بد من أحدهما وكل منهما محال ، وأما بيان أن الإيمان لا يزول في المعاد بعد الاتفاق والاجتماع عليه أن الاعتقاد الثابت المطابق للواقع الحاصل بالبرهان مع معارضة الوسواس الحاصلة في الدنيا ، يمتنع زوالها عند ارتفاع الوسواس والموانع ، على أن الرؤية عند مجوزيها إنما تقع للخواص من المؤمنين والأكمل منهم في الجنة ، فلوزال إيمانهم لزم كون غير المؤمن أعلى درجة من المؤمن ، وكون الأخطأ مرتبة أكمل من الأعلى درجة ، وفساده ظاهر .

أقول : الاحتمالات الثلاثة اتمها هي على ما في هذه النسخة من الواو ، وأما على ما في التوحيد من كلمة أوقلاً خير متعين .

ثم أعلم أنه يرد على هذا الحل أن من لم يسلم امتناع الرؤية كيف يسلم كون الإيمان المكتسب منافياً لها وإن ادّعى الضرورة في كون الرؤية مستلزماً لما اتفقوا

ضدّه ، فلا يكون في الدنيا مؤمن لأنّهم لم يرد الله عزّ ذكره وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيماناً لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب أن تزول

على امتناعه فهو كاف في إثبات المطلوب إلا أن يقال : اتّما أورد هكذا تكثيراً للفساد وإيضاحاً للمراد ، أو يقال لعلّه عليه السلام كان يبيّن للسائل إمتناع الرؤية بالدلائل ، فلمّا ذكر السائل ما ترويه العامة في ذلك ، يبيّن امتناع وقوع ما ثبت لنا بالبراهين إمتناعه وآمناً به بهذا الوجه .

الثاني : أنّ حاصل الدليل أنّ المعرفة من جهة الرؤية غير متوقفة على الكسب والنظر ، والمعرفة في دار الدنيا متوقفة عليه ، ضعيفة بالنسبة إلى الأولى فتخالفتا ، مثل الحرارة القويّة والحرارة الضعيفة ، فإن كانت المعرفة من جهة الرؤية إيماناً لم تكن المعرفة من جهة الكسب إيماناً كاملاً لأنّ المعرفة من جهة الرؤية أكمل منها ، وإن لم يكن إيماناً يلزم سلب الايمان عن الرائيين لامتناع اجتماع المعرفتين في زمان واحد في قلب واحد ، يعني قيام تصديقين أحدهما أقوى من الآخر بذهن واحد ، وأحدهما حاصل من جهة الرؤية والآخر حاصل من جهة الدليل ، كما يمتنع قيام حرارتين بماء واحد في زمان واحد ، ويرد عليه النقص بكثير من المعارف التي تعرف في الدنيا بالدليل ، وتصير في الآخرة بالمعينة ضرورية ويمكن بيان الفرق بتكلف .

الثالث : ماحققه بعض الأفاضل بعد ما مهد من أنّ نور العلم والايمان يشدّ حتّى ينتهى إلى المشاهدة والعيان ، لكن العلم إذا صار عيناً لم يصرعيناً محسوساً ، والمعرفة إذا انقلبت مشاهدة لم تنقلب مشاهدة بصرية حسية ، لأنّ الحسّ والمحسوس نوع مضادّ للعقل والمعقول ، ليس نسبة أحدهما إلى الآخر نسبة النقص إلى الكمال والضعف إلى الشدّة ، بل لكلّ منهما في حدود نوعه مراتب في الكمال والنقص ، لا يمكن لشيء من أفراد أحد النوعين المتضادّين أن ينتهى في مراتب استكمالاته واشتداده إلى شيء من أفراد النوع الآخر ، فلا يبصار إذا اشتدّ لا يصير تخيلاً مثلاً ، ولا التخيّل إذا اشتدّ يصير تعقلاً ولا بالعكس ، نعم إذا اشتدّ التخيّل يصير مشاهدة ورؤية

ولا نزول في المعاد فهذا دليل على أن الله عز وجل لا يرى بالعين إذ العين تؤدي إلى ما وصفناه .

٤ - وعنه ، عن أحمد بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله

بعين الخيال لبعين الحس ، وكثيراً ما يقع الغلط من صاحبه أنه رأى بعين الخيال أم بعين الحس الظاهر كما يقع للمبرسمين والمجانين و كذا التعقل إذا اشتد يصير مشاهدة قلبية ورؤية عقلية لاختيالية ولا حسية ، وبالجمله الإحساس والتخيّل والتعقل أنواع متقابلة من المدارك كلّ منها في عالم آخر من العوالم الثلاثة ويكون تأكد كلّ منها حجاباً مانعاً عن الوصول إلى الآخر .

فاذا تمهد هذا فنقول : اتفق الجميع على أن المعرفة من جهة الرؤية أمر ضروري ، وإن رؤية الشيء متضمنة لمعرفته بالضرورة ، بل الرؤية بالحس نوع من المعرفة فإن من رأى شيئاً فقد عرفه بالضرورة ، فإن كان الإيمان بعينه هو هذه المعرفة التي مرجعها الإدراك البصري والرؤية الحسية فلم تكن المعرفة العلمية التي حصلت للإنسان من جهة الاكتساب بطريق الفكر والنظر إيماناً ، لأنها ضده ، لأنك قد علمت أن الإحساس ضدّ التخيّل ، وإن الصورة الحسية ضدّ الصورة العقلية ، فإذا لم يكن الإيمان بالحقيقة مشتركاً بينهما ولا أمراً جامعاً لهما لثبوت التضادّ وغاية الخلاف بينهما ، ولا جنساً مبهماً بينهما غير تامّ الحقيقة المتحصلة كجنس المتضادّين مثل اللونية بين نوعي السواد والبياض ، لأنّ الإيمان أمر محصلّ وحقيقة معيّنة فهو إمّا هذا وإمّا ذاك ، فإذا كان ذاك لم يكن هذا ، وإن كان هذا لم يكن ذاك ، ثم ساق الدليل إلى آخره كما مرّ .

ولا يخفى أن شيئاً من الوجوه لا يخلو من تكلفات إمّا لفظية وإمّا معنوية ، وعلّمه عليه السلام بنى ذلك على بعض المقدمات المقرّرة بين الخصوم في ذلك الزمان إلزاماً عليهم كما صدر عنهم كثير من الأخبار كذلك ، والله تعالى يعلم .

الحديث الرابع : صحيح .

عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب : لا تجوز الرؤية ، مالم يكن بين الرائي والمرئي هواء [لم] ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية ؛ وكان في ذلك الاشتباه ، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لم ينفذه البصر : كلمة « لم » في بعض النسخ موجودة وليست في بعضها ، فعلى الأول يكون قوله لا تجوز للرؤية بياناً للمدعى ، وقوله « مالم يكن » ابتداء الدليل ، وعلى الثاني : قوله « لا يجوز » ابتداء الدليل ، وعلى التقديرين حاصل الكلام انه عَلَيْهِ السَّلَامُ استدل على عدم جواز الرؤية بأنها تستلزم كون المرئي جسمانياً ذاجة وحيز ، ويثبت ذلك بأنه لا بد أن يكون بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر وظاهره كون الرؤية بخروج الشعاع وإن أمكن أن يكون كناية عن تحقق الابصار بذلك وتوقفه عليه ، فاذا لم يكن بينهما هواء وانقطع الهواء وعدم الضياء الذي هو أيضاً من شرائط الرؤية عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية بالبصر « وكان في ذلك ، أى في كون الهواء بين الرائي والمرئي « الاشتباه » يعنى شبه كل منهما بالآخر ، يقال : اشتبه إذا أشبه كل منهما الآخر ، لأن الرائي متى ساوى المرئي ومائله في النسبة إلى السبب الذي أوجب بينهما في الرؤية ، وجب الاشتباه ومشابهة أحدهما الآخر في توسط الهواء بينهما ، وكان في ذلك التشبيه أى كون الرائي والمرئي في طرف الهواء الواقع بينهما يستلزم الحكم بمشابهة المرئي بالرائي ، من الوقوع في جهة ليصح كون الهواء بينهما فيكون متحيزاً ذاصورة وضعية ، فإن كون الشيء في طرف مخصوص من طرفي الهواء وتوسط الهواء بينهما وبين شيء آخر سبب عقلي للحكم بكونه في جهة ، ومتحيزاً وذواضع ، وهو المراد بقوله « لأن » الاسباب لا بد من اتصالها بالمسببات « ويحتمل أن يكون ذلك تعليلاً لجميع ما ذكر من كون الرؤية متوقفة على الهواء إلى آخر ما ذكر وحاصله يرجع إلى ما ادعاه جماعة من اهل الحق من العلم الضروري بأن الإدراك المخصوص بالمعلوم بالوجه الممتاز عن غيره لا يمكن أن يتعلق بما ليس في جهة ، وإلا لم يكن للبصر مدخل فيه ، ولا كسب لرؤيته ، بل المدخل في ذلك للعقل فلا وجه حينئذ

بينهما في الرؤية وجب الاشتباه و كان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتصالها بالمسببات .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبيه قال : حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له : يا أبا جعفر أي شيء تعبد ؟ قال : الله تعالى ، قال : رأيته ؟ قال : بل لم تره العيون بمشاهدة الابصار

لتسميته إبصاراً ، والحاصل أنّ الابصار بهذه الحاسة يستحيل أن يتعلّق بما ليس في جهة بديهية ، وإلاّ لم يكن لها مدخل فيه ، وهم قد جوّزوا الإدراك بهذه الجارحة الحساسة وأيضاً هذا النوع من الإدراك يستحيل ضرورة أن يتعلّق بما ليس في جهة مع قطع النظر عن أن تعلّق هذه الحاسة يستدعي الجهة والمقابلة .

وما ذكره الفخر الرازي : من أنّ الضروري لا يصير محلاً للخلاف ، وإنّ الحكم المذكور ممّا يقتضيه الوهم ويعين عليه ، وهو ليس مأموناً لظهور خطائه في الحكم بتجسّم الباري تعالى وتحيّزه وما ظهر خطأ مرّة فلا يؤمن بليّتهم ، ففاسد ، لأنّ خلاف بعض العقلاء في الضروريات جاز كالسوفسطائية والمعتزلة في قولهم بانفكاك الشيئية والوجود وثبوت الحال ، وأما قوله : بانه حكم الوهم الغير المأمون فطريف جداً لأنّه منقوض بجميع أحكام العقل لأنّه أيضاً ممّا ظهر خطائه مراراً وجميع الهندسيات والحسابيات ، وإيضاً مدخلية الوهم في الحكم المذكور ممنوع ، وإنّما هو عقليّ صرف عندنا ، وكذلك ليس كون الباري تعالى متحيّزاً ممّا يحكم به ، و يجزم ، بل هو تخيل يجري مجرى سائر الأكاذيب ، في أنّ الوهم وإن صوّره وخيّل إلينا لكنّ العقل لا يكاد يجوّزه بل يحيله ويجزم ببطلانه وكون ظهور الخطأ مرّة سبباً لعدم ايمان المخطئ وإتهامه ممنوع أيضاً ، وإلاّ قدح في الحسيات وسائر الضروريات وقد تقرّر بطلانه في موضعه في ردّ شبه القادحين في الضروريات .

الحديث الخامس : مجهول .

قوله عليه السلام : بمشاهدة الابصار : بالفتح جمعاً أو بالكسر مصدرأ ، وفي التوحيد و

ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس ؛ موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات ، لا يجوز فى حكمه ؛ ذلك الله ، لا إله إلا هو ؛ قال : فخرج الرجل وهو يقول : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

٦ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء جبرئيل إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبده ؟ قال : فقال : ويحك ما كنت أعبد رباً لم أره ؛ قال : وكيف رأيته ؟ قال : ويحك لا تدركه العيون فى مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان .

٧ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم

غيره : العيان بحقائق الايمان ، أى بالعقائد التى هى حقائق أى عقائد عقلية ثابتة يقينية لا يتطرق اليها الزوال والتغير هي أركان الايمان أو بالأحرى نوار والآثار التى حصلت فى القلب من الايمان ، أو بالتصديقات والإذاعات التى تحق أن تسمى إيماناً أو المراد بحقائق الايمان ما ينتمى إليه تلك العقائد من البراهين العقلية ، فإن الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر وجوبه ، ذكره المطرزي فى الغريبين .

« لا يعرف بالقياس » أى بالمقايسة بغيره ، وقوله عليه السلام : ولا يشبه بالناس : كالتعليل

لقوله : لا يدرك بالحواس .

« موصوف بالآيات » أى إذا أريد أن يذكر ويوصف بوصف بأن له الآيات الصادرة عنه ، المنتمية إليه ، لا بصفة زائدة حاصلة فيه ، وإنما يوصف بالصفات الكمالية بما يشاهد من آيات قدرته وعظمته وينزه عن مشابقتها ، لما يرى من العجز والنقص فيها « معروف بالعلامات » أى يعرف وجوده وصفاته العينية الكمالية بالعلامات الدالة عليه لا بالكنه .

الحديث السادس : مجهول .

الحديث السابع : ضعيف .

ابن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال : الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش و العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور السترفان كانوا صادقين فليملاً وأعينهم من الشمس ليس دونها سحاب .

٨ - محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قط جبرئيل فكشف له فأراه الله من نور عظمتة ما أحب .

ولعله تمثيل وتنبية على عجز القوى الجسمانية و بيان لأن لا إدراكها حدّاً لا تتجاوزه ، ويحتمل أن يكون تنبيهاً بضعف القوى الظاهرة على ضعف القوى الباطنة أى كما لا يقدر بصرك في رأسك على تحديق النظر إلى الشمس فكذلك لا تقدر عين قلبك على مطالعة شمس ذاته وأنوار جلاله ، والاول أظهر ، وقيل : المراد بالأنوار الأربعة النور الخيالي ، والعقلي ، والنفسي والالهي ، فالعقلي مظهره أبدان الحيوانات الارضية ، وصدر الانسان الصغير ، وأعظم المظاهر لأعظم أفراده هو الكرسي ، الذي هو صدر الانسان الكبير ، ولهذا نسبه إلى الكرسي ، والنور النفسي هو الذي مظهره في هذا العالم قلوب بني آدم ، لمن كان له قلب ، وأعظم المظاهر لأعظم أفراده هو العرش الذي هو قلب العالم الكبير ، ولهذا نسبه إلى العرش وهو مظهر النور العقلي الذي نسبه إلى الحجاب ، لأنّ العقل حجاب للمشاهدة وهو مظهر النور الالهي الذي نسبه إلى الستر لأنه مستور عن العقول .

الحديث الثامن : صحيح .

وقوله « في قوله : لاتدركه الابصار » كلام محمد بن يعقوب ذكره عنواناً لما يأتي بعده من الأخبار ولم يفردها باباً لأنه داخل في المقصود من الباب الاول .

﴿ في قوله تعالى : ﴾

﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾

٩ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي نجران ، عن عبد الله ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « لا تدركه الابصار » قال : إحاطة الوهم ألا ترى إلى قوله : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ليس يعني بصر العيون « فمن أبصر فلنفسه » ليس يعني من البصر بعينه « ومن عمي فعليها » ليس يعني عمى العيون إنما عنى إحاطة الوهم كما يقال : فلان بصير بالشعر ، و فلان بصير بالفقه ، و فلان بصير بالدراهم ، ، و فلان بصير بالثياب ؛ الله أعظم من أن يرى بالعين .

١٠ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي هاشم الجعفري ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألت عن الله هل يوصف ؟ فقال : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال : أما تقرأ قوله تعالى : « لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار » ؟ قلت : بلى ،

الحديث التاسع : صحيح .

قوله عليه السلام بصائر : جمع بصيرة .

قوله : الله أعظم : أى أعظم من أن يشكّ ويتوهم فيه أنه مدرك بالعين ، حتى يتعزّض لنفيه ، ويمكن أن يكون بمنزلة النتيجة للسابق ، أى إذا لم يكن مدركاً بالالوهام فيكون أعظم من أن يدرك بالعيون .

الحديث العاشر : صحيح .

قوله « لا تدركه الابصار » هذه الآية إحدى الدلالات التي استدلل بها النافون للرؤية ، وقرروها بوجهين ، « أحدهما » أن إدراك البصر عبارة شائعة في الإدراك بالبصر ، إسناداً للفعل إلى الآلة ، والإدراك بالبصر هو الرؤية بمعنى اتحاد المفهومين أو تلازمهما ، والجمع المعرّف باللام عند عدم فريضة العهدية والبعضية للعموم والاستغراق باجماع أهل العربية والاصول وأئمة التفسير ، وبشهادة استعمال الفصحاء وصحة الاستثناء فأنه سبحانه قد أخبر بأنه لا يراه أحد في المستقبل ، فلورآه المؤمنون في الجنة لزم كذبه

قال : فتعرفون الأبصار ؟ قلت : بلى ، قال : ما هي ؟ قلت : أبصار العيون ، فقال :

تعالى وهو محال .

واعترض عليه بأنّ اللام في الجمع لو كان للعموم والاستغراق كما ذكرتم كان قوله « تدرّكه الابصار » موجبة كليّة وقد دخل عليها النفي ، فرفعها هو رفع الإيجاب الكليّ ، ورفع الإيجاب الكليّ سلب جزئيّ ، ولولم يكن للعموم كان قوله « لا تدرّكه الابصار » سالبة مهملة في قوّة الجزئية فكان المعنى لا تدرّكه بعض الابصار ، ونحن نقول بموجبه حيث لا يراء الكافرون ، ولوسلم فلا نسلم عمومه في الاحوال والاوقات فيحمل على نفي الرؤية في الدنيا جمعاً بين الأدلة .

والجواب انه قد تقرّر في موضعه أنّ الجمع المحلّي باللام عامّ نفياً وإثباتاً في المنفي والمثبت كقوله تعالى « وما الله يريد ظلماً للعباد »^(١) « وما على المحسنين من سبيل »^(٢) حتى انه لم يرد في سياق النفي في شيء من الكتاب الكريم إلا بمعنى عموم النفي ولم يرد لنفي العموم أصلاً ، نعم قد اختلف في النفي الداخل على لفظه كلّ ، لكنه في القرآن المجيد أيضاً بالمعنى الذي ذكرنا كقوله تعالى « والله لا يحبّ كلّ مختال فخور »^(٣) إلى غير ذلك ، وقد اعترف بما ذكرنا في شرح المقاصد وبالغ فيه .

وأما منع عموم الاحوال والاوقات فلا يخفى فسادُه فإنّ نفي المطلق الغير المقيّد لاوجه لتخصيصه ببعض الاوقات إذ لا ترجيح لبعضها على بعض وهو أحد الأدلة على العموم عند علماء الاصول ، وايضاً صحّة الاستثناء دليل عليه وهل يمنع أحد صحّة قولنا ما كلّمت زيداً إلا يوم الجمعة ولا أكلمه إلا يوم العيد ، وقال تعالى « ولا تعضلوهنّ » إلى قوله « إلا أن يأتين »^(٤) وقال « ولا تخزجنّهنّ » إلى قوله « إلا أن يأتين »^(٥) و

(١) سورة غافر . ٣١ .

(٢) سورة التوبة : ٩١ .

(٣) سورة الحديد : ٣٣ .

(٤) سورة النساء : ١٩ .

(٥) سورة الطلاق : ١ .

إنَّ أوهام القلوب أكبر من ابصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام .

١١ - محمد بن أبي عبدالله ، عمّن ذكره ، عن محمد بن عيسى ، عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام « لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار » فقال : يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقُّ من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون ؟ ! .

١٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن هشام بن الحكم

أيضاً كل نفى ورد في القرآن بالنسبة إلى ذاته تعالى فهو للتأييد وعموم الاوقات ، لاسيما ما قبل هذه الآية ، وإيضاً عدم إدراك الابصار جميعاً لشيء لا يختص بشيء من الموجودات خصوصاً مع اعتبار شمول الاحوال والاوقات فلا يختص به تعالى فتعيّن أن يكون التمدّح بعدم إدراك شيء من الابصار له في شيء من الاوقات .

وثانيهما : انه تعالى تمدّح بكونه لا يرى ، فانه ذكره في اثناء المدائح وما كان من الصفات عدم مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيهه الله تعالى عنه ، وإنما قلنا من الصفات إحترازاً عن الأفعال كالعفو والانتقام ، فإنَّ الأوّل تفضّل والثاني عدل ، وكلاهما كمال .

قوله : أكبر من ابصار العيون ، فهو أحقُّ بأن يتعرّض لنفيه ، والمراد بأوهام القلوب إدراك القلوب بإحاطتها به ، ولما كان إدراك القلب بالاحاطة لما لا يمكن أن يحاط به وهماً عبّر عنه بأوهام القلوب ، ولعلّ المراد بالأكبريّة الأعميّة أي إدراك القلوب أي النفوس أعمّ لشمولها لما هو بتوسط الحواس وغيره فتأمل .

الحديث الحادي عشر : مرسل .

الحديث الثاني عشر : مرسل موقوف لم يسنده الى معصوم وإنما أوردناها

قال : الأشياء [كلها] لا تدرك إلا بأمرين : بالحواس والقلب ؛ والحواس إدراكها على ثلاثة معان : إدراكاً بالمداخلة وإدراكاً باللماسة وإدراكاً بلا مداخلة ولا لماسة ، فأما الإدراك الذي بالمداخلة فالأصوات والمشام والطعوم وأما الإدراك باللماسة فمعرفة الأشكال من الترييع والتثليث ومعرفة اللين والخشن والحر والبرد ، وأما الإدراك باللماسة ولا مداخلة فالنصر فأنه يدرك الأشياء باللماسة ولا مداخلة في حيثز غيره

تحقيق هشام لأنه من أكابر أصحاب المعصومين عليه السلام ، وكان مظنة لأن يكون مأخوذاً عنهم ، ولعل كلامه مبني على تشبيه المحسوسات بالحواس الباطنة بالمحسوسات بالحواس الظاهرة ، والمدرجات العقلية بالمدرجات الحسية ، تقريباً إلى الأفهام ، وحاصل كلامه على ما ذكره بعض الأفاضل : أن إدراك الأشياء بالاحاطة بها على قسمين ، إدراك بالحواس أي الحواس الظاهرة ، وإدراك بالقلب أي بالقوة العاقلة والحواس الباطنة ، والأول ينقسم إلى إدراك بالمداخلة وإدراك باللماسة ، وإدراك لابهما ، فأما الإدراك بالمداخلة أي بمداخلة حقيقة ما هو مدرك بالحس في الحاس كإدراك الأصوات التي هي هيئة تموج الهواء وما في حكمه المدركة بوصول تموج الهواء الداخل في الصماخ إلى حامل قوة إدراكها والمشمومات التي هي الروائح المدركة بوصول رائحة المتكثف بها ، الداخل في المنخر إلى حامل قوة إدراكها ، والطعوم والمذوقات التي هي كيفيات مذوقة المدركة بوصولها ، عند دخول المتكثف بها في الفم ، إلى حامل قوة إدراكها ، وأما الإدراك باللماسة أي بمماسة حقيقة المدرك فمعرفة الأشكال وهيئة إحاطة الحدود من الترييع والتثليث وأمثالهما ، ومعرفة اللين والخشن أي الخشونة والحر والبرد ، وأما الإدراك بلا مماسة ولا مداخلة فالبصر ، أي الإبصار أو إدراك البصر ، فأنه أي البصر مدرك الأشياء باللماسة ولا مداخلة بين حقيقة المبصر والبصر ، لافي حيثز غير البصر ، ولا في حيثز البصر ، ولا ينافي ذلك كون الإبصار بتوسط الشعاع أو انطباع شبح المبصر في محل قوة الإبصار .

وقيل : في حيثز غيره متعلق بيدرك ، أي البصر يدرك الغير في حيثز ذلك الغير

ولافى حيزه ؛ وإدراك البصر له سبيل وسبب ، فسبيله الهواء وسببه الضياء فإذا كان السبيل متصلاً بينه وبين المرئى والسبب قائم أدرك ما يلاقى من الألوان والأشخاص فإذا حمل البصر على ما لا سبيل له فيه رجع راجعاً فحكى ما وراءه كالناظر فى المرأة لا ينفذ بصره فى المرأة فإذا لم يكن له سبيل رجع راجعاً يحكى ما وراءه وكذلك الناظر فى الماء الصافى يرجع راجعاً فيحكى ما وراءه إذ لا سبيل له فى إنفاذ بصره ؛ فأما القلب

لا فى حيز البصر الذى هو المدرك ، وأما القسمان الأولان فلا شبهة فى استحالتهم فى الرب تعالى ، وأما الثالث فمستحيل فيه سبحانه أيضاً لأن إدراك البصر له سبيل وسبب لا بد منهما ، فسبيله الهواء أى الفضاء الخالى عما يمنع من نفوذ الغير حتى الشعاع وسببه الضياء أى شرطه يتحدت باستحالتهم بدونهما ، فإذا كان السبيل متصلاً بينهما ولا يكون بينهما حاجب خالكون السبب الذى هو الضياء الحاصل للمرئى ، فأنما أدرك البصر ما يلاقىه بالأينطباع أو الشعاع أو بهما من الألوان والأشخاص من الأجسام والأشباح ، فإذا حمل البصر على ما لا سبيل فيه وكلف الرؤية رجع راجعاً فلا يحكى ما كلف رؤيته بل يكون حاكياً ما وراءه ، على أنه المواجه المتوجه إليه كالناظر فى المرأة لا ينفذ بصره فى المرأة ، فأنه إذا لم يكن لبصره سبيل رجع راجعاً عما كلف رؤيته ولا سبيل إليه فيحكى ما وراءه على أنه المواجه المتوجه إليه ، وكذلك الناظر فى الماء الصافى يرجع بصره راجعاً فيحكى ما وراءه ، وقوله : إذ لا سبيل له فى إنفاذ بصره ، يحتمل أن يكون المراد به إذ لا سبيل للناظر إلى إنفاذ بصره ، حيث لا سبيل هنا ينفذه البصر ، ويحتمل أن يكون المراد إذ لا سبيل للناظر من جهة إنفاذ البصر ، أى لا سبيل ينفذ بصره فيه وأما الإدراك بالقلب أى الإدراك العقلانى بعلم زايد على جهة الاحاطة سواء كان على الوجه الجزئى أو الكلى فلا يحوم حول سرادق جلاله ولا يليق بكبرياء كما له ، لأن القوى النفسانية إنما تقوى على إدراك ما يغيرها من الجزئيات المحسوسة المحصورة فى القوى الدركية وموادها فهى من المتحيزات بالذات أو بالتبع ، وعلى إدراك كلييات مناسبة لجزئيات مدركة بالقوى الباطنة يصح بها أن تعد هى جزئيات

فإنما سلطانه على الهواء فهو يدرك جميع ما في الهواء ويتوهمه ، فإذا حمل القلب على ما ليس في الهواء موجوداً رجع راجعاً فحكى ما في الهواء فلا ينبغي للعاقل أن يحمل قلبه على ما ليس موجوداً في الهواء من أمر التوحيد جلّ الله وعزّ فأنّه إن فعل ذلك لم يتوهم إلا ما في الهواء موجود كما قلنا في أمر البصر تعالى الله أن يشبهه خلقه .

لها وصورها هيئات وصورأها ، والذي جلّ بعزّ جلاله عن أن يكون له مهية صالحة للكلية أوصورة متجزئة منقسمة متعال عن إحاطة القلوب به ، وإلى ذلك أشار بقوله وأما القلب فأنما سلطانه على الهواء ، أي البعد الذي يسمونه حيزاً فهو يدرك جميع ما في الهوى من المتحيزات بذواتها أوصورها ، فإذا حمل القلب على إدراك ما ليس في الهواء موجوداً وليس يصحّ عليه التحيز بذاته أوبصورة ذهنية مناسبة له لايقة به رجع راجعاً عما لا سبيل له إليه إلى ما يقابله من المتحيزات ، ويحتمل أن يكون نظره مقصوراً على نفى إدراكه سبحانه على النحو الجزئي بالحواس والقلب ، وأما الإدراك على النحو الكلي فمعلوم إلا تفتاء في حقّه سبحانه ، حيث أنّه يمتنع عليه سبحانه المهية الكلية ، ثم إدراك النفس ذاتها على النحو الجزئي ليس بعلم زائد وإدراكها ما يباينها إنما يكون بعلم زائد ، فلا يجوز مثله في إدراك المبادئ لها ، و علمها الزائد بذاتها إنما يكون على قياس ما ذكر ، وإذ قد تبين استحالة إدراكه بالحس والقلب فلا ينبغي للعاقل أن يحمل قلبه على إدراك ما ليس موجوداً في الهواء متحيزاً بنحو من أنحاء التحيز من أمر التوحيد جلّ الله وعزّ من أن يكون له شبه من أحوال المتحيزات فأنّه إن تكلف ذلك لم يتوهم إلا ما هو في الهواء موجود ، ولم يقع نظره إلا عليه كما قلنا في أمر البصر ، تعالى الله سبحانه أن يشبه خلقه .

ثم اعلم ان الامة اختلفوا في رؤية الله تعالى على أقوال : فذهبت الإمامية والمعتزلة إلى إمتناعها مطلقاً ، وذهبت المشبهة والكرامية إلى جواز رؤيته تعالى في الجهة والمكان لكونه تعالى عندهم جسماً وذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان ، قال الآبي في كتاب إكمال الاكمال ناقلاً عن

﴿ باب ﴾

﴿ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن العباس بن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد ابن عثمان ، عن عبدالرحيم بن عتيك القصير قال : كتبت على يدي عبدالمملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام : أن قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة و بالتخطيط فإن رأيت

بعض علمائهم : إن رؤية الله تعالى جائزة في الدنيا عقلاً واختلف في وقوعها وفي أنه هل رآه النبي ﷺ ليلة الأسرى أم لا ، فأفكرت معاشة وجماعه من الصحابة والتابعين والمتكلمين ، وأثبت ذلك ابن عباس ، وقال : إن الله اختصه بالرؤية وموسى بالكلام وإبراهيم بالخلقة وأخذه بجماعة من السلف والاشعري في جماعة من أصحابه وابن حنبل وكان الحسن يقسم لقد رآه ، وتوقف فيه جماعة ، هذا حال رؤيته في الدنيا وأما رؤيته في الآخرة فبجائزة عقلاً ، وأجمع على وقوعها أهل السنة وأحاليها المعتزلة والمرجئة والخوارج ، والفرق بين الدنيا والآخرة أن القوى والادراكات ضعيفة في الدنيا حتى إذا كانوا في الآخرة وخلفهم للبقاء قوى إدراكهم فأطاقوا رؤيته « انتهى كلامه » .

وقد عرفت مما مر أن استحالة ذلك مطلقاً هو المعلوم من مذهب أهل البيت عليهم السلام وعليه إجماع الشيعة باتفاق المخالف والمؤلف وقد دلت عليه الآيات الكريمة وأقيمت عليه البراهين الجلية وقد أشرنا إلى بعضها ، وتام الكلام في ذلك موكول إلى الكتب الكلامية .

باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه جل وتعالى

الحديث الاول : مجهول .

قوله علي يدي عبدالمملك : أي كان هو حامل الكتاب ومبلغه .

- جعلني الله فداك - ان تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد ؟ فكتب إليّ : سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك ، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله ، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جل وعزّ فأنف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفى ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان .

٢ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم

قوله من قبلك : بكسر القاف وفتح الباء ، أى من هو عندك وفي ناحيتك يعنى أهل العراق .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : فأنف عن الله البطلان والتشبيه ، أمر بنفى التعطيل والتشبيه ، فإن جماعة أرادوا تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في التعطيل ونفى الصفات رأساً ، وجماعة أخرى أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا وأسماءه الحسنى فأثبتوا له صفات زائدة على ذاته فشبّهوه بخلقه ، فأكثر الناس إلا القليل النادر منهم بين المعطل والمشبه .

قوله : فلا نفى ولا تشبيه : أى يجب على المسلم أن لا يقول بنفى الصفات ولا إثباتها على وجه التشبيه ، وقوله : هو الله الثابت الموجود إشارة إلى نفي التعطيل والبطلان ، وقوله : تعالى الله عما يصفه الواصفون ، إشارة إلى نفي التشبيه فإن الواصفين هم الذين يصفون الله بصفات زائدة ، وقوله : ولا تعدوا القرآن أى فلا تجاوزوا ما في القرآن ، بأن تنفوا عن الله ما ورد في القرآن حتى تقعوا في ضلالة التعطيل ، والله يقول ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أو ثبتوا لله من الصفات ما يجب التنزيه عنها حتى تقعوا في ضيق التشبيه ، والله يقول : « سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون ^(١) » ، ثم الظاهر من هذه الاخبار المنع عن التفكير في كنه الذات والصفات ، والخوض فيها ، فإن العقل عاجز عنها ولا يزيد إلا حيرة وضلالة .

الحديث الثاني : مجهول كالموثق .

ابن عبد الحميد ، عن أبي حمزة قال : قال لي علي بن الحسين عليه السلام : يا أبا حمزة إن الله لا يوصف بمحدودية ، عظم ربنا عن الصفة فكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ؟

٣ - محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد ، عن إبراهيم بن محمد الخزاز عن محمد بن الحسن قال : دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له أن محمد عليه السلام رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة وقلنا : إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي

قوله : لا يوصف بمحدودية أي الحدود الجسمانية أو الأعم منها ومن الحدود التي تعرض للصورة الذهنية والحدود العقلية المستلزمة للتركيب العقلي «عظم ربنا عن الصفة» أي كل خارج عارض لاحق بالحقيقة ، وقيل : ولعل نفى وصفه بالمحدودية إشارة إلى نفى دخوله في الحواس والقوى ، وكونه محاطاً بما يعرض مدركاتها ، وقوله : وكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ، استدلال عقلي على نفى إدراكه بالحواس واتصافه بعوارض المدرك بها ، لأن ما يستحيل عليه الإتيان بشيء كيف يتصف به في المدارك وكيف يكون حتمول الموصوف به إدراكاً لما يمتنع إتيان به ، وقوله : ولا تدركه الأبصار «الخ» تمسك بالمستند السمعي من كتابه العزيز .

أقول : ويحتمل أن يكون استدلالاً بعدم المحدودية في الخارج بأنه لا يحد بالحدود العقلية ، واستدل على عدم المحدودية بالحدود العقلية بالآية .

قوله : وهو اللطيف : أي البعيد عن إدراك الخلق أو البر بعباده ، الرفيق بهم ، أو العالم الكامل في الفعل والتدبير ، أو الخالق للخلق اللطيف أفعال اللطف ، وهو ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ، و«الخبر» العالم بحقائق الأشياء وغوامضها ودقائقها .

الحديث الثالث : ضعيف .

قوله في صورة الشاب الموفق : قيل : أي المستوى ، من أوفق الأبل إذا اصطفت واستوت ، وقيل : هو تصحيف الرقيق وقيل : هو تصحيف الموقوف بتقديم القاف على الفاء أي المزين ، فإن الوقف سوار من عاج يقال : وقفه أي ألبسه الوقف ، ويقال :

يقولون : إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد ؟ فخر ساجداً لله ثم قال : سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك ، سبحانك لوعي فوك لوصفوك بما وصفت به نفسك ، سبحانك كيف طاعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك ، اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك ولا أشبهك بخلقك ، أنت أهل لكل خير ، فلا تجعلني من القوم الظالمين ؛ ثم التفت إلينا فقال : ما توهمتهم من شيء فتوهموا الله غيره ثم قال : نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا العالي ولا يسبقنا التالي ، يا محمد إن رسول الله

وقف يديها بالحناء أى نقطها ، وبالجملّة المراد بالموقف هنا المزيّن بأى زينة كانت وأما نسبة هذا القول إلى هؤلاء الأكابر فسيأتى القول فيه ، ولعله عليه السلام إنما تعرّض لا بطلال القول ولم يتعرّض لا بطلال نسبته إلى القائلين لنوع من المصلحة ، وفي التوحيد بعد قوله : من أبناء ثلاثين سنة ، رجلاه في خضرة .

قوله : النمط الأوسط : قال الجزرى في حديث علي عليه السلام : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، النمط الطريقة من الطرائق والضروب ، يقال : ليس هذا من ذلك النمط أى من ذلك الضرب ، والنمط الجماعة من الناس أمرهم وإحد « انتهى » .

قوله عليه السلام : لا يدركنا العالي ، في أكثر النسخ بالعين المعجمة ، وفي بعضها بالعين المهملة ، وعلى التقديرين المراد به من يتجاوز الحدّ في الأمور ، أى لا يدركنا ولا يلحقنا في سلوك طريق النجاة من يغلو فينا أو في كل شيء ، والتالى أى التابع لنا لا يصل إلى النجاة إلا بالأخذ عنا ، فلا يسبقنا بأن يصل إلى المطلوب إلا بالتوصل بنا ، ثم اعلم أنه يمكن إبقاء الحجب والأنوار على ظواهرها بأن يكون المراد بالحجب أجساماً لطيفة مثل العرش والكرسى يسكنها الملائكة الروحانيون كما يظهر من بعض الدعوات والأخبار ، أى أفاض عليه شبيه نور الحجب ، ليكن له رؤية الحجب كنور الشمس بالنسبة إلى عالمنا ، ويحتمل التأويل أيضاً بأن يكون المراد بها الوجوه التى يمكن التأويل أيضاً بأن يكون المراد بها الوجوه التى يمكن الوصول إليها في معرفة ذاته تعالى وصفاته ، إذ لا سبيل لأحد إلى الكنه وهى تختلف باختلاف درجات العارفين قرباً وبعداً ، فالمراد بنور الحجب قابلية تلك المعارف وتسميتها بالحجب إمّا لأنها

عَلَيْهِ السَّلَامُ حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسنّ أبناء ثلاثين سنة ، يا محمد عظم ربي عز وجل أن يكون في صفة المخلوقين ؛ قال قلت : جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة ؟ قال : ذاك محمد كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل

وسائط بين العارف والرب تعالى كالحجاب ، أولاً أنها موانع عن أن يسند إليه تعالى ما لا يليق به ، أولاً أنها لما لم تكن موصلة إلى الكنه فكأنها حجب إذ الناظر خلف الحجاب لا يتبين له حقيقة الشيء كما هي ، وقيل : إن المراد بها العقول فأنها حجب نور الانوار ، وسائط النفوس الكاملة والنفس إذا استكملت ناسبت نوريتها نورية تلك الانوار ، فاستحقت الاتصال بها والاستفادة منها ، فالمراد بجعله في نور الحجب جعله في نور العلم والكمال ، مثل نور الحجب حتى يناسب جوهر ذاته جوهر ذاتهم فيستبين لهم ما في ذاتهم ، ولا يخفى فساد على اصولنا بوجوه شتى ، وأما تأويل ألوان الانوار ، فقد قيل فيه وجوه :

الأول : أنها كناية عن تفاوت مراتب تلك الانوار بحسب القرب والبعد من نور الانوار ، فالأبيض هو الأقرب والأخضر هو الأبعد ، فكأنهم متزج بضرب من الظلمة والأحمر هو المتوسط بينهما ، ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح [والليل] والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس .

الثاني : أنها كناية عن صفاته المقدسة ، فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضة الأرواح التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة ، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالاعدام والتعذيب ، والأبيض رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى : « وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله ^(١) » .

الثالث : ما استفدته من الوالد العلامة قدس الله روحه ، وذكر أنه مما أفيض عليه من أنوار الكشف واليقين وبيانه يتوقف على تمهيد مقدّمة : وهي أن لكل شيء مثلاً في عالم الرؤيا والمكاشفة ، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة

نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب ، إنّ نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه غير ذلك ، يا محمد ما شهد له الكتاب والسنة فنحن القائلون به .

٤ - عليّ بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن بشر البرقيّ قال : حدّثني عباس بن عامر القصبانيّ ، قال : أخبرني هارون بن الجهم ، عن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : قال : لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا الله بعظمته لم يقدرُوا .

باختلاف مراتبها في النقص والكمال ، فبعضها أقرب إلى ذى الصورة وبعضها أبعد ، وشأن المعبر أن ينتقل منها إلى ذواتها ، فإذا عرفت هذا فالنور الأصفر عبارة عن العباد ونورها كما هو المجرب في الرؤيا ، فأنّه كثيراً ما يرى الرائي الصفرة في المنام فتيسر له بعد ذلك عبادة يفرح بها ، وكما هو المعاني في جباه المتهجدين ، وقد ورد في الخبر في شأنهم أنّه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به ، والنور الأبيض : العلم لأنّه منشأ للظهور وقد جرّب في المنام أيضاً ، والنور الأحمر : المحبّة كما هو المشاهد في وجوه المحبّين عند طغيان المحبّة وقد جرّب في الأحلام أيضاً والنور الأخضر المعرفة كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر لأنّه عليه السلام في مقام غاية العرفان كانت رجلاه في خضرة ، ولعلهم عليه السلام أنّما عبروا عن تلك المعاني على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة ، كما تعرض على النفوس الناقصة من الرؤيا هذه الصور ، ولأنّنا في منام طويل من الغفلة عن الحقائق كما قال عليه السلام : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وهذه التأويلات غاية ما يصل إليه أفهامنا القاصرة ، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليه السلام .

الحديث الرابع : ضعيف ، وعدم قدرتهم قد تبين بما مرّ مراراً من إمتناع إدراك كنه ذاته وصفاته المقدّسة ، وغاية معرفة العارفين إقرارهم بالعجز عنها كما قال سيد العارفين : لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وقال : ما عرفناك حقّ معرفتك .

٥ - سهل ، عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال : كتبت إلى الرجل عليه السلام : أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد ، فمنهم من يقول : جسم ، ومنهم من يقول : صورة ، فكتب عليه السلام بخطه : سبحان من لا يحد ولا يوصف ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم - أوقال - : البصير .

٦ - سهل ، عن محمد بن عيسى ، عن إبراهيم ، عن محمد بن حكيم قال : كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي : أن الله أعلا وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوه بما وصف به نفسه ، وكفوا عما سوى ذلك .

٧ - سهل ، عن السندي بن الربيع ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص أخى مرازم عن المفضل قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من الصفة فقال : لا تجاوز ما في القرآن .

٨ - سهل ، عن محمد بن علي القاساني قال : كتبت إليه عليه السلام أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد قال : فكتب عليه السلام : سبحان من لا يحد ولا يوصف ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله صورة : أي ذو صورة .

قوله عليه السلام لا يحد أي ذاته «ولا يوصف» أي لا يبلغ إلى كنه صفاته بل يعرف بأنه ليس كمثله شيء ، فيسلب جميع صفات الممكنات ويثبت له السمع والبصر وسائر الصفات الكمالية على وجه لا يستلزم التشبيه ، وقوله : أوقال ، تريد من بعض الرواة .

الحديث السادس : ضعيف ويدل على المنع من الخوض في كنه الصفات المقدسة .

الحديث السابع : ضعيف .

الحديث الثامن : ضعيف ومحمد بن علي القاساني لعنه علي بن محمد ، فصحف وعلى من أصحاب الهادي عليه السلام .

٩ - سهل، عن بشر بن بشار النيسابوري قال: كتبت إلى الرجل عليه السلام: إن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: [هو] جسم ومنهم من يقول: [هو] صورة فكتب إلي: سبحان من لا يحد ولا يوصف ولا يشبهه شيء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

١٠ - سهل، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم ومنهم من يقول: هو صورة فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فقلت متطوِّلاً على عبدك، فوقع بخطه عليه السلام: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله واحد، أحد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم ويصور ما يشاء وليس بصورة جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الحديث التاسع: ضعيف.

قوله عليه السلام ولا يوصف: أي بالكنه أو بصفات الممكنات.

الحديث العاشر: ضعيف.

قوله: وهذا عنكم معزول، أي لستم مكلفين بأن تخوضوا فيه بقولكم، بل اعتقدوا ما نزل الله تعالى إليكم من صفاته، أو ليس لكم السؤال بل بين الله تعالى لكم، والاول أظهر، «الله» مستجمع للصفات الكمالية الثبوتية «واحد» يدل على الصفات السلبية «أحد» أي لا شريك له «يخلق تبارك وتعالى ما يشاء» قيل إشارة إلى نفي كونه تعالى جسماً بالبرهان إذ قد ثبت وتحقق في موضعه أن العلة الموجودة ومعلولها لا يجوز أن يكونا من نوع واحد، وإلا لزم أن يكون الشيء علّة لنفسه وايضاً وجود العلة الموجودة أقوى وأشد من وجود المجعول، والتفاوت بالشدة والضعف في الوجودات يستلزم الاختلاف في المهيئات، فظهر أن خالق الأجسام يمتنع أن يكون

١١ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن رباعي ابن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله لا يوصف وكيف يوصف ؟ وقد قال في كتابه : « وما قدروا الله حق قدره » ^(١) فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك .

١٢ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، وعن غيره ، عن محمد بن سليمان ، عن علي بن إبراهيم ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته ولا يبلغون كنه عظمته ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ولا يوصف بكيف ولا أين وحيث ، وكيف أصفه بالكيف ؟ ! وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفاً فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف أم كيف أصفه بأين ؟ ! وهو الذي أين أين حتى صار أيناً فعرفت الأين بما أين لنا من الأين ، أم كيف أصفه بحيث ؟ ! وهو الذي حيث حيث حتى صار حيثاً فعرفت حيث

جسماً من الأجسام ، وكذا مصوّر الصّور يستحيل أن يكون صورة من نوعها .

الحديث الحادي عشر : مجهول كالصحيح .

قوله « وما قدروا الله حق قدره » أي ما عظموا الله حق تعظيمه فلا يوصف بقدر ولا يعظم تعظيماً إلا وكان أعظم من ذلك .

الحديث الثاني عشر : ضعيف .

قوله « عظيم » أي عظيم الذات « رفيع » من جهة الصفات ، لا تبلغ العقول إليهما أو الرفيع بيان لأنّ العظمة من حيث الرفع المعنوية .

قوله : حتى صار كيفاً أي هو موجود الكيف ومحقق حقيقته في موضوعه حتى صار كيفاً له .

قوله : أم كيف أصفه بأين ، المراد به كون الشيء في المكان أو الهيئة الحاصلة للمتمكّن باعتبار كونه في المكان ، وحيث إسم للمكان للشيء .

بما حيث لنا من الحيث ، فالله تبارك وتعالى داخل في كل مكان وخارج من كل شيء ،
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ؟ لا إله إلا هو العلي العظيم وهو اللطيف الخبير .

قوله : لا تدركه الابصار ، دليل على نفى التمكن في المكان فان كل متمكن
في المكان ممّا يصحّ عليه الإدراك بالأوهام ، وقوله : وهو يدرك الابصار ، على شهوده
عقلا وحضوره علماً ، وقوله : لا إله إلا هو العلي العظيم ، على عدم كونه داخلاً في شيء
دخول الجزء العقلي والخارجي فيه ، وقوله : وهو اللطيف الخبير ، يدل على جميع
ذلك .

انتهى الجزء الاول حسب تجزئتنا من هذه الطبعة ويليه الجزء الثاني بإنشاء الله تعالى
و أوله « باب النهي عن الجسم والصورة » .
وقد تمّ بحمد الله و توفيقه تصحيحاً و تعليقاً في ٨ رمضان المبارك من سنة
١٣٩٣ .

السيد هاشم الرسولي المحلاتي

وانا العبد المذنب القاني :



الفهرست

رقم الصفحة العنوان عدد الاحاديث

٢	خطبة الكتاب	
٢٥	كتاب العقل والجهل	٣٤
❖ (كتاب فضل العلم) ❖		
٩٨	باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه	٩
١٠٢	« صفة العلم وفضله وفضل العلماء	٩
١٠٩	« اصناف الناس	٤
١١١	« ثواب العالم والمتعلم	٦
١١٨	« صفة العلماء	٧
١٢٣	« حق العالم	١
١٢٤	« فقد العلماء	٦
١٢٧	« مجالسة العلماء وصحبته	٥
١٢٩	« سؤال العالم وتذاكره	٩
١٣٣	« بذل العلم	٤
١٣٦	« النهي عن القول بغير علم	٩
١٤٠	« من عمل بغير علم	٣
١٤٢	« استعمال العلم	٧
١٤٧	« المستأكل بعلمه والمباهى به	٦
١٥١	« لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه	٤
١٥٤	« النوادر	١٥
١٧٣	« رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب .	١٥

رقم الصفحة	العنوان	عدد الاحاديث
١٨٣	« التقليد	٣
١٨٥	« البدع والرأي والمقاييس	٢٢
٢٠٢	« الرد إلى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال	
	والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء كتاب أو سنة ١٠	
٢١٠	باب إختلاف الحديث	١٠
٢٢٧	« الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب	١٢
	❦ (كتاب التوحيد) ❦	
٢٣٥	باب حدوث العالم واثبات المحدث	٦
٢٨٠	« اطلاق القول بأنه شيء	٧
٢٩٤	« أنه لا يعرف إلا به	٣
٣٠١	« أدنى المعرفة	٣
٣٠٣	« المعبود	٣
٣٠٦	« الكون والمكان	٨
٣١٦	« النسبة	٣
٣٢١	« النهي عن الكلام في الكيفية	١٠
٣٢٧	« في ابطال الرؤية	١٢
٣٤٥	« النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى	١٢